



أميرة بلاد القيم

قصة الأميرة ذات الشيم



تأليف: جعفر حمدان مرعي أحمد

تأليف

أميرة بلاد القيم



دار القنائي للنشر والتوزيع

قصة الأميرة ذات الشيم أميرة بلاد القيم

(رواية ٢٠٢٣)

تأليف: جعفر حمدان مرعي أحمد

رقم الإيداع بدار الكتب: ١٦٦١٠ - ٢٠٢٣

I.S.B.N 978-977-92-3139-6

دار القنائي للنشر والتوزيع

العنوان: جمهورية مصر العربية – قنا – ميدان سيدي عبد الرحيم القنائي

ت: ٠١١١٧٦٤٩٦٣٧

الإخراج الفني

وحدة التجهيزات الفنية للنشر

حقوق النشر والطباعة محفوظة لدار القنائي للنشر والتوزيع

ويحظر إعادة النشر أو النسخ أو الاقتباس بأي صورة إلا بإذن كتابي من الدار أو

بالإشارة إلى المصدر

إهداء

أهدي سطور قصتي

إلى زوجتي وملهمتي المهذبة المصفاة حميدة ، بنت الحاج حماد ابن الشيخ فليفل،
فهي أميرة بلاد القيم

وإلى أمتي العربية التي جعلها الله بجودها وبساطتها أميرة على الخلق والأمم
وإلى أمتي الإسلامية التي جعلها الله بتوحيدها ووسطيتها أميرة وشهيدة على
الخلق والأمم

ثم إلى العلم الذي عينه الله بحكمه وحكمته منذ ألف وخمسمائة عام حارسا لنا
(عربا ومسلمين) ، فغيبناه عنا بجهلنا، وكسرنا سلاحه بحماقتنا، واستبدلنا به
دروشتنا، وأزلناه من حساباتنا منذ قرنين من الزمان

وأقول له: أرجوك يا سيدي الحارس العليم عد إلينا، فقد بالت الثعالب على مواضع
حراستك

عد إلينا لتكون قائدنا، ونكون أمتك ورعيتك، ونعدك ألا نخالف أو نعصي لك أمرا
أبدا

عد إلينا الآن وبسرعة واقتحم بنا الكون برا وبحرا وجوا، فنحن الدون من دونك

(١)

على هدي القمر في ليلة امتلائه، وإلى سطح منزل قروي جنوبي، قد صاغ الصائغ
حيطانه من طمي النيل المقدس، وأقام سقفيه من جذوع النخيل وسعفه، صعد شاب
في عشرينات عمره درجات السلم غضبان أسفا، لا يُدرى سبب غضبه ولا أسفه

صعد الشاب إلى سطح منزله القروي الجنوبي ذي الطابقين، حيث ارتقى على
سرير حديث الصنع، وقد نسج السرير من سعف النخيل أيضا، ففاحت منه رائحة
جريد النخل قريب العهد بالاختصار والجفاف في آن واحد، وانتشرت تلك الرائحة
في جو المكان

وكان السرير حديث السن والصنع، يتمدد في جانب من سطح المنزل، ولا حظ لهذا
السرير من أنيس، سوى إصيص من فخار يزدان بزهرات جميلات، يضيفين على
المكان نسمة حياة، وفضلا من بهجة، وشيئا من رائحة الزهور، في تناغم مع
رائحة جريد النخل، والفضة المحثوة من كف القمر

نظر الشاب الغضبان إلى زهرات الإصيص، وقد اعتدل جالسا على السرير، ربما
ليشكو إليهن، وربما ليطمئن عليهن، أو لعله يطمئنهن عليه، ويخبرهن بنظرات
زائغة من عيونه، قبل أن يُسمعهن همسات صوته، عن يومه كيف كان؛ فهن والليل
والنجم والقمر أنس له في عالم يتلمس في أجنابه شذرات من أنس فيعدمها، وفي
أركانه قطرات من ود، فتعز عليه وتعانده، وإن حازها يوما فما أشبهها سرعة إباقٍ
وتفلتٍ من قبضة ماء براحة طفل

يرى المتفرس لوجه هذا الشاب الكدرة التي تعلوه، فلا يخطئ ظنه في أن حامل هذا
الوجه المستدير، قد تلظى بأحر جمرات الغضى، والتاع بكير من الغضب، أشد فتكا
من الكير الذي ألان الله به الحديد لنبيه داود، وأسال به القطر لابنه سليمان

وتستبين للناظر بعد لحظات، علةً تربد وجه هذا الشاب الصعيدي، إذ يسمع زئير الحنق على بنات آدم من فمه، وتشتمه لهن وسبه إياهن جميعا، وهو يشكو حاله إلى زهرات الإصيص الجميلات

إن المرأى والمسمع ينبئان أن لهذا الشاب الصعيدي ترة عند بنات آدم، وهي لا محالة ترة، لا تنمحي عذاباتها، ولا تنقضي تبعاتها، و لا كفيل من زمن يداوي جراحاتها، ويشيان بقود عزيز عندهن لهذا الصعيدي لم يؤدَّ حقّه، بعد أن سفكن دمه في غير شفقة ولا اكتراث

عانى صاحبنا الشاب من عجزه عن إسكات غضبته المستعصية، وبعد لأي وشديد عناء تسربت قطرات هدوء يسيرة -على مضض - إلى نفسه وأنفاسه، وبعد تمكنها منهما، وضع رأسه على سريره الذي اعتاد النوم على مثله في معظم فصول السنة، لا يفصل بين جسده وجسد السرير سوى حصير من أعواد نبات الحلفا، قد وضعت فوقه ملاءة خضراء رقيقة، ووسادة لا تخلو من زركشة بعض ألوان، فيها نزر من نظام

لم يشعر صاحبنا الشاب بصمود عينيه يخور؛ ليسلم أعتنهما للنوم يسوسهما مهددا مهددا شيئا فشيئا، حتى أحكم النوم المغالب إغلاقهما وأوصد أبوابهما وألقى مفاتيحها

كان الغضب فيضانا متقدا لا يزال في صدر صاحبنا، والحنق يغتلي في قلبه، لكن ذلك لم يثن أطرافه عن تلبية داعي سلطان النوم وأوامره، والدخول تحت لوائه والإجابة لأبواقه، ولم لا !!؟ فلربما يجنح الجسم العليل إلى الراحة، بعد يوم طويلة صعبه، وكثيرة مشاقه، دون استئذان من صاحبه

رأى صاحبنا الشاب في نومه عجا وشاهد جلا، إذ رأى نفسه يتكى على سريره كما كانت حاله و هيئته قبل أن ينام، لكنه لم يكن بمفرده هذه المرة، فقد كانت تقف أمامه فراشة جميلة، لا تفترق عن بنات جنسها في شيء سوى أن جمالها لا يحيط به واصف، و كمال تناسق ألوانها ضن الزمان أن يوقع العين على مثاله

وكانت الفراشة تقف على زهرة زاهية اللون من زهرات الإصيص الفخاري، وكان صاحبنا المعلم يحادثها، كما يحدث المرء خليله، الذي عهد فيه إخلاصا، قد وثق به له، رغم أنه لم يمر إلا يوم واحد، على تعارف صاحبنا وفراشته

أجابها بصدق عندما سألتها عما يغضبه، فقال : لقد رأيت اليوم من أحببت أن تتكور الشمس، وتنكدر النجوم، وتخر الجبال هدا، قبل أن أراه، قالت الفراشة : فمن هو يا سيدي؟ قال صاحبنا الشاب : بل قل لي من هي؟ فقالت بصوت مطيع لا يخلو من لهفة : فمن هي إذا؟

استوى الشاب في هيئته قاعدا، وعادت تكسو وجهه حمرة الغضب، وتعلوه أمارات الضجر وهو يقول في غيظ باد : إنها الفتاة التي قد كرهت كل بنات جنسها من أجلها، وأخذتهن كلهن بجريرتها

قالت الفراشة : ألا تجلي الأمر لفراشتك وعد؟ فأنا لا أفهم، رد صاحبنا الشاب : سأخبرك بكل القصة، رغم عزمي على عدم الخوض في هذا المكروه المنكر بعد أن نسيته وتناساني

حدث ذلك منذ ثمانية أعوام، في العام ٢٠٠٤م، حين كانت هذه الفتاة زميلة لي في الجامعة، بقسم اللغة العربية في كلية الآداب، وقت أن كنت في الفرقة الأولى، ولم تكن ثمة فتاة سواها من قريتي معي في القسم

سكت صاحبنا لحظة، وابتلع ريقه، قبل أن يقول: لاحظت أنها لا تكاد تمنع أو ترفع عيونها عن النظر إليّ، ولا يخلو مكان ألجا إليه إلا تبعتني فيه، دامت تلاحقني أنني كنت، فتفاجئني بوجهها المتورد دائما في المكتبة، وأثناء سير في طرقات الكلية، وعند الدخول إلى مدرجات المحاضرات، وعند الخروج منها، حتى عند عودتي إلى المنزل، كنت أجدها تستقل عين ما أستقل من سيارات الأجرة

ولما وجدت في كل حين عينها معلقة بالنظر إليّ، خطر لقلبي خاطر قوي، بأنها تتودد إلي وتحبني، لكنني أسرعت لصرف ذلك الخاطر بعيدا عني، وإلقائه في سلة المهملات؛ لعلمي أنني لم أقترف لها من صنيع أو معروف، فأنال به منها توددا أو حبا، بل إنني لم أحادثها قط

تنهدت الفراشة وعد، قبل أن تقول: لكن يا سيدي لا يلزم أن تصنع لها معروفا حتى يحبك قلبها، لكنّ صاحبنا مضى في حديثه يكمله، وكأنه لم يسمع قالة الفراشة فأضاف: ثم انخدع قلبي بنظراتها تلك، وأقرأها في قلبه درة مصونة عن أن تنكشف لأي أحد، وما أشرك بحبها من شيء، وعزمت على مبادلتها ودا بود، وتقربا بقرب، لكنني عدلت عن ذلك حين رأيت منها ما أكره من سوء خلق وفساد طوية، فضلا عما كشفت له لي الأيام، مما لأهلها من تردي السمعة، ووضاعة الذكر وشانعه، وهم الذين يزعمون زورا أنهم حسّانية الأنساب، ينحدرون من جدهم الحسن بن علي بن أبي طالب، سبط الرسول الأعظم

ورغم ابتعادي حتى عن موضع سيرها، إلا أنها دامت تطرد خلفي، وترمقني بعيون تنبئ عن سهيل جسدها لاقتراف كثير من المنكرات، وابتسامة تغري بنسيان حدود الله، لكنها عين الابتسامة التي كانت تقطر كراهيتي لها، وتكشير وجهي أمام وجهها

ولكم عزمت – علم الله – أن أجهر صارخا في وجهها قائلا : اغربي عني بشيطانك، لست من فيه ترغبين، ولا من بمكرك تخدعين، لكن الحياء يحجزني ويمنعني، والخوف من أن يشعر أحد بالأمر، فيظن سوءا بي وبها، وتسوء سيرتي وسمعتها، ونحن أبناء بيئة يفشو فيها الجهل وترتع الجاهلية، وتقتل الناس بالوهم والظن والوشاية

قالت الفراشة: أتخاف عليها سوء السمعة، وأنت كاره لها؟ رد صاحبنا المعلم: ومن يدرى ربما يصلح الله لها الحال في مستقبلها، فهل أسعى في فساد الحاضر لها والمستقبل، لحماقات دفعها إليها سن الطيش، وتفلت الرغبات عن سوار العقل

قالت الفراشة: صدقت يا سيدي، ثم ماذا كان بعد ذلك؟ قال صاحبنا: شعرت أنني أركض حثيثا بعيدا عنها، فأرسلت لي خطابا مع أختها الصغرى، تعاتبني فيه على عدم اكتراثي بها، وتجنبي لنظراتها وابتساماتها، لقد كتبت سطورا محبرة بحروف

معطرة، تشجعني فيها على الاهتمام بها، والتقرب منها، وقد كانت تظن بي خوفا من مواعدها، وخورا عن مقابلتها، فأرادت بكلماتها أن تمنيني بوصالها

قالت الفراشة: فماذا فعلت حينئذ؟ قال: قطعت خطابها المعطر أمام عيني أختها الصغرى، وصرفتها عن بيتي، وملء يديها قطع من الحلوى، وما هي إلا أيام قلائل، وعلمت بأن هذه الفتاة المخادعة معقود قرانها منذ شهور على أحد أقاربها الذين يعيشون في الإسكندرية ، ولما يدخل بها

قالت الفراشة في عجب: تقصد أنها كتبت لك، وهي معقود قرانها على قريبها، يا لها من منافقة، قال صاحبنا في أسى: وتعجب في رسالتها لقراري البعد عنها، رغم أن زوجها كان يوشك أن يحملها معه إلى الإسكندرية

الأهم أنني قد نسيت الأمر كله، وبعد أن مر على رحيلها مع زوجها سنوات، عادت لزيارة أهلها، ولسوء الحظ أنني رأيته اليوم، في طريقي إلى هنا عائدا، فتذكرت لرؤيتها كل الأمر

تذكرت كرهى للفتيات الذي مازال ينمو بسببها ويزدهر، حتى استغلظ واستوى على سوقه، وأثمر بقلبي ما لا تغل قرى بالعراق لأهلها

قالت وعد: ولماذا تصب كراهيتك على كل الفتيات؟ أمن جرائم واحدة تكرههن جميعا؟؟!!

قال صاحبنا: لأنني أصبحت أراهن جميعا ككائن لا أخلاق له، أو كوحش لا يرفع في أحد إلا ولا ذمة، قالت وعد: لكن يا سيدي هذا تجن بين وإفراط غبن، إذ كيف تحكم بعمل واحدة على الجميع، قال صاحبنا: كلهن سواء، إنهن يتلبسن ويتلبس بهن الشيطان، ومقتي لهن قد جناه عليهن سوء خلقهن، وما جنيت على أحد

قالت وعد لكن يا سيدي ... قاطعها في حدة قائلا: دعك يا وعد من الحديث عنهن، وعودي بنا للحديث عنك، وعن بلادك التي جئت منها

أرادت وعد أن تكمل حديثها؛ لتسوق صاحبنا ليعدل عن رأيه، فلشد ما ضايقها مذهبه، لكنها أمام الحدة التي قاطعها بها حسمت أمرها فقالت: حسنا يا سيدي كما تريد، سأكمل لك ما أخبرتك به أمس

كنت قد أخبرتك بأنني وعد ابنة الأمير تميم المجيد الأمجد، القائد الأعلى لحراس بلادنا، وأن لي أختين، وكلتاها أصغر مني عمرا، وهما رعد ورغد، وموطننا جميعا بلاد القيم ...

قاطعها صاحبنا من جديد، في لهفة يقطر منها العجب: بلاد ماذاااا ؟ .. بلاد القيم .. وأين تكون بلاد القيم .. ولماذا سميت بهذا الاسم؟؟!!

أوقفت وعد سيل الأسئلة المنهمر على رأسها الصغير بقولها: لا تعجل يا سيدي، وسأجلي لك في دقائق معدودات كل الأمر ظاهره وباطنه، قال صاحبنا في صوت شغوف: احك أسمعك

قالت وعد: اعلم يا سيدي أن موطني، إنما سمي ببلاد القيم؛ لأنه مزرع الأخلاق والقيم، قاطعها صاحبنا يزار فيه عجبه: أوتزرع الأخلاق والقيم أيتها الفراشة؟

ردت وعد بتقرير قاطع: نعم، وهذا حالها منذ خلقها الله ... أم تراك تكون من ذوي خاطئ الظن والفهم، الذين يظنون بأن الأخلاق أمور معنوية لا وجود لها، إلا في ضمير حاملها، وأنها لا وجود لها في الواقع؟

قال صاحبنا: نعم هذا ما اعتقدته طوال عمري، وكذلك كل البشر، بمختلف طوائفهم وأطيافهم، قالت وعد مع شيء من ألحان السخرية: قد ثبت هذا الظن لديكم أنتم- بني البشر- لأن أحدا منكم لم تر عينه يوما الأخلاق بأوراقها، ولا القيم بأزهارها، ولأنها أيضا تزرع بعيدا عنكم وعن بلادكم، فادعيتهم عدم وجودها في الواقع؛ لأنكم لم تروها، ولم تروا بلادها، وليس كل ما لم تره عينك غير موجود، فالحقيقة أن الفضائل والشمائل الحميدة، مثلها جميعا كمثل النباتات تنمو وتزهر وترسل أريجها وعبيرها إلى بلاد البشر، غير أن لكل خلق عطرا خاصا به يرسله إلى بلاد البشر، فللصدق عطر، وللكرم عطر، وللشجاعة والنجدة عطر وهكذا

فمن تنسم شذى خلق تخلق به واستمسك به ولازمه، فلا ينفك عنه، ولا ينخلع منه، ما وجد رائحته، وقد خصصت بلاد القيم لزراعة الأخلاق، كما خصصت بلاد البشر لاستقبال عطور تلك الأخلاق، فلا تنبت بلاد القيم زهورها إلا من أجل البشر، ولا يجد البشر لهم مصدرا للأخلاق إلا من زهور بلاد القيم

قال صاحبنا: أجد نفسي غير مقتنعة بهذا الكلام، قالت وعد: فما تقول في أثر الأخلاق في نفوس البشر، أتنكر تأثيرها في نفوس بني جنسك؟ قال صاحبنا: لا أنكره بالطبع، قالت: ألا تراه تأثيرا كبيرا، قال صاحبنا: بلى إنه لكبير: قالت وعد: وهذا الأثر الكبير، ألا تظن أن وراءه مؤثرا كبيرا؟ قال: بلى، قالت فهل يكون هذا المؤثر الكبير أمر معنوي، قال: لا أفهم ما تعنين، قالت: ليس يقف وراء تأثير الأخلاق الملموس في نفوس البشر، سوى زهور الأخلاق المغروسة في موطني بلاد القيم

قال صاحبنا، وقد أقنعه بعض الشيء كلامها: صدقت يا وعد، فلولا أن للأخلاق وجودا في الواقع، لما كان لها كل هذا التأثير الملموس في دنيا البشر وآخرتهم، ولكن أخبريني أين هي بلاد القيم، وكيف السبيل لزيارتها ؟ فإن نفسي تتوق لرؤيتها

قالت وعد: أما عن مكانها فإن جبالا وبحارا تفصلها عن بلاد البشر، وما كان لبشر أن يقطع هذه المساحات والمسافات المهيولة أبدا، فضلا عن أن يصل بلاد القيم، وأما عن زيارتها فسأذهب أنا معك إلى هناك، حتى ترى بعينك ما نفسك إليه تتوق، وما أنت به موعود

جمع خيال صاحبنا فيما سيرى بأرض القيم، ولم يلحظ وعد وهى تهمس في نفسها: ومن غيرك يذهب إلى هناك، وأنت المقصود لذلك وبذلك، وما كان لبشر قبلك الزورة والرؤية

ولما هدا عن صاحبنا الخيال، نظر إلى وعد، وعاد يقول: ومتى نرحل إلى بلاد القيم، قالت وعد: بعد أن أقضي ما جئت من بلادي؛ لأجل أن أقضيه، قال صاحبنا: وما الذي جئت تقضيه أيتها الفراشة، صمتت وعد قليلا، كمن يرتب فكره، ثم

قالت: جئت لأصطحب إلى بلادي من يعيد لنصرة الأخلاق رونقها بعد ذبوله، وللقيم عطرها بعد ذهابه، قال صاحبنا متأسفاً: وما الذي أذبل رونقها وأذهب عطرها؟

قالت وعد: هذه قصة طويلة، ولك أن تنام الآن، حتى لا تتأخر صباحاً عن محل عملك في المدرسة الإعدادية أيها المعلم، فإن الليل ذهب، والفجر أوشك أن ينبثق، رضخ صاحبنا لقرار من وعد؛ فالنوم قد طلب حظه من العين، وبعد يومها الطويل استجابت العين سريعاً سريعاً، ونام صاحبنا قرير العين هائناً، بعد أن خففت عليه وعد بحديثها ما كان يجد في أول ليلته

(٢)

وفي الصباح، خرج صاحبنا المعلم من منزله، إلى موقف سيارات الأجرة، الذي يقع بجانب كوبري مدخل القرية، المار فوق ترعة أصفون، وهناك ركب سيارة أجرة، متجها إلى حاجر قرية المحروسة، حيث يعمل معلما للغة العربية، والتربية الإسلامية، بمدرسة المحروسة الإعدادية للبنين

قضى صاحبنا المعلم، ساعات يومه الدراسي متشوقا للعودة إلى منزله، ليسمع من وعد حكايتها

وما كاد ينتهي اليوم الدراسي، حتى أسرع صاحبنا المعلم، في العودة من المدرسة إلى منزله؛ ليسمع من وعد، ما بقي من قصتها

عاد صاحبنا المعلم إلى منزله، فبدل ملابسه، وأدى ما عليه من صلاة، وقراءة أوراد، وتناول طعاما عجلا، ثم صعد إلى سطح المنزل، فوجد وعدا تنتظره في مكانها، فوق زهور الإصيص الفخاري، تستجير من شهر سبتمبر وتخريفات أجوائه، بما يوفره لها السقف المصوغ من جريد النخيل وجذوعه، من ظل وجوار ووقاء

حيا صاحبنا المعلم الفراشة وعد بتحية، فردتها بأحسن منها، ثم جلس واستحثها؛ لتكمل ما كان ليلة أمس من الحكى والسرد، لكن وعدا اشترطت لتكمل قصتها، أن يقص عليها صاحبنا المعلم، كل ما وقع اليوم معه في مدرسته التي يعمل بها، فقبل صاحبنا الشرط على مضض؛ لشوق أذنيه أن يسمعا، وزهد لسانه في الحديث

مضى صاحبنا المعلم، يحكي ما حدث له في يومه، وتجاوز في حكايته، حتى أتى عليها في دقائق معدودات، ثم استنجز وعدا وعدها، لتقوم بدورها فتروي وتروي غلته

بدأت وعد حديثها، وقد أعجبها تشوق صاحبنا المعلم لجمال كلامها، فقالت: أخبرتك أمس يا سيدي، أنني إنما جئت من بلادي؛ لأبحث عن الشخص الموعود بأن يعيد زراعة الأخلاق والقيم، في مزارعها بعد أن غدت مزارعها جرداء بورا، ثم

أصطحب ذلك الشخص الموعود، لدى عودتي إلى بلادنا، قال صاحبنا المعلم: نعم قد علمت ذلك، ثم سألتك عن سبب ذبول الأخلاق وموتها فلم تخبريني قالت وعد: الآن أخبرك، اعلم يا سيدي أن الأخلاق كانت رائجة الحال بين البشر منذ زمن بعيد، وكانت أشد توهجا في أزمان الأنبياء والمصلحين، غير أن أغلب البشر قد تخلوا عن إيمانهم بالله بوتيرة متسارعة، فاستحوذ عليهم الشيطان أخيرا، ووسوس لهم فاتبعوه، وأوقعهم في شرك الاعتقاد بأن لا قيمة للأخلاق والقيم، وأوهمهم أن هذا الزمان لا يتطلب خلقا، بل يتطلب مالا وغنى، فانخدع البشر جميعا، وانهزموا أمام إغراءاته، وصدق عليهم إبليس ظنه، فاتبعوه إلا قليل منهم

ومضى كل ذي خلق يتنصل من خلقه، كمن يجرد نفسه من ملابسها، وكل ذات فضيلة تنفصل عن فضائلها، كمن خلعت عن رأسها حجابها، وأنشبت الرذائل أظافرها في صدور الناس غنيمة باردة، وتمكنت مخالبتها منهم قلوبا سائغة، فاستخرجت كل حسن منها، وتعود الناس الكذب والظلم والخداع، فألفوا ثلاثتهم، ثم أحبوهم، ثم رضوا بهم دينا، فأمست الحال بين البشر ظلما وظلاما كما ترى

قال صاحبنا المعلم: وهل لديك تفسير لتسارع البشر في تخليهم عن إيمانهم بالله، يا يا بنة تميم الأجد، قالت وعد: نعم، السبب هو زلزال إيماني عظيم، وقع في اليوم الثالث من الشهر الثالث، بعد مرور ١٩٢٤ عاما، على ميلاد عيسى ابن مريم، وكان ذلك في بلاد الترك، على يد والد الترك وملكهم

قال صاحبنا المعلم، وقد فهم إشارات وعد التاريخية: هل تقصدين أن ذلك الحدث التاريخي هو المسئول عن تخلي المؤمنين عن إيمانهم؟ قالت وعد: بلا أدنى شك، قال صاحبنا المعلم متعجبا: وأنى لك يا وعد معرفة كل ذلك، وأنت تعيشين بعيدا عن بلاد البشر وأحداث تاريخهم؟؟

قالت وعد: قد علمت ذلك وأكثر منه، من الهاتف الذي يأتينا في بلاد القيم، ويخبرنا بما يريد من معلومات ورسائل وتعليمات؛ لأنني وأختي الحراس على حقول

الأخلاق، من بعد رحيل أبي الأمير تميم الأمجد، وعمي طيب رجبين، منذ شهر مارس عام ٢٠١١م، وذهابهما بقومي جميعا إلى الجهاد في بلاد الشام، وتفويضنا نحن بنات الأمير تميم الأمجد الثلاثة بحراسة بلاد القيم، وإدارة شئونها، حتى عودتهما وأبناء شعبنا سالمين مظفرين إن شاء الله تعالى قاطعها صاحبنا المعلم سائلا في دهشة: وكيف يستطيع قومك المشاركة في الجهاد، وهم أسراب من الفراشات الرقيقة لا غير؟

قالت وعد: إن قومي منخرطون في القتال مع الحق ضد الباطل في كل الساحات، حيث يكونون فرقا استخباراتية، على أعلى مستوى من الدقة والمسئولية، ويتولون نقل المعلومات عن الأعداء وخططهم وأماكن تركزهم، ومكامن قوتهم، ونقاط ضعفهم، وطرق إمداداتهم وطرق هروبهم، كل ذلك يحمله قومي من الفراشات على أجنحتهم الرقيقة، وفي رؤوسهم الدقيقة، ويهدونه للمجاهدين ليستعينوا بهم في وضع خطط الانتصار على عدوهم، دون أن يشك شخص واحد من جيوش الظالمين، في الدور الذي يقوم به قومي من الفراشات

سرح صاحبنا المعلم لحظة، وهو يفكر في شجاعة سرب من الفراشات، يشارك في الجهاد ضد الظلم، وشعر بشيء من استصغار النفس، وتمنى لو أنه تمكن من تقليد هذا السرب الشجاع من الفراشات المجاهدة في الانضمام إلى صفوف المجاهدين في شام العرب الأغر، لكنه عاد على نفسه يلومها على أمنيتها، وهي على دراية كاملة بالمعوقات السياسية والأمنية، التي تحول بين أمثاله، وبين تقليد تلك الفراشات الحرة المجاهدة

وبعد تلك اللحظة من التفكير، هز صاحبنا المعلم رأسه من أعلى لأسفل مرتين ثم قال: قد فهمت يا بنة الكرام المجاهدين، فأكملي ما كنت تقولينه قبل أن أقاطعك بسؤالي

قالت وعد: لقد توارثت عائلتي حراسة بلاد القيم، منذ وجدت بلاد القيم على الأرض، وكل جيل من عائلتي يخبر الذي يليه، بأنه سيظل الكون زماناً تدم فيه الأخلاق، وينفر بنو آدم منها، حتى تموت زهور الأخلاق في أكامها؛ كمدا على نبذ

البشر لها، ويوصي الآباء منا الأبناء، بأنه متى تموت زهور الأخلاق، وتخرّب بلاد القيم، فلن يكون الخلاص ساعته، إلا على يد إنسان واحد، هو الذي يعيد زراعة الأخلاق في بلاد القيم، وأن حراس الأخلاق عليهم أن يبحثوا عن هذا المخلص، الذي ينقذ البشر من براثن الرذيلة

وقد شرفني الله بعد سفر أبي وقومي، بأن جعل البحث عن هذا المخلص في عهد حراستي لبلاد القيم، وكم تمنى حوز هذا الشرف كل من كان قبلي من الحراس، لكنني استأثرت به – بفضل الله – دونهم

وهنا خفق وطار قلب صاحبنا المعلم سرورا، وقد ظن أنه المخلص للبشر مما يفعله بعضهم ببعض، من ظلم وفساد بسبب غياب القيم، وأن وعدا إنما جاءت لتحمله إلى بلادها، وقبل أن يقول: وهل أنا ذلك الشخص يا وعد؟ قالت وعد: عذرا يا سيدي المعلم، فإني لم أخبرك أن هذا المنقذ، سيكون فتاة، وليس رجلا، فهي الموعودة بذلك، والمصطفاة من السماء لأداء هذه المهمة المقدسة

قال صاحبنا المعلم بصوت فيه شيء من الانكسار: لا ضير يا وعد، المهم أن تعود القيم والأخلاق إلى سابق عهدها، ولكن من هي الفتاة المعنية لذلك؟ قالت وعد: إنها الأميرة التي كتب الله أن تولد في آخر الزمان، فتبعث الأخلاق من جديد، وتحيي القيم بعد نسيانها، وتعيد الإيمان في قلوب الكثير من الناس، بعد أن تغرس الأخلاق بيدها في بلاد القيم، فتنمو وتزهر ويعود عطرها محملة به الرياح إلى بلاد البشر، فينعمون بعد الشقاء، وتشفى قلوبهم من كل داء، إنها الأميرة الملقبة بذات الشيم، أميرة بلاد القيم

قال صاحبنا المعلم: ضرورة إذا أن تسرعي إلى هذه الأميرة لتخبريها بكل الأمر، و بواجبها في العودة بالبشر إلى سابق عهد، كانت فيه الأخلاق رائجة، والقيم سائدة، قالت وعد في كثير من الأسى: ليتني أعرف اسمها، أو حتى مكانها، مثلما عرفت لقبها

تعجب صاحبنا قائلا: أولا تعرفين شيئا من ذلك؟ أمأت الفراشة برأسها الصغير أن لا، قال صاحبنا المعلم: وكيف ستصلين إليها إذا؟ قالت وعد هذا ما جئتك من أجله، لقد جئت إليك لتساعدني في العثور على الأميرة المنشودة، والوصول إليها

تبسم صاحبنا المعلم، وقال ماذا ... تريدين مني أنا أن أساعدك في الوصول إلى فتاة؟ وقد علمت طبائعي وشمائلي، وبلوت موقفي منهن قالت وعد: يا سيدي ما كان مجيئي إليك مصادفة، بل عمدت إليك قصدا، قال صاحبنا المعلم مستغربا: ولماذا أنا بالذات؟ قالت وعد: لأنك مقدر لك أن تقابل الأميرة يوما ما

قال صاحبنا المعلم: ومن أخبرك بذلك؟ قالت وعد: يوم أن رأيت موت آخر زهور للأخلاق وتساقطها بعيني، تمكن الحزن مني وأختي، وعلمنا أن البحث عن أميرة الأخلاق التي تعمر بلاد القيم بوصولها قد حان، لكننا ثلاث فراشات، لا حول لهن ولا قوة ولا طول، ولا معرفة لنا باسم الأميرة أو مكانها، فلم نجد أمامنا إلا باب دعاء الله، فأدمننا الطرق عليه، فإذا بهاتف نسمع صوته ولا نراه، يقول لنا: من أراد العثور على أميرة الأخلاق، فليتبع هذا الخيط من النجوم، ولا يحيد عنه، فإنه ينتهي إلى منزل حارس الأميرة المعلم، المقدر له مقابلتها، فإنها تحل في حنايا قلبه حبيبة، وهو الدليل إليها بلا شك ولا ريبه

فتودعت وأختاي، بعد أن أرسلتهما في مهمة خاصة، وأسرعت في الطيران متبعة خيط النجوم الذي ظهر فجأة في السماء، حتى وصلت إلى هنا، ثم اختفت النجوم، كأن لم تغن ساعة

قال صاحبنا: ألم يخبرك من أرشدك إلى طريق النجوم باسم الأميرة؟ قالت وعد: لا، غير أنني سألته عن اسمها، فأخبرني أنه لم يؤمر أن يصرح باسمها لكنه حكى لي أنك ستقابلها في أحد أيامك، لا محالة وأنت ستقع في غرامها

قال صاحبنا المعلم وهو يضحك: لقد وهم هاتفك يا بنة تميم الأمجد، فأنا لن أغرم بفتاة ما حييت

قالت وعد، وكأنها لم تسمع الجملة الضاحكة من صاحبنا المعلم: لكن الهاتف ذكر لي لغزا يتضمن اسم الأميرة، وأكد لي أنك الوحيد الذي ستقدر على حل هذا اللغز

توقف صاحبنا المعلم عن الضحك، وقد استثاره ذكر اللغز، ودفعه الفضول للعودة إلى الاهتمام الشديد بكلام وعد، وقال لها: وما هو اللغز؟ هاته مسرعة يا بنت الأمجد

قالت وعد: أخبرنا الهاتف الصديق لغزا يتألف من ثلاثة أجزاء، قال الهاتف في الجزء الأول " إن اسم الأميرة ذات الشيم يتألف من خمسة أحرف، وهو اسم يتضمن وصفا عاما لكل الأخلاق والقيم والشمائل المرضية"

وقال الهاتف في الجزء الثاني: "إنك متى تحذف من اسم الأميرة الحرف الأخير يصير الاسم صفة من صفات الله العليا، واسما من أسمائه الحسنى"

وقال الهاتف في الجزء الثالث: "....."

قالت وعد متحسرة: لقد سقط الجزء الثالث من لغز الهاتف من ذاكرتي، وما أنسانيه إلا الشيطان أن أذكره

نسيت وعد الجزء الثالث من اللغز، وقد أخبرها الهاتف فيه، أن اسم الأميرة ذات الشيم يتضمن جميع حروف اسم النبي الأعظم، عليه السلام، وحروفا من أسماء خلفائه الراشدين الأربعة وألقابهم: عبد الله بن عثمان الصديق، وعمر بن الخطاب الفاروق، وعثمان بن عفان الحبي، وعلي بن أبي طالب الكرار

وأخبرها فيه أيضا أن اسم الأميرة ذات الشيم، يتضمن كذلك حروفا من أسماء وألقاب، جميع خلفاء الرسول الأعظم، بداية من الحسن بن علي بن أبي طالب، ومعاوية بن أبي سفيان، وحتى تمام عقد خلفاء الرسول الأعظم، وهو الخليفة عبد الحميد، فقد توزعت حروف اسم الأميرة ذات الشيم ما بين أسماء خلفاء المسلمين وألقابهم، فمن لم ينل بركة حرف من اسمها في اسمه، نال تلك البركة في لقبه،

وهذا حكم عام مبارك، يشمل سلسلة خلفاء الرسول الأعظم جميعا، من راشدين وأمويين وعباسيين وعثمانيين

نسيت وعد الجزء الثالث من اللغز، على الرغم من أنه الجزء الأوسع من حيث المعلومات، ولم تنقل إلى مسامع صاحبنا المعلم، سوى قسمين، قوي على حملهما رأسها الدقيق

وبعد أن أفرغت وعد، ما حوته جعبة عقلها، من خبر اللغز المتضمن اسم الأميرة ذات الشيم، جعلت تفكر في الجزء الذي اعتورته معاول النسيان في ذاكرتها

وبينما كانت وعد مستغرقة في التفكير، في الجزء الثالث من اللغز، كان صاحبنا المعلم مستغرقا في التفكير، في الجزء الأول والثاني، يحاول أن يجد رابطا بين صفات الله وأسمائه من ناحية، والأوصاف التي تطلق، على الأخلاق والقيم والشمائل من ناحية أخرى

ساد الصمت المكان، مدة ليست بالقصيرة، وعقل وعد وصاحبنا المعلم يسبحان في بحور التفكير وتياراتها، ثم قطع صاحبنا المعلم هذا الصمت بقوله للفراشة : ألم يخبرك الهاتف بشيء آخر تذكرينه؟ قالت وعد متحسرة: لقد أفرغت بين يديك كل ما في ذاكرتي بشأن اسم الأميرة، مما أخبرني به الهاتف

قال صاحبنا المعلم: ولكن هل تعرفين من هو صاحب هذا الصوت؟ قالت وعد: لا أعرفه ولم أره، لكنه قد اعتاد أن يزورنا كل فترة، ويخبرنا بما في جعبته من معلومات وتعليمات، ربما يكون جنيا مؤمنا، أو ملكا مرسلا قد أرسل ليخبرني بهذا كله، لكن شخصه لن يشكل فارقا هنا، قال صاحبنا المعلم: أو لعله غير ذلك

شعرت وعد أن صاحبنا المعلم يشكك في حديثها، ليتهرب من مسئولياته التي حددها هاتف بلاد القيم، فأسرعت تقول: فليكن من يكون، فإنه عندي صادق غير متهم، وقد اتبعت خيط النجوم التي قال لي عنه، فوصلت إليك

قال صاحبنا المعلم: لكنه قال لك اتبعي النجوم، تصلي لحارس الأميرة، ولست حارسا لأحد، ولست مستعدا لأن أحرس إحداهن، قالت وعد: وقد ذهب بها الغضب كل مذهب: إياي والتشكيك فيما أقوله، أيها المعلم، لقد ترك أبي بلاد القيم أمانة في عنقي، ولقد تعبت كثيرا حتى وصلت إلى هنا، فإن لم تكن قادرا على مساعدة من إليك لجأ، فاتركني أقوم بذاك وحدي، فأنتم - أبناء آدم- ما أكثر ما تتلون لديكم أفانين الشكوى، مما قد حل بكم، ويوم تسنح بأيديكم فرصة، لتغيير ما منه تتبرمون، فإن أعني القوم شجاعة فيكم من يفر أولا، ثم لا يألو جهدا في تلمس الأعذار لنفسه، فهذا فن من قديم أتقنه البشر ... بهذا وصفكم أبي الأمجد، وأنتم هكذا تكونون

نالت كلمات وعد الموجهة من صاحبنا، فقد أدمت كرامته، وأورثته الخجل، وأدرك أنه قد أخطأ في حق ضيفته، التي لم يمر على معرفته بها سوى يومين، فاعتذر لها في الحال، ثم قال لها: لا تقلقي يا ابنة تميم الأمجد، وسلالة المجاهدين الكرام، فلن يقر لي بال أو جفن، ولن يهدأ لي فكر، حتى أحقق بغيتك، وأساعدك حتى تصلي إلى أميرتك، وتعودي معها سالمة إلى بلاد القيم

قالت وعد: وقد هدأت ثورتها: أجزل الله لك الشكر يا سيدي، قال صاحبنا المعلم: لا داعي للشكر، فواجب كل أحد أن يسعى حثيثا لاستعادة الأخلاق ثم أن صاحبنا أراد، أن يسأل وعدا، عن سبيله لمقابلة الفتاة التي تلقبها بذات الشيم، وتؤمرها على بلاد القيم، لكنه خشي أن تعود وعد لغضبها، وقال معللا لنفسه: لأصبرن عسى الأيام تبدي لي ما كنت جاهله، أو يأتيني بالأخبار من لم يزود

اكتفى صاحبنا المعلم بحديثه مع وعد إلى هذا الحد، وتمدد على سريره، لكنه لم يغمض عينيه قبل أن يسأل نفسه: هل تراه يوما يكون حارسا لفتاة؟ هذا والله عنده من المعرات التي تعدم أسبلة دفعها، ثم إنه لا يصدق أصلا أن هناك فتاة تستحق أن تكون سيدة للأخلاق وأميرة للقيم

إنه فقط يوقن، أن الفتيات يصدق فيهن، أسوء الظنون، فهن عنده ممتزجات بكل شر، متصفات بأقبحه، متشحات بأمكره، وقد حزن فضل السبق في كل ما يصم، من سفاهة وطيش، وقدح في عقل ودين، ويعد نفسه معذورا، فيما يذهب إليه بترديد قول قد ذاع واشتهر: هن ناقصات عقل ودين لا مشاحة في ذلك .. ويدلل على صحة مذهبه، بما فعلته به هذه الفتاة التي سعت لإيقاعه في أحبالها، رغم أنها معقود قرانها على بعْلِها، ويذكر نفسه بهذه التجربة المريرة، إذا بدا من نفسه نزع أو نزغ إلى تبرئة ساحة فتاة، ولو رأى يقينا أنها من ذوات الفضائل

وبالتحقيق ليس صاحبنا المعلم بالمؤمن، أن تكون في هذه الدنيا فتاة تعرف من معنى الخلق، فضلا عن أن تتأمر على الأخلاق، لكن ذكر ذلك أمام وعد سيصبغها بالغضب، وقد جاءت من بعيد بلادها في لهفة؛ سعيًا للوصول لأميرتها، وهي في ذلك لا تهدف إلا لخير البشر، ولا نفع يعود عليها من ذلك ... فليكن الأمر كما أراد الله له أن يكون

طرح صاحبنا المعلم الأمر برمته من رأسه؛ خشية أن يقض مضجعه، ولم يتمالك نفسه أن ذهب في بحور الكرى، وغط في أعماقها

(٣)

نام صاحبنا المعلم فرأى في نومه عجبا، إذ رأى نفسه يسير، في ظلمات بعضها فوق بعض، ولا حد يستبين لها، فرفع يده تلقاء عينه، فلم يكد يراها، فشعر بأن الخوف والهلع يسيطران عليه، لكنهما لم يكونا بقدر الضياع، الذي أحس أنه يغمره حتى أذنيه، وأنه سيزداد ارتفاعا، ليغطي رأسه كله، فينسيه شيئا منهما

دأب صاحبنا المعلم في ظلماته، يركض يمنا ويسرة، أشواطا وأشواطا كثيرة، ويدور حول نفسه في حلقات مفرغة، وهو في أتم العجز عن أن يرى شيئا في هذا الظلام الدامس، وبعد أن ضاقت نفسه من ركضه غير المجدي، وبعدما آيست روحه لفقدان كل أمل في النجاة، لاح لعينه من بعيد نور يهبط من السماء، فطار قلب صاحبنا المعلم قبل رجليه نحو مهبط النور، لقد كاد قلبه ينخلع خفقانا من جلال ما وجدت عيونه

رأى صاحبنا فتاة ليس كمثليها فتاة، فقد تيقن فور مرآها، أن الجمال عبد من عبيدها، وأن كل فضيلة من مكارم الشرائع تنسب قسرا وعسفا إلى غيرها، قد أبقت إليها من غابر الأزمان، والتحقت راحة ساجدة تدعوها خوفا ورجاء أن تحوزها وتضمها متفضلة إلى روائع خلالها

رآها مستوية فوق عرشها، تجلس كهيئة الملوك، حولها أسراب من الحمام المنير، وتضع يديها المضيئتين، على ساعدي عرشها، المزدان بمجامع آيات الروعة والبهاء، وترتدي على مفرقها، تاج أخاذة جواهره بالأبصار، وتحت سواد ليل قد احتلك، كأسحم ما يكون، وصيغ منه شعرها، الذي انسدل خلف ظهرها، فبدأ وكأنها قد ألقت منه خصلة، في بحر الظلمات، فما اعتكر ظلمة إلا بخصلتها، أو كأنما قد اصطبغ الليل الدامس، بسور ما أشرب من سواد شعرها

ومع ذلك فالوجه منها، يشرق منه نور عجيب، ومن رام أن يكيف هذا النور غيبه أيما غيب، فما أبهاه وجهها، وأضوى به من نور، لقد كاد نورها ليحجب نور أسراب

الحمام الأبيض، الحاقّة من حول العرش، ترفرف الأجنحة حول الفتاة النورانية،
وكان هذا الحمام، جند هذه الأميرة الرقيقة الرابضة على عرشها
فمن رام هنا عجباً، فليعجب من قول الفلاسفة باستحالة اجتماع الضدين، فكيف
يصدق قولهم، وقد اجتمعا وتصالحا، وتوافقا وتحالفا؛ لتصوير جمال هذه الملكة
الاستثنائية، فأفحم الليل الحالك شعرها، والصبح المنير غرة وجهها، وما عهدت
الخلائق اجتماع الصبح والليل قبل اليوم
فغر صاحبنا فاه – وحق له- وفتح عينيه على اتساعهما، ولم يجد- وما يستطيع
ولا غيره- تفسيراً للأنوار هذه الآية الخلابة الأبواب، الوهّابة لدلائل الإبداع، ولكنه
سعد على كل حال، بتبدل الظلمة حوله أنواراً، وبما ارتوت عيناه من جمال عيونها،
وتقطرت قناطير سعادته، بسماعه الفتاة الملكة تناديه باسمه، وتقول له في رقة
وعذوبة عزتا عن الند:

"لست مثلهن ولنس مثلي، فلا تستوين عندك الأنوار والظلم " قالتها مرتين أو
ثلاثة، وكل حرف زل من مرشفها، نثر النور يمينا وشمالا

وبعدها أخرج بهذا الموكب النوراني، من حيث جاء، وصعد متهاديا إلى السماء،
وببصر حزينة مآقيه على سرعة الارتحال، فشييع صاحبنا الأميرة، والسحر الذي
انسكب من لسانها في كل كيانه، لا يزال في ابتداء مفعوله، وسيتضاعف مفعوله
بمرور اللحظات

ودع صاحبنا موكب النور، الذي غاب في زرقة السماء، ولم يستطع أن يصرف
بصره المعلق بالأعلى، ولا أن يكف كلتا يديه عن التلويح إلى خيمة الدنيا الزرقاء،
ولا أن يكف لسانه عن الاستمرار في ترديد ما قالتها الأميرة، ولا أن يمنع أذنيه من
الرغبة في الاستزادة، من سماع ما يردده لسانه

وفي النهاية أعاد المسكين بصره إلى الأرض، خاسئا وهو حسير، وأجال الحاظه
حوله، فوجد نفسه يبصر كل شيء، وأدرك أنه قد كان أعمى، وأبصر بنور هذه
الفتاة الملانكية، وأدرك حينئذ أن العيب لم يكن إلا في عينيه، فها هي الشمس

تخترق كبد السماء، فتكسو بأشعتها جميع الأرض، لكنه لم يتسن له رؤيتها، إلا بعد أن رأى نور الفتاة، وأبصر بسببه

اقتحمت الدهشة نفس صاحبنا، ومرحت بها تجوالاً، إذ كيف تكون الشمس ساطعة ولا يراها؟!!!

وأدرك أنه قد كان أعمى، وأنه عجز عن رؤية الشمس التي كانت متوهجة الأضواء، قبل نزول موكب الأميرة من السماء، وأن الشمس كانت متوهجة الأضواء بعد نزول موكب الأميرة إلى الأرض، فلا بد أن يكون نور الأميرة الملانكي، قد غلب ضوء الشمس وأخفاه، وهو في عنفوانه، والشمس في ريعان شبابها تتوسط السماء

تأسف صاحبنا في نفسه كثيراً؛ لأنه أراد أن يلحق بالأميرة، أو أن يجد طريقاً للتواصل معها؛ ليشكرها على عودة البصر إلى أحداقه، لكنه لما يلحق بها، ليجزل لها الشكر، ويوفر لها الامتنان

(٤)

جاء الصبح شاهرا سيف نوره، يختال ضاحكا، حتى كاد من الحسن أن يتكلما، راجزا أو شاعرا، وأفاق صاحبنا المعلم من نومه، وهو يردد مقالة فتاة الحلم ذات الوجه النير " لست مثلهن ولسن مثلي " وتساعل في نفسه ماذا تراها تقصد ؟ ومن هي التي ليست مثلهن ؟ ومن هن اللاتي لسن مثلها؟

انثال هذا الحلم على أبعاض بال صاحبنا المعلم وجوارحه، فاستحوذ عليها واختلبها، وحل بين كبده وقلبه ولم يشعر بنفسه، حتى وهو يبذل ثيابه متوجها إلى عمله ، فنسي أنه لم يتناول إفطارا

وطوال يومه، كانت عبارة فتاة الحلم تسيطر على رأس صاحبنا المعلم، وتعصبها فتحتكرها لتمنع غيرها من الفكر-حتى- من ورود على ذهنه، وتأنف إلا أن تبقى متلعثما في شرحه لدروسه لطلابه في فصله

شغله ذلك الحلم فاجتهد يفكر في تفسيرات له، فما ظفر إلا بواحد، أنه قد عاش عمره يتخبط في الظلمات، وأنه لن يبرز له فجر يضيء حياته ويبدد الغشاوة عن ناظره، إلا بهذه الفتاة التي رآها في الحلم، ولكن أين هي تلك الفتاة المنيرة طريقه حالما، حتى تنير له حياته يقظانا ؟

وفي معرض سعيه للتخلص من تأثير هذا الحلم على عقله، وعلى سلوكه وتصرفاته، استغل فرصة تفرغه حصتين متتاليتين في هذا اليوم وتوجه إلى المكتبة

دخل صاحبنا المعلم إلى مكتبة المدرسة، وأغلق على نفسه الباب من الداخل، كما تعود أن يفعل حين يريد أن يختلي بنفسه يحاسبها أو يعاتبها أو يكافئها أدار صاحبنا المعلم عينيه سريعا بين عناوين الكتب في أرفف المكتبة، ثم استل من بين الرفوف كتابا، وجلس يقرأ فيه

كان الكتاب يحمل عنوان (رسالة الغفران لأبي العلاء المعري) وقد قرأ صاحبنا المعلم هذا الكتاب من قبل، لكنه أحب أن يعيد قراءته من جديد، بمناسبة ما رآه من حلم عجيب

اجتهد صاحبنا المعلم أن ينخرط مع المعري في رسالته، وانتقاله بين الجنة والنار، لكن صورة فتاة الحلم، كانت تغلي في رأسه مجدداً، إنه يشفق إلى معرفتها، إلى لقيائها، إنه يتلهف على تكرار الحلم بها، وتشمم ردها مجدداً، وهو الذي يزعم ليل نهار أنه يتخذ من نفسه عدواً لبنات آدم

سمع صاحبنا المعلم صوت قرع باب المكتبة، فنهض مغتاضاً، وفتح الباب بحرص شديد، ووقف يسد بجسده ما انفتح من الباب، وفي نيته أن يمنع هذا الطارق من الدخول بالقوة، وأن يعنف هذا المهاجم الذي أراد أن يقتحم عليه خلوته، غير أنه تراجع واستبدل رأيه حين رأى الطارق، وقابله ببشاشة ومودة، وانسل هذا الطارق القصير النحيف بعفوية وبلا تردد، من مساحة ضيقة توفرت له، ورآها كافية، ما بين جنب المعلم الأيسر، وجسد الباب، فدخل الصبي تغطي رأسه لدى انسلاله عبارات الترحيب والتبسم من فم صاحبنا المعلم ووجهه

كان الطارق الصبي طالباً نجيباً من طلاب الصف الثالث الإعدادي بالمدرسة، يسمى بدر العربي، وما إن رآه صاحبنا المعلم حتى هش له، وأشار إليه بالجلوس، فجلس الصبي وهو يقول: صباح الخير يا أستاذي، فأجابه صاحبنا المعلم مبتسماً: صباح الخير يا بدر، كيف حالك يا صديقي الصغير؟ قال الصبي في سعادة: الحمد لله بخير حال يا أستاذي

كان هذا الطالب المتفوق يختلف يومياً إلى صاحبنا المعلم، منفرداً أو تصحبه مجموعة صغيرة من زملائه المتفوقين الحريصين على الاستزادة من العلم، وتجاوز حدود مناهجهم الدراسية، وهو ما كان يوفره لهم صاحبنا المعلم بثقافته الواسعة، من معلومات علمية وأدبية وتاريخية ودينية متنوعة

وكانت هذه المجموعة الضيقة من الطلاب، تعرف جيداً أن أستاذهم المثقف، إن لم يكن في حصة دراسية، فإنه لا يجلس إلا في أحد مكانين، أولهما غرفة المعلمين،

مع زملائه المعلمين، وثانيهما المكتبة، فهو المسئول عنها والمدير لشئونها، فمتى بحث طلاب هذه المجموعة عن أستاذهم في غرفة المعلمين ولم يجده، عرفوا أنه في المكتبة لا محالة

وهذا عين ما فعله بدر، إذ بحث عن أستاذه في غرفة المعلمين، فلم يجده، فأسرع إلى المكتبة ليجلس مع أستاذه، وقد رأى أن يستغل حصة التربية الرياضية المقررة على صفه هذا اليوم، وقرر أن يترك زملاءه يلعبون كرة القدم، في ملعب المدرسة، وأن يجالس أستاذه ليفيد منه معارف جديدة

وكان بدر العربي يجد لذة ونعيمًا، في سماع ما يفيض عليه أستاذه من علوم ومعارف، وخاصة ما يروييه الأستاذ من قصص وحكايات تمجد التاريخ العربي، قديمه وحديثه، وكان صاحبنا المعلم يفتن في ذلك افتنانًا عجيبًا، يأخذ بمجامع قلب الصبي ويملك عليه لبه، فكانت هذه القصص تجذب الصبي جذبة واحدة، وتحمله في سماء الخيال، وتعبر به حدود المكان والزمان، فتلقيه دفعة واحدة بين أحضان أبطال العرب في الجهالة والإسلام على حد سواء

فتارة يمتطي بدر مع الجساس صهوة حصانه، وحينًا مع عنتره بين المراعي والوديان، ومرة مع القعقاع التميمي، وخالد بن الوليد في النزال، ضد الظالمين وأهل الطغيان

كان الصبي يشعر بحق أنه يعايش هؤلاء الأبطال، ويعاين بطولاتهم، ويطاول أمجادهم، فيقتطف منها ما يشواق إلى تقليده وامتناله، حتى زاحم هؤلاء الأبطال أفكار الصبي طوال أيامه، وكثيرًا ما رآهم يحتشدون ويتصارعون في مناماته

وكان صاحبنا المعلم يتعجب من غرام هذا الصبي بالقصص العربية الحماسية، ويتعجب أكثر من قدرته على حفظ الأسماء والأحداث والتواريخ التي ترد في ثنايا هذه القصص

وكان الصبي يفكر كثيرًا في التفاصيل الدقيقة داخل هذه القصص، ويمطر أستاذه كلما وقعت عيناه السوداوان عليه، بسيل من الأسئلة عن هذه التفاصيل الدقيقة،

أغلبها من نوع لماذا حدث كذا بهذه الطريقة؟ ولماذا لم يحدث بالطريقة الفلانية؟ هل من المفترض أن يحدث كذا وكذا؟ ألم يكن من الأولى أن يحدث كذا وكذا؟

وكان صاحبنا المعلم، يجيب عن أسئلة الصبي كلها، مهما كان عددها وابتسامته لا تفارق وجهه أبداً، والصبي يهز رأسه من أعلى لأسفل إن فهم واقتنع، ويهزها يمينا ويسارا إن لم يفهم، وإن فهم ولم يقتنع وقد نشأت من جراء ذلك صداقة متينة، قوامها العلم والاستزادة منه، بين صاحبنا المعلم من ناحية، وبين الصبي بدر من ناحية أخرى، وقد اتخذ بدر صاحبنا المعلم قدوة مثلى له، وتمنى أن يكبر فيكون مثل أستاذه في العلم والثقافة، فإن لم يستطع أن يكون مثل أستاذه، فعلى الأقل أن يكون مثل هؤلاء الأبطال الذين يسمع حكاياتهم من أستاذه

وكان بدر كثيرا ما يتقابل مع صاحبنا المعلم، في صلاة الجماعة بالجامع العمري الكبير، فربما وقفا أو جلسا في زاوية من زوايا الجامع، يسمران ما بين صلاتي المغرب والعشاء، وكثيرا ما تقابلا في طرقات القرية وشوارعها، وكثيرا ما سارا معا ما اتفق من طريقهما، حتى إذا اختلفت بهما الطرق افترقا

وكان صاحبنا المعلم في كل ذلك يعامل بدرا، وكأنه شاب ناضج، يملك عقلا راجحا يليق برجل كبير، ويظهر له ولعقله ولطريقته في التساؤل احتراما عظيما، وقد سبق له أن ناقشه في أمور كثيرة، أظهر الصبي -على حداثة سنه- في مناقشتها من رجاحة العقل، ونفاذ البصيرة، ما شجع صاحبنا المعلم على استشارة هذا الصبي الباهر، في بعض أموره الحياتية، فربما أبدى الصبي رأيا قد غفل عنه صاحبنا المعلم، رغم طول كره وفره، بحثا عن بت لما علق في ذهنه، من جراء هذه الأمور

وفي هذه الساعة التي دخل الصبي على أستاذه المكتبة، وجلس بجواره يبتسم، وبعد أن حياه تحية الصباح، لاحظ الأستاذ الفضول الناطق من عيني تلميذه تجاه كتاب المعري، الذي يمسكه بيده، ويبدو أن الصبي قد أعجب بما رسم على غلاف

الكتاب، والألوان التي اصطبغت بها تلك الرسوم، لكنه لم يجروْ على أن يطلب من أستاذه أن يتصفح هذا الكتاب الشيق

لكن الصبي طلب من أستاذه طلباً آخر، فقد طلب منه، أن يجيب له عن بعض الأسئلة الخاصة بتفاصيل آخر حكاية سمعها منه، فاعتذر صاحبنا المعلم للصبي على غير العادة، لأنه مشوش الفكر قليلاً، فرجاه الصبي أن يروي له ولو جزءاً صغيراً، من قصة جديدة، فابتسم له الأستاذ ابتسامته المعهودة، وقد عز عليه أن يعود الصبي خالي الوفاض في يومه هذا

قال صاحبنا المعلم لتلميذه: لن أحكي لك اليوم قصصاً، بل سأعطيك هذا الكتاب، على سبيل الاستعارة، لتقرأه وتفهم حكاياته جيداً، فهو من أهم الكتب في الأدب العربي

تناول الصبي الكتاب، وهو لا يملك نفسه من الفرح، وقرأ عنوانه "رسالة الغفران لأبي العلاء المعري" ف شعر بالفخر لأنه سيقراً كتاباً مثل هذا، فلا شك عنده أنه كتاب مهم، بل لابد أن يكون في غاية الأهمية

حمل الصبي غنيمة العلمية لهذا اليوم بين يديه، وهم بالانصراف عن أستاذه والعودة إلى صفه، وهو يقول: سأقنع اليوم بهذا الكتاب، على أن تقص علي غداً، قصة طويلة من قصص العروبة، عوضاً عن قصة اليوم

ضحك صاحبنا المعلم من كلمات الصبي، وقال له: غداً يا بطل ستكون أنت الذي يحكي، ما فهم من هذا الكتاب، وسأكون أنا المستمع لحكيك، لأعرف مقدار فطنتك وقدرك على فهم المكتوب

أدرك الصبي الذكي مراد الأستاذ، وفهم أنه يشجعه على الاجتهاد في قراءة هذا الكتاب، وأنه ينقله إلى مرحلة جديدة من مراحل تلقي العلم، وفيها يعتمد الصبي على نفسه بدلاً من معلمه، وفيها يتلقى العلم عن طريق القراءة الذاتية، وليس عن طريق الاستماع من أستاذه

شعر الصبي بالتحدي، وقد أطربه أن أستاذه سيبلو فطنته، فرد على أستاذه بقول ينبض بالجد وتمام التشمير، وقال في حماسة وإصرار: حسناً يا أستاذي اتفقنا

وبعد انتهاء اليوم الدراسي عاد صاحبنا المعلم إلى منزله، حيث حكى لفراشته وعد كل ما جرى له من أحداث في يومه، بداية من طابور الصباح وانتهاء بجرس الخروج من المدرسة

وبعدما انتهى صاحبنا المعلم، من سرد تفاصيل يومه الدراسي، تفرغ ليسرد على مسامع وعد، تفاصيل الحلم النوراني العجيب، الذي رآه ليلة أمس، لعله يجد عند وعد إجابات، لما يدور في رأسه من علامات استفهام، لكن وعدا ما زادت رأسه إلا دوارا فوق دواره، ولم يجد عندها ما يغني، فقرر أن ينام مبكرا، لعل فتاة حلمه التي زارته أمس، تتكرم عليه بتكرار الزيارة الليلة، فيهنأ بجميل وصالها

(٥)

لم يظفر صاحبنا المعلم في ليلته تلك، بما كان يتمناه من تكرار زيارة الفتاة النورانية في حلمه

وعلى كل حال، فقد استطاع صاحبنا المعلم، أن يتغافل أو يتناسى أمر هذا الحلم قليلا، عندما شغل مع بعض زملائه وطلابه، بتجهيزات مدرسته، للاحتفال بعيد رأس السنة الهجرية

وكان صاحبنا المعلم مختصا، بتدريب بعض الطلاب على إنشاد القصائد الدينية، والمدائح النبوية، وهو ما استغرق منه وقتا طويلا، وعملا مضنيا، بدءا من اختيار القصائد المناسبة، ثم كتابتها بالتشكيل، وطباعتها بخطوط واضحة، ثم قراءتها أمام الطلاب المشاركين قراءة نموذجية، ثم قراءة الطلاب بأنفسهم قراءة جهرية، وتصحيح المعلم لكل خطأ يقعون فيه مهما كان صغيرا، سواء أعلق الخطأ بالنطق أم التشكيل أم طريقة الإلقاء، وقد تكلل هذا العمل في النهاية بالنجاح

بذل صاحبنا المعلم، محمود جهده في الإعداد للحفل، وتدريب الطلاب، حتى أتقن الطلاب أدوارهم، وأصبحوا في أتم الاستعداد للعرض في يوم الحفل، وقد تقرر أن يكون الحفل في تمام الساعة التاسعة، صباح يوم السبت، وأن يقام في حديقة المدرسة

وكانت إدارة المدرسة قد قامت بطباعة (كروت) دعوة وإرسالها إلى بعض المسؤولين في إدارة قنا التعليمية، وبعض المسؤولين في منطقة قنا التعليمية الأزهرية، وكذلك بعض المعلمين والمدراء من مدارس أخرى، لحضور الحفل الكريم

بدأ الحفل في موعده المقرر، بحضور جميع المدعوين، بالإضافة إلى طلاب المدرسة، وقرأ أحد الطلاب المجيدين في قراءة القرآن وتجويده، آيات بينات من سورة التوبة

ثم ألقى مدير المدرسة كلمة موجزة، رحب فيها بالسادة الضيوف جميعا، وفي مقدمتهم السادة المدعوون، من علماء الأزهر الشريف، والمربون الفضلاء من مسئولى إدارة قنا التعليمية

ثم أمسك الميكرفون هذا الخطيب، الذي كان يعمل محفظا للقرآن الكريم، في المعهد الأزهرى، ويلقبه الناس، بالشيخ (أبو دربوكة)، والدربوكة هي الطلبة كما هو معلوم عند المصريين

كان الشيخ أبو دربوكة، رجلا عالي الصوت، يحب الخطابة والوعظ، ولديه استعداد أن يقضى الساعات الطوال، وهو يعظ الناس، دون أن يتعب أو يمل

فلما وقع الميكرفون، في أسر هذا الواعظ، توقع صاحبنا المعلم، أن يحكى أبو دربوكة، القصتين اللتين تعود على حكيهما، كلما وقع ميكرفون فريسة في يده

وتحكي القصة الأولى عن الأطفال، الذين كانوا يلعبون بالكرة، على عهد سيدنا عمر بن الخطاب، ثم أفلتت الكرة من بين أقدامهم، حتى دخلت بيت أسقف مسيحي، فلما طلب الأطفال، استعادة الكرة من الأسقف، رفض الأسقف إعادتها، ونهر الأطفال، وسب النبي محمد ﷺ إغاضة للأطفال المسلمين، فما كان من الأطفال، إلا أنهم رجموا الأسقف بالحجارة، حتى قتلوه

وزعم الشيخ أبو دربوكة، أن سيدنا عمر بن الخطاب، فرح بقتل الأطفال لهذا الأسقف، وأنه كافأ هؤلاء الأطفال على فعلهم، وأن سيدنا عمر قال يومها : لم أفرح بحادثة، ولا نصر في الإسلام، كمثل فرحي بقتل هؤلاء الأطفال، لهذا الأسقف الذي سب النبي الأعظم

والقصة الأخرى، تزعم أن رجلا مشركا، جاء إلى رسول الله ﷺ بعد رحلة الإسراء والمعراج، فقال له: يا محمد، ارفع رجلك اليمنى عن الأرض، فرفع النبي رجله كما طلب المشرك، ثم قال الرجل المشرك: يا محمد، ارفع رجلك اليسرى أيضا، فقال النبي للرجل: لا أستطيع، فقال الرجل: كيف لا تستطيع أن ترفع قدميك في الهواء؟ وتريد مني أن أصدق أنك سافرت، إلى بيت المقدس في ليلة واحدة، فقال النبي للرجل: اذهب إلى علي بن أبي طالب، وسوف يشرح لك علي، كيف يكون ذلك

ويزعم أبو دربوكة، أن الرجل المشرك، ذهب إلى علي بن أبي طالب؛ لسمع منه شرحه عن رحلة الإسراء والمعراج، وأن الرجل حكى لعلي، ما وقع بينه وبين النبي، منذ قليل، فما كان من علي إلا أن سل سيفه، وقطع رقبة الرجل، بدون أن يرد عليه كلمة واحدة

وكان صاحبنا المعلم، يكره أشد الكراهية، سماع هاتين القصتين، من الشيخ أبي دربوكة؛ لأن القصة الأولى تعرض المسلمين، على إخوانهم من المسيحيين، عقابا على جريمة سب النبي الأعظم، وتعرض المسيحيين على المسلمين، عقابا على قتلهم لرجال الدين المسيحي

والقصة الأخرى، تتهم الإسلام، بأنه ضد النقاش والمحاورة، فبدلاً من أن يشرح سيدنا علي، معجزة الإسراء والمعراج للمشرك، قطع رقبتة، بدون أن يرد على المشرك بكلمة واحدة

وأعجب ما في الأمر أن الشيخ أبا دربوكة، لا يكاد يختم إحدى قصتيه، حتى ينطلق في موجة طويلة من التكبير، زعماً منه بأنه ينصر الإسلام، ويظهر قوته وعزته، بهذه القصص التي يخرجها من جعبته

ومن أعجب ما حدث، من أبي دربوكة صاحب القصتين، أن مدرسة الوحدة المجمع الابتدائية بالمحروسة، قامت بتنظيم حفل، بمناسبة رأس السنة الميلادية، وكان الهدف من الحفل، غرس مفاهيم الوحدة والتضامن، بين أطفال المدرسة، فمدرسة الوحدة الابتدائية، حالها كحال جميع مدارس مصر، يدرس فيها الطفل المسلم، بجوار أخيه المسيحي، بلا فرق ولا تفرقة

ولم يكن الشيخ أبو دربوكة، مدعوا للحفل بالطبع؛ خوفاً من قصتيه، اللتين أغرق بهما أسماع الناس، طوال تاريخ قبضه، على عنق الميكرفون

ولسوء حظ المحتفلين، أن الشيخ أبا دربوكة، كان في المجلس المحلي لقرية المحروسة، أثناء احتفالهم، والمجلس المحلي، ملاصق لمدرسة الوحدة المجمع، فما كان من الشيخ، إلا أن عطل مصالحه، التي جاء يقضيها في المجلس، وخرج

من المجلس يهرول، حين سمع صوت الميكرفون، دون أن ينهي معاملته، أو يحصل على توقيع موظفي المجلس، المختصين بالتوقيع على أوراق مطالبه
تعمد الشيخ أبو دربوكة، أن يسلم على من يجلسون، على منصة، حفل مدرسة الوحدة المجمعة؛ حتى يخرجهم فيطلبون منه الجلوس معهم، ويكون جلوسه معهم، خطوة استراتيجية، بالنسبة له، تمكنه من الانقضاض على الميكرفون، وخنق رقبتة باليدين، وكنم سماعة رنتيه، بأنفاس الشيخ، وهو يحكي قصتيه الحارقتين

وقد نجحت خطة أبي دربوكة كاملة، فخنق الميكرفون بيديه، وكنم بأنفاسه رنتيه، وحرق الحاضرين بقصتيه، ثم انطلق يكبر تكبيرا كثيرا
خشي صاحبنا المعلم، أن يفسد الشيخ أبو دربوكة، الاحتفال برأس السنة الهجرية، كما أفسد الاحتفال برأس السنة الميلادية، ودعا الله في سره، أن يحول حائل بين الشيخ، وبين الميكرفون

لكن الميكرفون، كان قد سقط بالفعل بين يدي الشيخ، فتوقع صاحبنا المعلم الطامة، وبدأ يعد في نفسه، عدا تنازليا لسماع القصة الأولى، لكن الشيخ أبا دربوكة، فاجأ صاحبنا وفاجأ الجميع، بحكيه لقصة أشد شناعة، من قصتيه المعهودتين
زعم الشيخ أبو دربوكة، أن سيدنا علي بن أبي طالب، قال للصحابه، بعد وفاة النبي ﷺ سلوني عن أي شيء، فإني به عليم، فسمع جبريل عليه السلام، مقالة علي، فما كان من جبريل، إلا أن تشكل في صورة رجل، ونزل إلى الأرض، وتقابل مع سيدنا علي، فقال له: يا علي أنت قلت للناس، سلوني عن أي شيء فإني به عليم؟ فقال علي: نعم، فقال جبريل: فإني أسألك: أين جبريل الآن ؟

قال الشيخ أبو دربوكة: فنظر علي في السماء، ففتش فيها عن جبريل فلم يجده، ثم نظر في كوكب الأرض عن جبريل فلم يجده، فقال علي لجبريل: لقد فتشت السموات والأرض، فلم أعر فيهما على أثر لجبريل، إلا أن تكون أنت جبريل، فقال جبريل : نعم أنا جبريل

وما أن انتهى أبو دربوكة من قصته، ومن تكبيراته، وتم تخليص رقبة الميكرفون من بين يديه، حتى جاء دور صاحبنا المعلم في الحديث جاء دور صاحبنا المعلم، فألقى كلمة منظمة، بين فيها الدروس المعتمدة من حادثة الهجرة الشريفة، ودور الهجرة في نقل الدولة الإسلامية من مجرد فكرة في عقل النبي الكريم ﷺ وعقول المؤمنين بها، إلى حقيقة واقعة تناطح أعظم الدول في ذلك الوقت، مثل الروم وفارس، وتتغلب عليهما مجتمعتين، وترث أملاكهما

وقد توالى بعد ذلك الكلمات من علماء الأزهر والسادة المسؤولين، يفصل بين تلك الكلمات أناشيد وقصائد دينية عذبة، بأصوات الطلاب الذين أشرف على تدريبهم صاحبنا المعلم

وكان بدر العربي ألمع نجوم الإنشاد بين الطلاب المنشدين، فقد خطف أسماع الحاضرين وقلوبهم جميعاً، من لحظة صعوده درجات سلم المسرح الخشبي المقام في حديقة المدرسة، خصيصاً لهذه المناسبة

وكان الصبي العربي، يلفت الأنظار حقاً، فقد تضافر جمال صوته، مع إتقانه لنطق الحروف من مخارجها، وحسن أدائه وتعبيرات جسده، وهو ما أبهر الجميع، وفي مقدمة المنبهرين كان صاحبنا المعلم، الذي وقف يرى ثمرة جهده، وهو يبتسم في سعادة بالغة

وقد اجتهد جميع الطلاب المنشدين أيضاً في أداء أدوارهم، وإنشاد مدائحهم النبوية، جماعات وفرادى، غير أن العربي ظل الأكثر تميزاً حتى نهاية الحفل

وقد لاحظ صاحبنا المعلم، أثناء إنشاد طلابه للقصائد والمدائح أمراً غريباً، فقد لفت انتباهه فتاة منتقبة، تتواجد بشكل دائم بالقرب من المسرح، الذي يعرض عليه الطلاب قصائدهم

كانت هذه الفتاة ترتدي ملابس زرقاء، وفوق رأسها، وعلى وجهها تضع خماراً ونقاباً أزرقين أيضاً، وتقف بمفردها بجوار المسرح، وتحمل بين يديها كاميرا

صغيرة، تصور بها كل طالب على حدة، بحيث تطفئ كاميرا التصوير وتجلس على كرسيها ساكنة، كلما تحدث أحد المدعويين من علماء الأزهر، أو من مسنولي إدارة قنا التعليمية، فإذا أعلن مقدم الحفل عن فقرة فنية يؤديها أحد الطلاب، تهرول هذه الفتاة من مكانها وتبدأ في التصوير مباشرة، وكأنها ترغب في تسجيل الفقرات الفنية الإنشادية، بصوت الطلاب فقط

ولم يكن محل الغرابة فقط في تواجد هذه الفتاة بجوار المسرح، بل كذلك في حصرها لعملية التصوير للطلاب، رغم أن أحدا لم يطلب منها ذلك أبدا، فلم يخطر على بال أحد من المنظمين توثيق الحفل أو تصويره

لكن أغرب ما قامت به الفتاة ذات الرداء الأزرق تلك، الحركات التي كانت تؤديها بجسدها النحيل الطويل، في أثناء تصويرها للطلاب المنشدين، فقد كانت تقف في البداية عند يمين المسرح، حاملة الكاميرا، ثم تميل بجسدها للأمام ومعها الكاميرا، ثم تعود بجسدها للوراء قليلا، ثم تميل بجسدها ناحية اليمين، ثم تعود فتميل بجسدها ناحية اليسار، وبعد ذلك تجري بسرعة طائشة إلى يسار المسرح، حيث تستمر في التصوير، وتميل بجسدها للأمام ثم للوراء، ثم لليمين ثم لليسار

وهكذا فعلت ذات الرداء الأزرق، مع كل منشد ظهر فوق المسرح، ورفع صوته ينشد نشيده، إلا أنها ضاعفت الاهتمام بنشيد بدر العربي، وبالتالي ضاعفت من مرات ميلان جسدها فخصته بست عشرة ميلة جسد، ثمانية عن يمين المسرح، وثمانية عن يساره، في حين لم تخصص لكل منشد سوى بدر، إلا ثماني ميلات فقط

لاحظ كثير من الحاضرين، ما تقوم به هذه الفتاة الغريبة، وأبدى بعضهم لبعض انزعاجه، وهمهم وغمغم وهمس الكثير منهم بما لاحظ، لكن أحدا منهم لم يجسر على الاعتراض علانية؛ لأنهم ظنوا أن الفتاة ذات الرداء الأزرق، تعمل ضمن طاقم تنظيم الحفل، وأنها مختصة بتوثيق فقرات الطلاب الفنية، ولأن أحدا منهم لم يرغب أبدا في إفساد جمال الحفل، بسبب ملاحظة صغيرة كهذه

وبالرغم من أن صاحبنا المعلم، قد دهش كثيرا من سلوك ذات الرداء الأزرق، واستاء من هذا السلوك أكثر من دهشته منه، لكنه لم يهتم لأمرها كثيرا، وقدر في نفسه أن تكون فتاة متدينة، قد شغفتها طبيعة الاحتفال الدينية، فغلبتها حماسها وقلة خبرتها، فجاءت ما جاءت من فعال، وحركات غريبة

وبعد الختام انفض الحفل، وقد حاز جميع الحاضرين على بغيتهم من الفائدة والمتعة معا، بالإضافة إلى آلاف الحسنات، ربحوها من الصلاة على النبي الأعظم، الذي اتصل ذكره طوال الحفل ما بين كلمات المتكلمين وخطبهم، وأناشيد الطلاب الدينية ومدائحهم، وافترق الجميع، وهم يشيدون بحسن تنظيم الحفل، ويشكرون القائمين على إعداده، والمتبرعين لشراء الحلوى وزجاجات المياه، والعاملين على توزيعها بنظام وحسن ترتيب، وفي مقدمة الجميع الشكر الجزيل من الحاضرين لصاحبنا المعلم

بعد انتهاء الحفل، عاود صاحبنا التفكير في الحلم النوراني، فما إن عاد إلى منزله، وقص ما وقع في الحفل على مسامع صديقه وعد، حتى عاوده أضعاف ما فاتته من التفكير في هذا الحلم، طوال الأيام التي تشاغل فيها عن الحلم بالإعداد لحفل رأس السنة الهجرية

ارتقى صاحبنا المعلم على فراشه، متمنيا من الله تعالى أن يمن عليه بروية فتاة حلمه من جديد، في هذه الليلة المباركة، وأن يلهمه هذه المرة بمعلومات عن شخصية فتاة الحلم، التي علق في ذهنه لأيام

لم يخيب الله رجاء صاحبنا المعلم، فقد فصل له ما رآه سابقا في حلمه النوراني، ووضح له ما استعجم منه عليه في هذه الليلة المباركة

فقد رأى صاحبنا الليلة رؤيا عظيمة، لقد رأى نفسه واقفا داخل غرفة واسعة، يرتدي قميصا أبيض اللون، وهو ينظر إلى منضدة متوسطة الأحجام، وكرسي عجيب الشكل يبعد عنه خطوات، وفتاة جميلة تقف بجوار ذلك الكرسي، وهاتف

يقول له: أترى هذه الفتاة أيها المعلم؟ إنها زوجتك، واسمها إيمان، فتقدم إليها،
وامش نحو سعادتك، فهي من تطلب

تقدم صاحبنا المعلم، في ملثات خطو خوفا وحذرا، حتى قرب من الفتاة الجميلة،
فرآها ترتدي زيا كحلي اللون، بأكمام ناصعة البياض، وحجابا باللون الأزرق القاتم،
قد نقش عليه هلال باللون الأبيض أيضا

وصل صاحبنا المعلم إلى فتاة حلمه، فلما نظرته بسمت في وجهه بسمة رقيقة،
فأبدلت خوفه أمنا، وحذره عجبا، فهذا البدر المنير قد حفر وجهها في ذاكرته منذ
ليال مضت، إنها فتاة حلمه التي يبحث عنها

سلم وسلمت عليه، وحدثت بحنو عليهما أعطاف حبهما، الذي انبثق لتوه من أكمام
قلبيهما الوردية، حب بريء طهور، من أول نظرة، ولأول وهلة همسة، ورنّت
أعينهما إلى حالم فجر مزهر، فدنت لهما عوالي النجوم على بعدها، فتخير كل
منهما منها أفخرها، ونظمه لشقيق روحه عقود مدح، فما يرضى له كلم

تمنى صاحبنا المعلم لحظتئذ، أن يحضر أهله لخطبة محبوبته إلى أبيها، فكان ما
تمناه في تو لحظتهما، فما راعهما وقوفا، إلا خروج أهله من بيت محبوبته، طربا
يتحدثون ويضحكون

انثنت الفتاة إلى بيتها طرفة عين، ثم خفت إلى حيث ينتظرها حبيبها المعلم، فقالت
يغمرها تياران من السرور والحياء الأحمر: لقد وافق أهلي على زواجي منك، فقال
صاحبنا المعلم مداعبا لها: عجبا فأنا لا أوافق على زواجي منك، قال ذلك وهو
يضحك بشدة، مادا يديه إلى يديها، ليحتضنهما بين كفيه، ثم وضع يده على كتفها،
وأملت رأسها فوق محل قلبه، وسارا إلى سبيلهما السعيد، يضحكان ضحكات
الفرح النقي الصافي، ويرسمان مستقبليهما بهذه الضحكات البريئة

استيقظ صاحبنا المعلم، وأذان الفجر يملأ أذنيه كعادته كل يوم، فاستعاد صاحبنا المعلم للحظات هذه الرؤيا المذهلة في ذهنه، ثم خف إلى وضوئه، وصلى ركعات يشكر الله فيها على أن من عليه، فآلهمه بل أراه من كان يبحث عنها، وعرف اسمها، وعرف أنه سيتزوجها، ثم أسرع إلى المسجد لأداء الصلاة مع الجماعة، ولسانه لا يتوقف عن حمد الله وشكره

عاد صاحبنا من الصلاة مستنيرا وجهه، فقص على وعد، كل ما رآه، وبثها ما كان يختلج في فؤاده من معازف السعادة، وأسمعها ألحان سيمفونياتها البكر، لكنه لحظ امتعاضا في وجهها الصغير، وصمتها الطويل، وكان يرقب ابتهاجها من أجله

سألها عن سبب تبرد وجهها وصمتها، فقالت له بصوت حزين: لقد علمت يا سيدي أنك حارس وزوج الأميرة ذات الشيم، وقد أخبر الهاتف الخفي أن اسم الأميرة يتألف من خمسة أحرف، وأن الحرف الأخير إذا حذف يعطينا اسما من أسماء الله الحسنى، وأن اسم الأميرة يتضمن وصفا عاما يطلق على الأخلاق والقيم والشمائل

قال صاحبنا المعلم: نعم أنت أخبرتني بذلك منذ أيام، قالت وعد: وأنت تقول إن فتاة حلمك التي وعدت بالزواج منها، اسمها إيمان، وبالرغم من أن عدد حروف اسم فتاة حلمك يتوافق مع عدد حروف اسم الأميرة ذات الشيم، فكلا الاسمين من خمسة أحرف، إلا أنني لا أرى أن اسم إيمان، ينطبق عليه ما جاء في اللغز، الذي أخبرني به هاتف بلاد القيم

صمتت وعد لحظة ثم أكملت قائلة: ولو حذفنا الحرف الخامس من حروف اسم إيمان، يتبقى لدينا أربعة أحرف تكون كلمة (إيما) وهي كلمة لا معنى لها، فضلا عن أن تكون اسما من أسماء الله الحسنى، وأقرب اسم من أسماء الله الحسنى لكلمة إيمان هو اسم الله (المؤمن) ولا يخفى ما بين كلمة إيمان والمؤمن من اختلاف في ترتيب الحروف

كما أن اسم إيمان، لا يتضمن وصفا عاما، يطلق على الأخلاق والقيم والشمائل، وبالرغم من أن الأخلاق والقيم والشمائل، مستمدة من الإيمان، وجزء من مظاهره الدالة عليه، إلا أن الأخلاق والقيم والشمائل لا توصف بالإيمان، وإذا اقترنت الأخلاق بالإيمان، فإما أن يرتبطان بعلاقة الإضافة، فنقول أخلاق الإيمان، أو قيم الإيمان، أو شمائل الإيمان، وإما أن نستخدم الاسم المنسوب من كلمة إيمان فنقول: الأخلاق الإيمانية أو القيم الإيمانية أو الشمائل الإيمانية

وعلى الرغم من أن كلمة الإيمانية هنا، في محل وصف للأخلاق والقيم والشمائل، إلا أنها تفقد شرط عدد الحروف الخمسة، فكلمة إيمانية تتكون من سبعة أحرف، وهذا كله أنت أعرف به مني، فهو مجال دراستك وعملك وتخصصك

تعجب صاحبنا معلم اللغة العربية في نفسه، مما سمعه للتو، وما تخفيه بنت تميم الأمجد داخل عقلها الصغير، من معارف لغوية دقيقة، لكنه بدلا من أن يسجل إعجابه ودهشته من معارف وعد اللغوية، هم أن يقول لها قولا يصددها، فقد هم أن يقول لها: ربما كذب هاتفك أو أوهم

تراجع صاحبنا المعلم عن تكذيب وعد، وهاتف بلادها التي جاءت منها، خوفا على قلبها من حزنها، فلم يزد على السكوت

شعرت وعد، أنها أخطأت حين نغصت على صاحبنا المعلم فرحته، فندمت واعتذرت له وقالت: سامحني يا سيدي، فإن العثور على أميرة بلادي يشغلني على الدوام، ومع ذلك فإن عثورك على سعادتك، لا يقل عندي أهمية، من عثوري على أميرة بلادي، فهنيئا لك أنك عثرت على من تحب، فرد عليها صاحبنا المعلم بابتسامة خفيفة، وشكرها على شعورها النبيل

أثارت كلمة (عثرت) ذهن صاحبنا المعلم، فتذكر أن الرؤيا التي يحتفل بها من آذن الفجر حتى اللحظة، وإن كانت رؤيا أوضح من سابقتها، إلا أنها لم تزدد على

توضيح اسم الفتاة التي رآها في حلمه السابق، وأنى له؟ وأين له أن يعثر على إيمان المقصودة؟ وهناك مئات الآلاف ممن اسمهن إيمان سرح صاحبنا في هذه المهامه أشواطاً، ثم ارتد منها، قائلاً لنفسه: حقا عن أي إيمان أبحث؟!!!

يا لحمقي، فقد ظننت أني عثرت عليها بمجرد معرفتي لاسمها، قالت وعد: خفض عليك يا سيدي، فربما ترى قريبا ما يدلك علي اسم أبيها وعائلتها، وقد توالى عليك الرؤى، وتواترت في هذه الأيام القليلة

تعلم صاحبنا المعلم، بقول وعد، فقد صادف هوى في نفسه، وكأنه لم يشأ أن يغيض من فرحه، فقد عرف الآن صورتها واسمها

ومن تلك الليلة، لم ينقطع حديث صاحبنا المعلم، عن محبوبته وزوجته المستقبلية، التي حلم بها، سواء أكان الحديث بينه وبين نفسه، أم كان بينه وبين وعد، ولم يعد يشعر، بأي غرابة أو غضاظة، في حديثه عن حبه لإيمان الموعودة، فتاة حلمه، وهو الذي يدعي الكراهية، لكل بنات آدم بلا استثناء

وفي عصر ذلك اليوم ذاته، قرر صاحبنا المعلم أن يذهب إلى بندر قنا؛ لشراء مجموعة من الكتب الأدبية والنقدية، من مكتبة (الجهاد) الإسلامية، ومكتبة (دار أخبار اليوم)؛ ليستعين بتلك الكتب في دراساته العليا، فقد أنهى صاحبنا المعلم هذا العام، دراسته للسنة التمهيدية لدرجة الماجستير، وهو الآن يستعد لاختيار موضوع أدبي مناسب، وإعداد خطة بحث هذا الموضوع، للتسجيل في درجة الماجستير، تحت إشراف الأستاذ الدكتور قرشي عباس دندراوي، الشاعر القنائي، والناقد الأدبي الأشهر، في إقليم جنوب الصعيد، وهو أستاذ الأدب والنقد الحديث بقسم اللغة العربية وآدابها، بكلية الآداب، جامعة جنوب الوادي

خرج صاحبنا المعلم من منزله، متوجهاً إلى موقف سيارات الأجرة المتجهة إلى بندر قنا، دخل سيارة الأجرة، فوجد نفسه أول راكب في السيارة، وجلس على المقعد الأخير، وانتظر حتى تكتمل باقي مقاعد السيارة بالركاب، لينطلق بها السائق إلى قنا، وما هي إلا لحظات حتى توافدت الركاب على السيارة، حتى اكتمل عدد الركاب ١٤ راكبا

فوجئ صاحبنا المعلم بأن من يجلس بجواره على المقعد الخلفي، تلميذه النجيب، وصديقه الصغير بدر العربي، لكنه لم ينظره من البداية؛ بسبب مجموعة من الأكياس الكبيرة، التي تستقر على ركبتي الصبي، حتى جبهته، فكادت تلك الأكياس أن تحجب وجه الصبي وتغطيه

سلم كل منهما على الآخر، واطمأن على أحواله، وسأل صاحبنا المعلم، صديقه الصبي عن كتاب المعري، الذي أعطاه له، فأكد الصبي لأستاذه، أنه يجتهد في قراءته وفهم معانيه، وأنه إذا استغلق عليه فهم شيء من الكتاب، فإنه يسرع إلى أخته الكبرى؛ لتعينه على الفهم

عنَّ لصاحبنا المعلم، في هذه اللحظة، أن يتعرف أكثر على عائلة صديقه الصغير، فرغم طول معرفته به، إلا أنه لم يشغل نفسه بهذا العلم

سأل صاحبنا المعلم بدر عن أفراد أسرته، ففرح الصبي بهذا السؤال، وانطلق لسانه بكل حماسة، وبلا تردد، يتحدث عن أمه التي ترعى شئون البيت، وعن أبيه وأخيه الشاب، وهما يعملان معا في دولة الكويت، أولهما يعمل في مجال النفط، والآخر يعمل في مجال تجارة السيارات، ويرسلان أموالا كثيرة للأسرة كل أسبوع

ثم تحدث بدر عن أخته الوحيدة، فذكر أنها حاليا في الفرقة الرابعة بكلية الآداب، قسم اللغة العربية، وأنه ذاهب الساعة إلى قنا من أجلها، فقد اشترت منذ يومين الكثير من الملابس الجديدة؛ لأنها تهوى شراء الملابس الجديدة بكثرة، وتعشق تبديل الملابس؛ لتكون أكثر اناقة من زميلاتها في الجامعة، ولتواكب أحدث صيحات الموضة باستمرار

وأضاف بدر، أن أخته بعد أن اشترت ملابس جديدة من يومين، اكتشفت أنها تملك مشابها لبعض هذه الملابس الجديدة، وأن منها ما قامت بشرائه بالفعل يوم الأربعاء قبل الماضي، ثم اشترت أمثاله منذ يومين، فقررت أن تعيد ما تشابه مع ملابسها، وما تكرر شراؤها له، وقد كلفتني بمهمة إعادة تلك الملابس، إلى المحال التجارية التي اشترتها منها، فقبلت المهمة على أن تعطيني النقود اللازمة لأجرة المواصلات، وفوقها مائة جنيه كاملة؛ هدية لي على تعبي

ضحك صاحبنا المعلم، على الخطة التي يرسمها بدر، للحصول على المائة جنيه، وقال له: رأيت إن رفض أصحاب المحال استلام الملابس المرتجعة؟ فكيف سيكون موقفك عندها؟ لا شك أن خطتك ستنتهي في لحظة، ولن تحصل على قرش واحد من الجنيهات المائة

قال بدر في ثقة: لا يستطيع أي صاحب محل ملابس في قنا كلها، أن يرفض استعادة هذه الملابس؛ لأنهم يعرفون تماما أن أختي صاحبة فضل عليهم جميعا، فهي تشتري منهم بآلاف الجنيهات بشكل دائم، وهم يخافون بشدة من إغصابها، حتى لا يفقدوا أفضل زبونة لديهم

شغف صاحبنا المعلم، بأن يعرف اسم هذه الفتاة الأنيقة، التي تدرس في عين المكان الذي تخرج فيه، فسأل بدرا عن اسم أخته، فقال بدر بلا تردد: اسمها إسلام، قال صاحبنا المعلم متعجبا: اسم أختك إسلام؟؟ قال بدر مؤكدا: نعم اسمها إسلام بنت السيد بن الحاكم بأمر الله بن العربي

سرح صاحبنا المعلم في اسم أخت الصبي، فقد رن الاسم في مسمعه كإعصار هائج، صحبه موج هادر، فزلزل كيانه، وفجر براكين الفكر في ذهنه، فقذفت البراكين من أعماقها باسم فتاة الحلم (إيمان)

أخذ صاحبنا المعلم، يقارن بين ما رن في مسمعه، وما قذفت به حمم فكره، ويهمس لنفسه: إن الإيمان والإسلام صنوان

لاحظ الصبي الذكي، شرود أستاذه، فقطع الحديث عن أسرته، وسأل أستاذه قائلا: هل هناك شيء يا أستاذي؟ لكن أستاذه لم يجبه، ولم يزد على أن رفع صوته، يكرر قائلا: إسلام السيد الحاكم بأمر الله العربي، إسلام السيد الحاكم بأمر الله العربي، إسلام السيد الحاكم بأمر الله العربي

كان صوت صاحبنا المعلم عاليا، دون أن يشعر، مما أثار حفيظة ركاب السيارة أمامه، فاجتهدوا يتطلعون إلى الخلف، ينظرون ويمدون رقابهم وآذانهم في فضول، يريدون أن يعرفوا ما الخبر

انتبه صاحبنا لنفسه ولصوته المرتفع، مما لاحظ من العيون الكثيرة التي ترمقه من ركاب السيارة، رجالا ونساء، فاستحى وصمت

لكن بدرا لم يصمت، واستمر يقول: نعم، يا أستاذي هذا اسم أختي، لكنه لا يعجبها على كل حال، وترغب في تغييره، وقد بدأت بالفعل بالدخول في دوامة الأوراق اللازمة لتغيير اسمها، لتتحول من إسلام إلى أحلام، فتصبح رسميا إن شاء تعالى (أحلام السيد الحاكم بأمر الله العربي)

قال صاحبنا المعلم: ولماذا ترغب في تغيير اسمها؟ قال بدر: لسببين: الأول أنها ترى أن إسلام اسم للذكور وليس للبنات، وأن أبي أخطأ عندما أطلق عليها هذا الاسم

لكن الحقيقة أن كاتب السجل المدني هو المخطئ، وأبي برئ تماما، فقد أخبر أبي كاتب السجل المدني، أن يسجل أختي يوم ميلادها باسم أحلام، فكتب الكاتب، ألف وصل، بعدها حاء تشبه حرف السين في خط الرقعة، ثم لام ألف وميم، فقرئت اسلام، واستسلم أبي للأمر، وتم تثبيتها في كل الأوراق الرسمية باسم إسلام، وتحملت أختي خطأ كاتب السجل المدني، الذي لا يجيد القراءة والكتابة والسبب الثاني، في رفض أختي لاسمها الحالي، أنها لا تعتبره اسما موسيقيا جذابا، وهي تحتاج اسما موسيقيا جذابا؛ ليساعدها في طريق الشهرة والمجد

شعر صاحبنا المعلم، بمزيد من الرغبة، في التعرف على شخصية إسلام العربي أكثر وأكثر، فطلب من بدر أن يحكي له عن شخصية أخته، واهتماماتها وهواياتها، فانطلق بدر من جديد، يصب الكلام من فمه صبا، فقال: بالإضافة إلى متابعة صحبات الأزياء، وأخبار السيارات الجديدة، وأسعار الذهب، تحب أختي الإعلام والصحافة والتصوير، وتجيد الغناء بالعربية والإنجليزية، وتحلم بأن تصبح حين تتخرج في الجامعة، مثل الإعلامية أوبرا في شهرتها، أو مثل شاكيра المغنية، إن لم توفق في مجال الصحافة والإعلام

قال صاحبنا المعلم: وهل هي بارعة حقا في هذه الأمور، قال بدر مفتخرا: بالتأكيد، إنها بارعة في الغناء، وتقلد جميع المطربين بكل سهولة ويسر، وهي بارعة أكثر في مجال الصحافة والإعلام، وهي الآن تعمل في التغطية الصحفية، لكثير من الأحداث الهامة، داخل محافظة قنا وخارجها

ومن إخلاصها، وإتقانها للصحافة والإعلام، تحرص دائما على معايشة الحدث الصحفي، وتتكيف حسب طبيعة هذا الحدث، فلو كان الحدث الذي تغطيه حدثا فنيا، تبدو كالممثلات تماما، سواء أكان ذلك في الملابس والهيئات والحركات أم في (الميك أب والاكسسوارات)، وإن كان حدثا رياضيا ترتدي الأزياء الرياضية، وإن كان حدثا دينيا إسلاميا ترتدي حجابا ونقابا

ومن الطريف، أنها تم تكليفها يوما، بتغطية حدث صحفي في كنيسة مار بطرس ببندر قنا، فقررت أن تذهب إلى الكنيسة، وهي تعلق صليبا خشبيا في رقبتها

وحين عارضها أبي وأخي وأمي، أقنعتهم بأن هذا ضروري لتعيش اللحظة، وتتأثر بها، ولتكتب تقريرا صحفيا، ليس له مثيل في عالم الصحافة، فاقنعت أُمي بسرعة شديدة، وأعطتها كالمعتاد قبلة تدليل على خدّها قبل خروجها، والصليب يتدلى من رقبتها

واستسلم أبي كالمعتاد لأوامر أُمي، بسبب شعوره بالذنب تجاه الطفلة المسكينة، التي أطلق عليها اسما ذكوريا، وهو الذنب الذي تحرص أُمي بشكل دائم، على تقيعه عليه، كلما حاول معارضة ابنته الوحيدة، وقد صمت أخي بالطبع كالعادة عن الإدلاء برأيه، بعد اقتناع أُمي وأبي بالأمر

قال صاحبنا متعجبا مما حكاه بدر عن أخته: إنها فتاة عجيبة حقا، ولعل سنّها الصغيرة، هي السبب في غرابة سلوكياتها، قال بدر بلهفة وتسرع: بالمناسبة فقد حضرت أختي يوم الاحتفال بعيد رأس السنة الهجرية في مدرستنا، وأعتقد أنك رأيتها يا أستاذي

قال صاحبنا المعلم منكرا ومستكرا: لا، لم أرها على الإطلاق، قال بدر مبتسما: بل رأيتها يا أستاذي، أو بالأحرى رأيتها ولم ترها في نفس الوقت، قال صاحبنا المعلم متعجبا: وكيف ذلك أيها الفصيح؟

قال بدر: يا أستاذي أنت رأيتها بالفعل، وهي تصور فقرات الطلاب الفنية، حيث كانت تقف بجوار المسرح بشكل دائم، لكنك لم تر وجهها؛ لأنها كانت ترتدي نقابا، وهذا النقاب خاص بالاحتفالات الدينية، كما أخبرتك سابقا يا أستاذي

فكر صاحبنا المعلم لحظة، فتذكر الفتاة ذات الرداء الأزرق، التي كانت تصور القصائد والمدائح، وتنثني بجسدها يمنة ويسرة، ثم قال: هل تقصد أن أختك إسلام أو أحلام، هي الفتاة ذات الملابس الزرقاء؟ قال بدر: نعم إنها هي بشحمها ولحمها،

وقد حضرت الحفل؛ لأني دعوتها وطلبت منها أن تحضر الكاميرا الخاصة بها؛ لتقوم بتصويري أثناء الإنشاد، وتصوير زملائي الطلاب وهم ينشدون، وقد فعلت ما طلبته منها

حاول بدر بعد كلماته تلك، تحريك يده اليمنى لاستخراج شيء ما من جيبه، وقد واجه صعوبة؛ بسبب ما تراكم عليه من أكياس الملابس، وفي النهاية استطاع أن يستخرج ما أراد من جيبه، وإذا به قد أخرج محفظته، فظن صاحبنا المعلم أن الصبي سيدفع الأجرة، فأسرع صاحبنا المعلم، فأخرج نقودا من جيبه، ودفع أجرة المقعدين في لمح البصر

ضحك بدر كثيرا على تسرع أستاذه، في دفع الأجرة، ثم قال: أنا لم أستخرج المحفظة لأدفع الأجرة، بل أخرجتها لأريك هذه الصورة

وضع الصبي صورة أخته، أمام عيني أستاذه مباشرة، فالتقط المعلم نسخة للصورة بعينه، وخبزها في عقله، ثم جعل يهمس إلى نفسه من جديد، وقد خيل إليه أن إسلام التي يرى صورتها الآن، هي زوجته الموعودة التي رآها في حلمه

تعب عقل صاحبنا المعلم، من المقارنة بين صورة إسلام العربي، وصورة فتاة حلمه الحبيبة، وتعب كذلك من تتبع الاختلافات، بل والمتضادات بين الصورتين، ففتاة الحلم يبدو وجهها بلون حبة القمح القدسية المباركة، في حين بدت إسلام بيضاء الوجه، وفتاة الحلم أقصر في الطول من إسلام، التي شاهد طولها يوم حفل رأس السنة الهجرية

تعب عقل صاحبنا المعلم كثيرا من التفكير، ولم يسترح إلا على صوت سائق السيارة، يطلب من الركاب النزول، فقد وصلوا بسلامة الله إلى محطة الدولفين، في مدخل مدينة قنا

نزل صاحبنا المعلم، قبل صديقه الصبي، وساعد تلميذه، في النزول بأحماله من أكياس الملابس، ثم مشيا معا، يحمل كل منهما بعضا من الأكياس، حتى وصلا على بعد خطوات، إلى موقف سيارات الأجرة الداخلية، وهو الموقف الذي يسميه

المتعلمون من أبناء المحافظة، بموقف سيارات السرفيس، ويسميه من فاتهم
حظهم من التعليم، بموقف سيارات الرمسيس

ساعد صاحبنا المعلم، تلميذه بدر العربي في ركوب سيارة الأجرة، وتثبيت حمل
الملابس على ركبتيه، وانطلقت السيارة متجهة إلى شارع المستشارين الفخم، وهو
الشارع الذي يقع في منطقة حوض عشرة العريقة، ويجاور ميدان المحكمة
الابتدائية بقنا، وتتراص على جانبيه، ومن حوله، محلات الملابس والأزياء
ومتعلقاتها، حيث تتعالى صيحات الموضة وصرخاتها، مثل بيلا مود، وبيلا شو،
وسامراء، وابن زيون، وحيث سيعمد بدر العربي لإرجاع ما لديه من أكياس، ويعود
إلى منزله؛ لينال مكافأته السخية من أخته

أما صاحبنا المعلم، فقد توجه مشيا على أقدامه، إلى شارع المعبر، حيث تقف كلية
التربية القديمة، التي يقال إنها كانت إحدى الاستراحات الضخمة، التي بنيت للملك
فاروق وحاشيته، من البكوات والبشوات، ينزلون بها عند زيارة أقاليم الصعيد، وقد
تم تحويلها بعد الثورة إلى كلية التربية؛ لينتفع الوطن بما يتخرج فيها سنويا من
معلمين ومعلمات، وما تزال باتساعها شاهدا على عهد الملكية البائد في مصر

عبر صاحبنا المعلم شارع المعبر، ومن هناك توجه إلى مكتبة الجهاد الإسلامية،
حيث اشترى مجموعة من الكتب الأدبية والنقدية

ثم توجه إلى مكتبة (دار أخبار اليوم) التي تقع، على يمين مزلقان تحويلات قطارات
محطة قنا للسكك الحديدية، وتقف على بعد خطوات من الكوبري العلوي، الذي يمر
فوق السكة الحديد، بقطاراتها المتجهة من أسوان إلى الإسكندرية والعكس، وهو
الكوبري الذي ينتهي أمام مدخل مسجد وضريح سيدي عبد الرحيم القنائي، العالم
المغربي الذي سكن قنا، ليحارب البدع الشركية، ويحيي السنة المحمدية في زمانه

اشترى صاحبنا المعلم، من مكتبة أخبار اليوم عدة كتب، أهمها موسوعة (صبح
الأعشى في صناع الإنشا) للقلقشندي، ثم ركب سيارة الأجرة إلى الموقف، ومن
هناك ركب سيارة إلى قريته

عاد صاحبنا المعلم يهرول إلى منزله، يتصبب عرقا، ويتحرق شوقا، ليطلع فراشته
وعد، على كل ما وقع له، منذ خرج من منزله عصرا، عساه يجد لديها حلا لما
أشكل عليه، من أمر إيمان التي رأى صورتها في الحلم، وإسلام التي رأى صورتها
في حقيقة واقعه

أنصت وعد بكل جوارحها، وهي تسمع من صاحبنا المعلم الأخبار خبرا خبرا، وقد
أنهى حديثه بقوله: فأخبريني الآن يا بنت تميم الأمجد، بعد أن وصفت لك من رأيها
في حلمي، ومن رأيها في واقعي، هل تكون إيمان الحلم، هي نفسها إسلام الواقع،
باعتبار أن الإيمان والإسلام مترادفان، وقد جاءت آيات القرآن تؤكد ذلك الترادف،
أم أن إيمان الحلم ليست هي إسلام الواقع، باعتبار أن الإيمان والإسلام يفترقان
أيضا، كما يترادفان، وقد جاءت آيات القرآن، تؤكد افتراقهما أيضا
قالت وعد: اعلم يا سيدي المعلم، أن إيمان الحلم وإسلام الحقيقة فتاتان متغايرتان،
بل متضادتان، ويظهر التضاد بينهما في المظهر والجوهر، فالإسلام للظاهر،
والإيمان للباطن، والإسلام للجوارح، والإيمان للقلب والعقل، غير أنك تريد أن تقنع
نفسك بأنهما فتاة واحدة، وتتجاهل ما أنت به عليم، من الفروق والاختلافات

صمت صاحبنا المعلم، ولم يرد على وعد قولها، وشعر بشيء من الخجل، وقد
كشفت له علنا، ما خبأه في نفسه، من خيالات خادعة، وأماني عريضة، بأن تتطابق
فتاة حلمه وفتاة واقعه، فينعم معها بجنات الحب النقي، التي رآها في رؤياه
أكملت وعد حديثها فقالت: كما أن صورة إيمان التي رأيها في حلمك، تتطابق مع
الصورة المتخيلة للأميرة ذات الشيم، أميرة بلاد القيم، بما يحيط بها من ملائكية
ونورانية

قال صاحبنا المعلم محتداً: لسنا في أمر ذات الشيم الآن، بل في أمري أنا، والفتاة التي حلمت بها، قالت وعد: تأكد يا سيدي أن إسلام العابثة التي تصفها، أبعد ما تكون عن إيمان حلمك، فبمقدار اقترابك من إسلام الواقع، يكون ابتعادك عن إيمان الحلم

قال صاحبنا المعلم، بصوت المصرّ: أنا لا أثق في رأيك هذه المرة يا بنت الأمجد، ولا بد لي أن أتأكد بنفسي من أخلاق إسلام، فربما يكون بدر العربي، قد أخطأ في وصف شخصيتها لي

قالت وعد مستسلمة: افعل ما يحلو لك يا سيدي، فأنت المعلم، قال صاحبنا المعلم: نعم سأفعل ما يحلو لي

عزم صاحبنا المعلم، على أن يرى إسلام العربي بنفسه، وأن يراقبها عن قرب؛ ليحكم على سلوكها ويقيم أخلاقها، ورأى أن الجامعة أفضل مكان ينفذ فيه خطته الاستخباراتية، ومن أجل ذلك حصل من بعض معارفه، على جدول محاضرات طلاب الفرقة الرابعة، في قسم اللغة العربية، بكلية الآداب، وتحين الفرص للذهاب بعد انتهاء يومه الدراسي؛ ليراقب إسلام العربي عن كثب

ذهب صاحبنا المعلم إلى كلية الآداب، وظل أمام مبنى الكلية، حتى الساعة الثامنة مساءً، وهو يمسك الورقة التي سجل فيها جدول المحاضرات، وقد أخبره الجدول أن هذه ساعة انتهاء آخر محاضرة لطلاب الفرقة الرابعة، فتسمر صاحبنا مكانه، وقد أوسع حدقات عينيه، واستعد ليشهد من خلالهما صدق أو كذب ظنونه، ورأي وعد في أمر إيمان الحلم، وإسلام الحقيقة

وما هي إلا لحظات، حتى أطلت إسلام من باب الكلية الواسع، وقد عرفها صاحبنا المعلم، فور رؤيته لها، فقد ميز طول قامتها، ونحافة جسمها، واستعان بالنسخة التصويرية التي التقطها بعدسة عينه، من الصورة التي وضعها بدر، أمام عينيه في سيارة الأجرة، يوم شراء الكتب، وإعادة الملابس، رغم أنها في الصورة محجبة، وهي الآن تنزل من سلم الكلية، بلا غطاء فوق رأسها

رأى صاحبنا المعلم، إسلام السيد الحاكم بأمر الله العربي، تنزل بمفردها من سلم المبنى تتهادى في خطوتها، فتهور وتقدم نحوها ليراها عن كثب، أو ربما ليحدثها، لكنه قبل أن يصل إليها، كان أحد أصدقائها المقربين، قد لحق بها هابطاً من سلم المبنى

فلما رأت إسلام العربي زميلها، سلمت عليه، وقالت له بصوت عال: هيا بنا، لقد تأخرنا عن المسرح، قالت هذه الكلمات، ثم أطلقت ضحكة مجلجلة، رنت في جنبات محاريب العلم حولها

مرت إسلام العربي، من أمام صاحبنا المعلم، وهي لا تعرف من هو، ولا ما هو، فملأت برائحة عطرها الصارخة رنتيه، ثم وقفت لحظات بجواره، تنظر في مرآة السيارة الفارهة الواقفة، أمام مبنى الكلية، وهي تسوي شعرها المسدول على كتفها، وقد صبغته باللون الأصفر اللامع

ثم انطلقت نفس السيارة الفارهة، وطارَتْ وبداخلها إسلام العربي، وزميلها الشاب، وأحلام صاحبنا المعلم

وقف صاحبنا المعلم مكانه مصدوماً، ولم يزل يشتم عطرها في رنتيه، ويسمع صوت ضحكاتها الخليعة في أذنيه، حتى قال لنفسه: سحقاً لهذه المخادعة التي اقتحمت علي نومي وحلمي، وادعت زوراً، بأنها ليست مثلهن، ولسن مثلها، وإنها بحق ليست مثلهن، فهي أسوأ بكثير منهن جميعاً

تألم صاحبنا المعلم في موقفه ذاك، وفي النهاية سمع قلبه يهتف به قائلاً: عد إلى رشدك، أيها الواهم، واحفظ عليك قلبك، وليسعك بيتك، وابك على سذاجتك، ولا تلتمس غيرها لتسكنها في جنباتي، فمالنا عليهن بعد اليوم، من إقدام، ولا لنا إليهن من سبيل

عاد صاحبنا المعلم إلى منزله منكسر النفس، محطم القلب، ولم يقو على مواجهة وعد بما حدث، فنام دون أن يتحدث إليها، وفهمت وعد من إضرابه عن الحديث إليها الأمر، وتوقعت بذكائها كل شيء، وعاشا عدة أيام بلا نقاش ولا حوار بينهما، سوى التحية والسلام، صباحا ومساء

وعاش صاحبنا المعلم، بعد ما عاينه بنفسه، من أمر الفتاة التي ظنها فتاة أحلامه، أياما ثقالا، فكره الدنيا وما فيها، وكره حتى مكان عمله في المدرسة الإعدادية، وتمنى لو أتحت له الفرصة، أن ينتقل للعمل في مدرسة إعدادية أخرى، لكن قدره الباسم، كان يخبئ له مفاجآت أجمل من كل أمنياته

فوجئ صاحبنا المعلم، وهو جالس كعادته في مكتبة المدرسة، بالمدير يطرق عليه باب المكتبة، ويخبره بصدور تعليمات مكتب الإشراف والتوجيه، بنقله نقلا كليا إلى مدرسة المحروسة الثانوية المشتركة، وهي المدرسة الملاصقة، لمحل عمل صاحبنا المعلم الحالي

فرح صاحبنا المعلم بخبر النقل، وشكر مدير المدرسة على تبليغه بهذه البشرى، وعبر له مدير المدرسة عن عظيم امتنانه، على ما بذله من جهود عظيمة بالمدرسة، خلال فترة عمله بين جدرانها، وقال له: أؤكد لك حرصنا الشديد، على أن تبقى ضمن هيئة التدريس بالمدرسة، بشكل دائم، ولولا خشيتي أن يكون في ذلك تفويت لفرصة الانتقال للعمل في المرحلة الثانوية، ما كان لي أن أفرط في معلم كفاء قدير مثلك

وفي صباح اليوم التالي، أسرع صاحبنا المعلم في الذهاب إلى الإدارة التعليمية بقنا، حيث تقابل مع الأستاذ طليحي عبد الكريم الأميري، الموجه المباشر لقسم اللغة العربية بالمدرسة الإعدادية، وباقي أعضاء مكتب توجيه اللغة العربية، واستلم كتاب النقل إلى المدرسة الثانوية، وأوضح له الأستاذ طليحي، أن جهوده الكبيرة في تنظيم حفل رأس السنة الهجرية بالمدرسة، هي السبب في ترشيحه، واختياره للعمل في مدرسة بحجم مدرسة المحروسة الثانوية، بما تمثله من تاريخ عظيم في

تخريج طلاب نابهين، نفعوا البلاد والعباد، وما تحويه بين جدرانها من علماء أفذاذ
في صورة مدرسين ومدرسات

شكر صاحبنا المعلم السادة الموجهين، على حسن ظنهم به، واختيارهم له،
وأعلمهم أنه عازم على تنفيذ أمر النقل من صباح الغد، بإذن الله تعالى، ثم استقل
سيارة الأجرة إلى قريته، وعاد إلى منزله، ولم يزل يعاني، من بقايا تأملاته
ومحاورة قلبه، في أمر إسلام وإيمان

طوى صاحبنا المعلم، درجات سلم منزله بسرعة الفرحين، واعتذر لوعده عن جفائه
معه في الأيام السابقة، ووعدا ألا يتكرر ذلك أبدا، مهما كانت الظروف، ونقل لها
كل ما جرى معه في الأيام السابقة، وأراها كتاب النقل إلى المدرسة الثانوية

فرحت وعد كثيرا لفرح صاحبنا المعلم، وهنأته مرارا وتكرارا، وذكرته بوعده لها،
أن يساعدها في العثور على الأميرة ذات الشيم، لتفرح وتسعد مثل فرحه وسعادته،
بالانتقال للعمل في المدرسة الثانوية

ذهب صاحبنا المعلم، صباحا إلى المدرسة الإعدادية؛ ليسلم على زملائه، ويودع
تلاميذه، وحتى يتسلم إخلاء الطرف من إدارة المدرسة، وكانت لحظات دخوله
وخروجه من باب المدرسة، مفعمة بمشاعر الحب والامتنان، من المعلمين والطلاب
على حد سواء

ذرف بعض الطلاب دموعا، على فراقهم لأستاذهم، وأسفوا على حرمانهم من
الجلسات الثقافية، التي كان يعقدها أستاذهم في المكتبة، وكان أشدهم حزنا بدر
العربي، الذي بكى كثيرا، وطلب من أستاذه الإذن في زيارته بالمدرسة الثانوية،
فأخبره الأستاذ بأنه يرحب بهم جميعا، في كل وقت وفي أي مكان

وحاول صاحبنا المعلم أن يطيب خاطر طلابه الباكين، فقال لهم: إنكم في الصف
الثالث الإعدادي هذا العام، وما هي إلا أشهر قليلة وينتهي العام، وتنتقلون بإذن الله
تعالى إلى المدرسة الثانوية، حيث سنعيد عقد جلساتنا العلمية والثقافية من جديد

كانت مدرسة المحروسة الثانوية، ملاصقة للمدرسة الإعدادية، فما كان من صاحبنا المعلم بعد أن ودع زملاءه وطلابه في مدرسته، إلا أن خرج من باب المحروسة الإعدادية، ودخل من باب المحروسة الثانوية، إلا أن العبور من الإعدادية إلى الثانوية، لم يكن مجرد عبور لحائط سور لا يتعدى عرضه عدة سنتيمترات، بل كان لصاحبنا المعلم حياة بعد اللا حياة، ووجودا بعد العدم

دخل صاحبنا المعلم من بوابة المدرسة الثانوية، حيث أحسن جميع المعلمين استقباله، وعلى رأسهم الأستاذ الكبير، الحاج عصمت يس الملاح مدير المدرسة

وكان طاقم التدريس في هذه المدرسة، يتكون من كوكبة من خيرة المعلمين، في كل المواد، مشهود لهم جميعا بالنبوغ والتفوق في العلم والأدب، على مستوى المحافظة كلها

وقد تتلمذ صاحبنا المعلم نفسه، على أيدي هؤلاء المعلمين العلماء، فقد كان صاحبنا المعلم طالبا في هذه المدرسة، منذ أعوام قليلة، حيث أنهى دراسته الثانوية في عام ٢٠٠٤م، ثم التحق بجامعة جنوب الوادي

عاد صاحبنا المعلم إلى مدرسته الثانوية، ليعمل بها معلما وزميلا لكل أساتذته، وعلى الرغم من شعوره بالفخر؛ لأنه سيتواجد مع أساتذته في نفس المدرسة، وسيوقع معهم توقيع الحضور والانصراف، في نفس الدفتر الذي يوقعون فيه، إلا أن شعوره بالرهبة والخوف، كانا أكبر من شعوره بالفخر

فقد شعر صاحبنا المعلم بالرهبة من كل شيء حوله، من معلميه السابقين، ومن طلاب الثانوية الشبان، الذين يفوقه بعضهم في الطول وحجم الجسم، وقد عود عينيه على مقاييس الصبيان الصغار في المرحلة الإعدادية

ثم الرهبة الكبرى من هذه المخلوقات، التي رآها تتجول في أرجاء المدرسة يمنا ويسرة، وهي ترتدي زيا كحلي اللون، ولم تكن تلك المخلوقات سوى طالبات المرحلة الثانوية، اللاتي ضاعفن رهبته، وقد عود نفسه على تدريس الصبيان فقط، ولم يتخيل نفسه معلما للبنات قبل اليوم

ومع الشعور بالرهبة، كان الشعور بالخوف، الخوف من الفشل، والخوف من المجهول، وقد عالج صاحبنا المعلم مخاوفه، بمزيد من القراءة والاطلاع، ووضع في ذهنه أنه سيلجأ إلى أساتذته، في كل ما يحتاج إليه من معلومات استكمل صاحبنا المعلم إجراءات النقل، ووقع استلام العمل بالمدرسة الثانوية، وصار رسمياً عضواً في هيئة تدريسها، ثم أخبره الأستاذ على مغربي، المعلم المسئول عن توزيع خطة اللغة العربية، أنه سيدرس فصلين من فصول القسم الأدبي، هما فصل ٣/٢ وفصل ٤/٢

رضي صاحبنا المعلم في نفسه، بتدريس الصف الثاني الثانوي، وحمد الله على ذلك، لأنه يحب منهج هذا الصف بالذات، فقد درّس نفس المنهج، عندما كان طالباً في نفس سن تلاميذه الجدد، وكاد أن يحرز الدرجة النهائية في امتحان هذا المنهج، عام ٢٠٠٣م، ولم يحل بينه وبين النهائية سوى درجة واحدة وبعد أن تعرف صاحبنا المعلم، على الفصول التي سيدرسها، وعدد حصصه الأسبوعية، استأذن في الانصراف مبكراً هذا اليوم، متعللاً بشعوره بشيء من التعب المفاجئ، فغذره الجميع، وأذن له مدير المدرسة بالانصراف، فرجع بيته، ولما يدخل أحد الفصلين

جاء الصباح الجديد، صباح اليوم الأول من شهر أكتوبر عام ٢٠١٢م، وعاد صاحبنا إلى عمله بالمدرسة الثانوية، وكانت أولى حصصه في فصل ٣/٢ حيث شرح لطلابه الدرس الأول في منهج القراءة، وكان بعنوان (العدل القرآني) وهو عبارة عن مقال من تأليف الكاتب المصري، الأستاذ الدكتور: عبد الوهاب عزام

شرح صاحبنا المعلم لطلابه، تعريف العدل القرآني، كما ذكره عزام، حيث قال: (العدل القرآني: أن يصرف الإنسان أمور نفسه، وأمور الناس على قانون لا عوج فيه، ولا زيغ، ولا ظلم، ولا استثناء، ولا محاباة، وأن يسير أعماله على قانون إلهي، لا تبديل فيه، ولا تحويل، كالقوانين التي تسير الشمس والقمر، والنجوم والرياح، وتصرف العالم كله، كما يشاء الله)

ثم بين صاحبنا المعلم لطلابه، ما أوصى به عزام من وجوب حماية العدل القرآني وصيانتة، من كل العوامل النفسية والاجتماعية، وذلك في قوله: (فليس عدل الله أمرا يسيرا، تتصرف فيه الأهواء، وتتلاعب به الشهوات والعصبيات، ليس عدل الله أمرا مما يباع باليسير من متاع الحياة الدنيا، ويهجر للحقير من أهواء النفس، ولكنه نظام في العالم، وفي الاجتماع البشري، لا يستقيم شيء فيهما بدونه، كما جاء في الحديث الشريف: وبالعدل قامت السموات والأرض)

وفي نهاية المقال، وفي نهاية الحصة، حذر عزام، وحذر صاحبنا المعلم لطلابه، من عاقبة الظلم الوحشية، فقالوا: (للظلم عاقبة سيئة على الفرد والمجتمع، حيث يؤدي إلى هلاك الفرد والمجتمع، ويعتبر الكافر ظالما، لأنه حاد عن منهج الله وما شرعه له، وكذلك الكاذب ظالم، لأنه غير الحقائق، وخضع لهوى النفس، وليس للقانون الإلهي، وقد عبر القرآن الكريم عن ذلك في أكثر من آية، مثل قوله تعالى: وكما قصمنا من قرية ظالمة وأنشأنا بعدها قوما آخرين)

وبعد انتهاء الحصة الأولى، أعاد صاحبنا المعلم شرح درس العدل القرآني لطلاب فصل ٤/٢، وكانت نتيجة الحصتين طيبة الأثر عند الطلاب جميعا، فقد أعجب الطلاب بشرح أستاذهم الشاب أيما إعجاب، وشجعت مقدرة أستاذهم الجديد الكثير منهم على الاكتفاء بشرحه الوافي، ودفعتهم للانقطاع والتوقف، عن الذهاب لتلقي الدروس الخصوصية، في منهج اللغة العربية

وكانت الدروس ترهق الطلاب، وأولياء أمورهم، في نفس الوقت، فترهق أولياء أمور الطلاب، بما تكبدهم من أعباء مادية باهظة، وترهق الطلاب في التنقل بين الشقق والأبنية، التي يتخذها معلمو الدروس الخصوصية، أماكن للتدريس

وعلى الرغم من السعادة الجزئية، التي وفرها صاحبنا المعلم لطلابه ولأهلهم، بما خففه عنهم من نفقات وتنقلات، فإن بعض المعلمين رأى في ذلك تأثيرا سلبيا على دخلهم الشهري، ورزق أطفالهم الصغار

ومن أجل ذلك، بدأت همهمات وهمسات تسري، بين بعض معلمي الدروس، حول صاحبنا المعلم، وطريقته في شرح الدروس، داخل الفصل شرحا وافيا، وانفجر أحد هؤلاء المعلمين في وجه صاحبنا المعلم، وطلب منه بالنص صراحة، ألا يشرح للطلاب كل المعلومات الواردة في الدرس، وقد برر ذلك المعلم المنفجر نصيحته الإبليسية، بأنه يخشى على صحة صاحبنا المعلم الشاب من كثرة الشروح، والحرص على ذكر كل معلومة في الدروس

وقد رفض صاحبنا المعلم بالطبع، نصيحة هذا المنفجر، وإيماءاته التي تحمل معاني الإنذار والتحذير، لكن هذا المعلم البائس لم ييأس، فقد ذهب سرا إلى مكتب توجيه اللغة العربية بقنا، وزعم للسادة الموجهين زورا، أن صاحبنا المعلم في حالة من الضيق والضجر، والاستياء والندم الشديد؛ لأنه ترك العمل في المدرسة الإعدادية، وأنه يرجو إلغاء النقل لمدرسة المحروسة الثانوية، والعودة إلى مدرسته التي جاء منها

وقد أفسد الله تعالى مؤامرة هذا المعلم، وكشف حقيقتها أمام صاحبنا المعلم، بمحض المصادفة، عندما ذهب صاحبنا المعلم، إلى مكتب التوجيه، مكلفا بمهمة من مدير المدرسة، حيث تقابل مع الموجه الأول، وسأله الموجه عن أسباب ندمه على نقله للمرحلة الثانوية، فتعجب صاحبنا المعلم مما سمع، ونفى أن يكون نادما، وأكد للسيد الموجه سعادته التامة بهذا النقل، فعلم السيد الموجه عندها أنها وشاية كاذبة، وأخبر صاحبنا المعلم، بما زعمه زميله المعلم الواشي

ولم يتوقف الأمر عند هذا الحد، فقد بدأ هذا المعلم، بوضع القلاقل في طريق صاحبنا المعلم داخل المدرسة، فأوصى بعض الطلاب، بتوجيه أسئلة صعبة، إلى معلمهم الجديد أثناء الحصة، ونجا صاحبنا المعلم من تلك الأسئلة، بما لديه من قراءات متعددة، وأجاب عنها جميعا بكل سهولة ويسر، وزاد ذلك من رصيد إعجاب طلابه به، ومحبتهم له

ثم لجأ هذا المعلم، إلى الحيلة الأخيرة في جعبته، فأقنع مدير المدرسة والمدرس الأول، بتحويل صاحبنا المعلم، إلى تدريس طلاب الصف الثالث الثانوي، وبرر ذلك

بأن صاحبنا المعلم يهيئ نفسه لدراسة الماجستير، وزعم أن المدرسة لابد لها من استغلال هذه العقلية الأكاديمية، في تدريس طلاب الصف الثالث الثانوي، وهو ما وافقت عليه إدارة المدرسة بالفعل

وكان هدف هذا المعلم الواشي، من حيلته تلك، تهميش صاحبنا المعلم، وانقطاع ذكره بين الطلاب بشكل تام، لأن طلاب الصف الثالث الثانوي، لا يحضرون للمدرسة بالمدسة من الأساس

وقد رفض طلاب فصل ٣/٢ وفصل ٤/٢ قرار إدارة المدرسة، وتمسكوا بأستاذهم الجديد، فاستجابت إدارة المدرسة، متفهمة مطالب الطلاب، وأقرت بقاء صاحبنا معلما للفصلين، مع وعد بعدم تغييره حتى ينتهي العام الدراسي

وبعد أيام، أعلنت إدارة المدرسة الثانوية، عزمها على إقامة احتفال كبير، بعنوان (معجزة العبور العظيم)، ومناسبة الاحتفال كما يبدو من عنوانه، خاصة بالعبور العظيم، يوم السادس من أكتوبر عام ١٩٧٣م، وما حقته القوات المسلحة المصرية من نصر عربي وإسلامي ساحق على الصهاينة والصهيونية وقد تمت دعوة بعض قادة القوات المسلحة بالمحافظة؛ للمشاركة في الاحتفال، وإلقاء المحاضرات، وقد طلبت إدارة المدرسة من صاحبنا المعلم المشاركة في الحفل، فوافق بعد أن تردد طويلا، واشترط أن يشارك في فقرات الحفل الفنية، وليس في تنظيمه، فارتضت إدارة المدرسة منه ذلك شاكرة

وفي اليوم الحفل استقبلت إدارة المدرسة ومسئولو التنظيم السادة الضيوف، وفي مقدمتهم اثنان من علماء الأزهر الشريف، واثنان من خطباء وزارة الأوقاف، بالإضافة إلى أعضاء مجلس الأمناء بالمدرسة، وأولياء أمور الطلاب

وقد حضر الحفل أيضا ضابطان برتبة عقيد، من أبطال القوات المصرية المسلحة، بأزيائهم العسكرية المهيبة، وهو ما ألهب حماسة شبان وشابات المدرسة جميعا، فحضروا الحفل حتى غص بهم مسرح المدرسة، ولم يتخلف من طلاب المدرسة أحد

وقد دارت كلمات السادة رجال الدين الأربعة، حول الجهاد في الإسلام، ودوره في حماية المقدسات، ثم تعظيم دور الجيش المصري في أوقات الحرب والسلم، وأهمية الحاضنة الشعبية المصرية لهذا الجيش العظيم، ودور هذه الحاضنة في تحقيق النصر، وحماية الأرض والعرض

ولما جاء دور ضابطي القوات المسلحة في الحديث، اشرأبت أعناق الجميع إلى هذين الأسدين البطليين الجالسين على المنصة، بجوار فقهاء الدين الأربعة، ومدير المدرسة، وتضاعف إنصات الحاضرين فوق إنصاتهم، فشربوا كلام هذين البطليين المجاهدين شربا، وهم لا يصدقون أنفسهم، أنهم يرون بأعينهم، اثنين من الأبطال الذين يرفعون راية الجهاد، لله وللوطن

وكانت كلمات علماء الدين الأربعة عن الجهاد، لا تزال ترن في مسامع الحاضرين، ولذلك شعروا بأنهم يرون بأعينهم، مثالا حيا ونموذجا عمليا، للجهاد الذي أسهب علماء الدين الأربعة في الحديث عنه، منذ قليل

ومن المفارقات أن بطلي القوات المسلحة كلاهما كان يسمى حساما، غير أن أحدهما يحمل كلمة الدين بين اسمه واسم أبيه، والآخر لا تفصل كلمة الدين بين اسمه واسم أبيه، بل يتصل اسمه باسم أبيه مباشرة

وكان الضابط الأول، يسمى حسام الدين العريان، وهو الأكبر سنا، والأقدم رتبة، والأوسم شكلا، واسم الضابط الآخر حسام الألفي، وهو الأصغر في السن، والأحدث في الحصول على الرتبة، والأقل وسامة

وقد قسم البطلان حديثهما، بحيث يكون متضادا من حيث العنوان، لكن الحديث جاء متناغما، في الكثير من مضامينه

ففي حين كان عنوان كلمة البطل حسام الدين العريان، عن دور الجيش المصري العظيم في وقت الحرب، كانت كلمة البطل حسام الألفي عن دور الجيش المصري العظيم في وقت السلم

وجاءت كلمة العريان قريبة الشبه، بما قاله علماء الدين الأربعة، عن الجهاد في سبيل الله والوطن، في حين افترقت كلمة الألفي، عن كلمات كل من العريان، وعلماء الدين الأربعة

فقد أسهب الألفي في الحديث، عن المشروعات العملاقة التي أنجزها الجيش، وعدد المصانع والشركات التجارية، التي يسيّر الجيش أمور اقتصادها، وذكر عددا مهولا من الأرقام والإحصائيات، عجزت عقول طلاب المدرسة بقسميها العلمي والأدبي، عن حفظ رقم واحد منها، لكنه في نهاية كلمته، نال نفس التحية والتصفيق الحار من جميع الحاضرين

وكانت مشاركة صاحبنا المعلم، في هذا الحفل بافتتاحه، بقراءة لآيات بينات من سورة يوسف، التي يحبها كثيرا، وقبل نهاية الحفل أنشد صاحبنا المعلم، قصيدة البردة المباركة للبوصيري، فأعاد بما تلا من البردة النشاط والتجديد للجميع، وشحن هم الحاضرين بروحانية عالية، بعد أن أوشت القلوب أن تزيع، بفعل ساعات طوال من الاستماع لفقرات الحفل

وقد أعجب جميع الحاضرين، بطريقة صاحبنا المعلم في الإنشاد للبردة، وبصوته الجميل المعبر عن معنى كل كلمة فيها، وهي الطريقة التي يقلد فيها الشيخ عبد العظيم العطوانى الإدفوي، أشهر من أنشد البردة، في أقاليم صعيد مصر الأعلى

وكان صاحبنا المعلم، قد تعلم هذه الكيفية التي ينشد بها البردة، من أيام الجامعة الخوالي، حين كان يلزم بعض أصدقائه المتصوفة، من زملائه في قسم اللغة العربية بكلية الآداب، وكان يسافر معهم لحضور احتفالات الطرق الصوفية الكبرى، بكل المناسبات الإسلامية، في قرى ومدن المحافظة، كمولد النبي الشريف الأعظم، وكان ذلك يكسبه صداقات جديدة، ويملاً روحه بحب رسول الله، وآل بيته الكرام

وكان في تطوافه في البلاد، منشدا البردة المباركة، يجد الترحيب والكرم، يملأ الأعين والقلوب والصدور، على أن ذلك الترحيب والتكريم في كل البلاد، لا يقارن

بالحفاوة والتجلة، التي كان يلقاها صاحبنا المعلم، في قرية الحمر والجعافرة، وهي إحدى قرى مركز قوص، على الضفة الشرقية للنيل فكان أهل القرية عند معرفتهم اسمه، يبالغون في الترحيب به وإكرامه، ويمزحون معه، ويقولون: أنت جدنا الأكبر، ويبالغ بعضهم فيقول له : لقد سميت القرية تيمنا باسمك، وجميعنا حاضرون في خدمتك أيها الجد الأكبر، فيبتسم صاحبنا المعلم، حياء من هذا الإطراء والكرم العظيم، من أهل القرية جميعا، وهم يغدقون أفضالهم، على رأس شاب، لما يبلغ العشرين من عمره بعد وانتهى احتفال المدرسة الثانوية، بمعجزة العبور العظيم، وقد ختمه صاحبنا المعلم، كما افتتحه، بقراءة آيات بينات من سورة يوسف الصديق عليه السلام، بعد أن خطب الخطباء، وقال القائلون، وصفق المصفقون، وانصرف الجميع راضيا عن لسانه، فيما صاغ وقال، أو عن أذنه فيما سمعت ووعت

انشغل صاحبنا المعلم، بعمله المضمن، في المدرسة الثانوية عن ذكرى إسلام أو أحلام العربي، غير أنها لم تزل تلح الطرق على باب فكره، فيصرف عنه هذه الذكرى في يسر وسرعة؛ فقد تلوثت لديه صورة صاحبته تماما، ولم يبق منها في ذهنه إلا بعض ملامح غامضة، تتلاشى سريعا كلما ثاب إلى نفسه، واستعاذ بالسميع العليم، من نزغات الشيطان الرجيم، الذي يحاول أن يعيد تحسين صورتها في عينه؛ ليصرفه عن البحث عن الأميرة ذات الشيم الحقيقية لقد انهمك صاحبنا المعلم، في عمله والإعداد له، وأخلص فيه من قلبه لجميع طلابه، فأحبه الطلاب والطالبات كثيرا

(٨)

قرر صاحبنا المعلم، في نهاية شهر أكتوبر المجيد، أن يعقد اختبارا شهريا، ليقيس به مدى استيعاب طلابه لشروحه الدروس، وكان الامتحان قصيرا، لكنه كان يحوي أسئلة مركزة، فيها شيء من الصعوبة، والكثير من الالتفاف والتلاعب بالألفاظ، وبعد انتهاء وقت الامتحان، جمع صاحبنا المعلم دفاتر الطلاب، التي سجلوا فيها إجابات الامتحان؛ ليقوم بتصحيحها

وفي طلق الهواء فوق سطح منزله ليلا، جلس لأداء عمله، والفراشة وعد ترفرف حوله، تحاول أن تلهو معه، وتلهيه عن عمله؛ لينصرف إليها، لما رآته منكبا على تصحيح الدفاتر

قالت وعد مغتظة: أهذه الأوراق خير مني حتى تشغلك عني ؟ لم يرد صاحبنا المعلم عليها، ولم يزد على ابتسامة خفيفة، عامدا بها إلى مضاعفة غيظها، لكن وعدا لم تياس، وقالت كلاما كثيرا، لم يعره صاحبنا المعلم اهتماما، ولم تنقطع عن حديثها إلى حين أن قال لها بجدية: صمتا يا وعد، فالأمر مهم، فأنا أريد أن أقيس مدى استيعاب الطلاب، ومدى نجاحي معهم

قالت وعد: وكيف ستعرف مدى نجاحك معهم؟ قال صاحبنا المعلم: بعدد الطلاب الذين يحققون الدرجة النهائية في الاختبار، فكلما زاد عددهم، دل ذلك على نسبة نجاحي في الشرح، ونجاحهم في الفهم، قالت وعد: حسنا سأنتظر قليلا، بشرط أن تنهي عملك بسرعة

وبعد دقائق أنهى صاحبنا المعلم عمله، وراجع دفاتر الطلاب من جديد، فلم يجد من طلابه من حصل على الدرجة النهائية، سوى طالبة واحدة، سيظل يذكر اسمها طوال عمره، وهي الطالبة حميدة حماد فليفل

تأثر صاحبنا المعلم لنتائج طلابه، وأصابه الوجوم، وكان يتوقع غير ذلك، فبادرته وعد في شيء من الخبث قائلة: ما لك واجما أيها المعلم الكبير الناجح؟ كم طالبا حصل على الدرجة النهائية؟

قال صاحبنا في ذهول: طالبة واحدة، وقرأ عليها اسم الطالبة ثلاثيا، فاستغرقت وعد بصوت ضحكها النحيف، في الضحك، ثم قالت: طالبة واحدة، يا لنجاحك الساحق في الشرح، ونجاحهم الماحق في الفهم

قال صاحبنا في تعطل باد، وشيء من التبرير والأسى: لقد كان الامتحان صعبا، ولذلك لم يزد الحاصلون على الدرجة العظمى على طالبة واحدة، لكن وعدا لم تنقطع عن ضحكها، وهز قرون استشعارها أخذت وعد بعد أن أنهت تندرها من صاحبنا المعلم، تتندر على اسم الفتاة المذكورة، وتصفه بأنه اسم غريب عن أسماء الفتيات في هذا العصر، وأنه قديم مستورد من عصور قديمة، مضت وعفا عليها الزمان

رد عليها صاحبنا المعلم: وقد أغاظته بضحكها الذي لا ينقطع، وسخريتها التي لا تملها، أيهما أقدم بحق الله عندك، يا بنت تميم الأمجد، أحميدة أم أميرتك الموعودة ذات الشيم، على الأقل حميدة خمسة أحرف فقط، بخلاف أميرتك التي يتكون لقبها من ..

لم يكمل صاحبنا المعلم عبارته، ويبدو أن شيئا ما أوقفها في حلقه، وقد برزت عيناه وصمت لحظات، قبل أن يهتف صارخا بكل قوة: إنها حميدة يا وعد، حميدة، والله إنها حميدة

قالت وعد في نفسها: هل أصابه الخبل؟ فأنا أدري أنها حميدة التي حققت الدرجة العظمى، فإن لم أكن أدرك أنا ذلك، فعلام كنت أتندر منذ قليل فهمت وعد أن صاحبنا المعلم، يكرر على مسامعها اسم حميدة؛ ليؤكد لها اسم الطالبة المتفوقة، لكن صاحبنا المعلم كان يعني شيئا آخر، فقلوله إنها حميدة، أي أميرة الأخلاق التي تنشدها وعد، ويرجوها العالم لحاضره وحضارته، فهو يقصد أن حميدة هي ذات الشيم، وذات الشيم هي حميدة

توقفت وعد عن الضحك والسخرية من فورها، حين أخبرها صاحبنا بما ورد على ذهنه، وقالت وقد تسارعت ضربات قلبها: وكيف عرفت ذلك يا سيدي المعلم؟ قال

صاحبنا المعلم: ما يزال الأمر مجرد ظن في رأسي، ولكني سأؤكد الآن، حين أقارن ما ورد في ذهني، بما جاء في لغز هاتف بلادك المجهول

أسرع صاحبنا المعلم، وأحضر أوراقا بيضاء، وأدوات كتابية، وجلس يسترجع تفاصيل اللغز الذي يحتوي اسم الأميرة ذات الشيم، ويخطط في الورق أفكاره، ووعد تقف على كتفيه ذات اليمين، وذات الشمال، وتطير حول رأسه، تحاول بكل لهفة وقلق أن تقرأ كل حرف يكتب في الأوراق، فكانت كمن ينتظر على جمر أول مولود يولد له

كتب صاحبنا المعلم في الورقة، وقرأ بصوت مسموع (قال الهاتف في الجزء الأول من لغزه ثلاثي الأجزاء " إن اسم الأميرة ذات الشيم يتألف من خمسة أحرف، وهو اسم يتضمن وصفا عاما لكل الأخلاق والقيم والشمائل المرضية" وهذا الجزء يتحقق تماما في اسم حميدة، فكلمة حميدة من خمسة أحرف، ويتضمن وصفا عاما لكل الأخلاق والقيم والشمائل المرضية، فنحن دائما نصف ما نرضى من الأخلاق والقيم والشمائل بالحميدة

ثم كتب صاحبنا المعلم في الورقة من جديد، وقرأ ما كتب بصوت مسموع، (قال الهاتف في الجزء الثاني من اللغز: "إنك متى تحذف من اسم الأميرة الحرف الأخير، يصير الاسم صفة من صفات الله العليا، واسما من أسمائه الحسنى" وهذا الجزء يتحقق مع اسم حميدة أيضا، فمتى حذفنا حرف التاء المربوطة من اسم حميدة، يصير حميد، وإذا أضفنا الألف واللام الملازمة لأسماء الله الحسنى وصفاته العليا، يعطينا اسم الله (الحميد) ولا ضير في إضافة أل التعريف، لأنها لا تحتسب أبدا من بنية الكلمة

صرخت وعد صرخات مدوية من الفرخ، وأخذت تكبر وتهلل، ثم أخذت تحلق في شكل دوائر متقاطعة، فوق رأس صاحبنا المعلم، وفي أثناء دورانها تطلق من جناحيها ألوانا جميلة، تنتشر في الجو، وكأنها ألعاب نارية تزين السماء

استمرت وعد في احتفالها عدة دقائق، وفي أثناء احتفالها تحمد الله تعالى على فضله تارة، وتارة تشكر صاحبنا المعلم على فطنته، ووفائه بوعده الذي قطعه على نفسه، بأن يساعدها في العثور على أميرة ذات الشيم
وفي خضم احتفالها، لاحظت وعد أن صاحبنا المعلم، لا يشاركها الاحتفال، وأنه يجلس مكانه شارد الذهن، ساكنا بلا أدنى حركة، تعجبت وعد من حال صاحبنا المعلم، فأوقفت دورانها ونيران احتفالها، وسألته عن سبب شرود ذهنه
قال صاحبنا المعلم: نحن لا نملك إلا جزأين فقط من اللغز، وبالرغم من تحقق هذين الجزأين في اسم حميدة، إلا أن ذلك لا يؤكد أنها ذات الشيم؛ لأن فقداننا للجزء الثالث من اللغز، معناه عجزنا التام عن التأكد من أن حميدة، هي عينها ذات الشيم

تحولت وعد إلى قمة الحزن، بعدما كانت تنعم في رياض الفرح منذ قليل، وعادت باللوم على نفسها؛ لأنها السبب في هذه المشكلة، فهي التي نسيت الجزء الثالث من اللغز، ولولا ذلك، لأمكنهما التيقن من أن ذات الشيم، هي عينها حميدة
شعر صاحبنا المعلم بمقدار الحزن، الذي ألم بوعده، فأحب أن يطيب خاطرها، فقال لها: لا تحزني يا بنت تميم الأمجد، فلعله من الخير أن نتأخر قليلا في التأكد من اسم الأميرة ذات الشيم، وهي فرصة لنا أن نراقب حميدة عن كثب، ونتعرف على صفاتها وأخلاقها، فربما لا نحتاج إلى الجزء الثالث من اللغز، ونكتفي بالصفات والأخلاق المتوفرة في الطالبة حميدة، دليلا على كونها أميرة بلاد القيم، ونستغني تماما عن الجزء الثالث من اللغز

قالت وعد، وقد عاد إلى نفسها شيء من فرحها السابق: اتفقنا أيها المعلم الألمي، فلتعمل أنت من ناحيتك على مراقبة أخلاق تلميذتك حميدة، وسأعمل أنا من ناحيتي على اعتصار ذاكرتي؛ لأستعيد منها الجزء الثالث من اللغز

على هذا اتفق صاحبنا المعلم، مع بنت تميم الأمجد، قبل أن يأوي كل منهما إلى المكان الذي ينام فيه، غير أن صاحبنا المعلم استيقظ بعد عدة دقائق من دخوله حيز النوم، ومد يده اليمنى إلى دفاتر طلابه التي مازالت بجواره، واستل من بينها دفتر

الطالبة حميدة حماد فليفل، ونظر إليه مبتسما، ثم ضمه إلى قلبه، وأحاطه بذراعيه محتضنا إياه، ومتشبثا به، كما يتشبث الأطفال بملابسهم الجديدة في ليلة العيد، ولا ينامون إلا وهي في أحضانهم، وهم في أحضانها، ونام صاحبنا بعد هذا الحزن، نوما عميقا مطمئنا، ولم يوقظه إلا نداء المنادي (الصلاة خير من النوم)

جاء الصباح، يحمل البشرى بكل ذي خير، لمن يحمل في قلبه للبشرية خيراً، ويحمل معه إصرار صاحبنا المعلم، على اكتشاف أمر هذه الأميرة، التي انتخبتهما الأقدار، لتكون أميرة للأخلاق والشيم

عزم صاحبنا المعلم، منذ اليوم، أن يراقب ويرتقب كل حركة وسكنة تقوم بها تلميذته حميدة؛ ليكتشف بنفسه هل تصلح أن تكون أميرة بلاد القيم، ورأى أن يتمهل في حكمه، وألا يتسرع مثلما فعل، حينما أصدر أحكامه البريئة على إسلام العربي

دخل صاحبنا المعلم، في الحصة الأولى، فصل ٣/٢، وبعد إلقاء تحية السلام، أجلس الطلاب، وهم ينتظرون سماع درجاتهم، واستلام دفاترهم، للاطمئنان على جاهزيتهم للامتحانات النهائية

شرع صاحبنا المعلم، في الإعلان عن الدرجات، وأرجأ إعلان درجة حميدة النهائية للنهائية، فلما ذكر كل الدرجات، أمسك دفتر الطالبة حميدة حماد، أطلق سؤالاً قانلاً: هل بقي أحد منكم لم يسمع درجته؟ فلم يرد أحد، وكان ذلك إيذاناً بأن كل طالب قد عرف درجته، لكن بقي دفتر حميدة لم يسأل عنه أحد

كرر صاحبنا المعلم سؤاله، فلم ترد صاحبة الدفتر، فعرف أنها غائبة اليوم، فتحسر لذلك في نفسه بشدة، ولما سألت إحدى صديقات حميدة عن دفترها، مطالبة بتوصيله إليها في منزلها، رفض صاحبنا المعلم بقوة، وأعلن أمام الجميع أن الدفتر لن يُسلم سوى إلى صاحبتة، وأنه سوف يسلمها هدية على تفوقها ونبوغها؛ لأنها الطالبة الوحيدة التي حصلت على الدرجة النهائية في الاختبار، وأن عليها الحضور غداً لتسلم الهدية

لاحت عندئذ لصاحبنا المعلم، رغبة في أن يظفر بروية حميدة عن قرب، فأضاف إلى رسالته، المبعوثة إليها، عبر صاحباتها، أن عليها أن تبكر في الصباح، للحضور إلى حجرة المدرسين، حتى تحصل على هديتها بنفسها، وألا تتأخر

لم يتأخر صاحبنا المعلم عن العودة إلى منزله، ليطلع شريكته في البحث عن ذات الشيم، على ما حدث، ويقدم لها تقريراً وافياً، ويخبرها بعدم تمكنه من رؤية حميدة؛ لعدم حضورها إلى المدرسة اليوم، ثم يسألها عن دورها في الاتفاق الذي عقده ليلة أمس، هل تذكرت الجزء الثالث من اللغز أم لا

دار حديث طويل بين الشريكين في البحث عن ذات الشيم، تخلله الكثير من الأدعية، والكثير من الرجاء في معونة الله، من أجل تحقيق الأحلام بلقاء الأميرة ذات الشيم، وفي نهاية ذلك الحديث الطويل، تمت وعد لصاحبنا المعلم التوفيق في الصباح التالي

وفي الصباح، أسرع صاحبنا المعلم، إلى المدرسة مبكراً، وانطلق من فوره إلى حجرة المعلمين، وقد تحضر جيداً، لاستقبال حضرة الأميرة المرشحة لإمارة بلاد القيم، وكله أمل اليوم، أن تتيح الأقدار لعينيه نعيم النظر إليها، ولأذنيه بسماع صوتها أن تتعطرا، وقد استرجع في ذهنه صورة فتاة حلمه الجميلة، وصوتها الموسيقي

وبعد عدة دقائق، طرق الباب طرقات رقيقة، ودخلت الأميرة المحتملة حميدة، بعد أن استأذنت، فأذن لها أستاذها

فلما وقع بصر صاحبنا المعلم، على تلك الفتاة الغامضة، التي بمقدورها وفي يدها إنقاذ بني الإنسان، ومصير العالم والأكوان، وجد شيئا ما بداخله يأمره بالوقوف على قدميه؛ احتراماً لهيبة الأميرة وبهائها

وخيل إليه، وهي تتهدى في مشيتها نحوه، كأن ذاك الشيء الذي أوقفه على قدميه، يهمس في أذنيه قائلاً: إنها أميرة الأخلاق، منقذة العباد، حميدة حماد، فلا ثمة بعد اليوم، شجر للدر ولا للمرجان، ولا قطر للندى ولا خيزران، ولا إنس، ولا جان

لم يملك صاحبنا المعلم نفسه، فهب واقفا منتصباً، لما ألقى سيدة الأخلاق لدى الباب، وعلق بصره بها، وهي تخطو نحوه بخطوات خجولة

قفز إلى ذهنه ساعتها، حلم إيمان، إنها زوجته صاحبة الحجاب الأزرق، المنقوش فيه الهلال الأبيض، وتحت الكرسى الخشبي الذي رآه في حلمه، وأمامه تلك المنضدة متوسطة الأحجام بعينها، وهو يرتدي القميص الأبيض عينه، لقد جلس على ذلك المقعد، وأمام تلك المنضدة، في هذه الغرفة، مائة مرة، لكنه لم يخطر له أبداً، أنه ذات المقعد الذي رآه في حلمه

وعلى إثر ذلك خاطر، جحظت عينا صاحبنا المعلم، وهو يحرق بنظره في الفتاة، ذات الثمانية عشر عاماً، ويشبعها بعينه تقبيلًا، ويعاتبها على تأخرها في الحضور، كل هذه المدد المحزنة القاتلة

تقدمت الفتاة نحوه أولى خطواتها فارتبك، وزادته الخطوة الثانية ارتباكًا، فلما جاءت الثالثة رق لها، لكنه رثا لحاله يعاتبها من جديد، بعينه الصارخة، وهي تحملق فيها: لماذا تأخرت كل هذه السنوات؟ يا إيمانًا نقيًا خالصًا، يا حميدة الأخلاق والشيم

فلما كانت الخطوة الرابعة، سامحها سريعًا، بقلبه الطفولي، على هذا التجني والتأخر، وجاءت الخطوة الخامسة، وقد أغرق قلبه وعينه حبا لها، محامًا كان سالفه من لوم وعتاب

فلما خطت السادسة، غلفت عينيه بغلاف من براءة الأطفال ووداعتهم، وأدخلته الخطوة السابعة في روضة علمها الخاصة، والخطوة الثامنة أسبغت عليه أنوارًا، من علم لم يختبره قبل الساعة

ومنحته الخطوة التاسعة حق اليقين، وصبغته الخطوة العاشرة بعين اليقين، وفي الحادية عشرة شرب من عين العرفان، فلما كانت الثانية عشرة، سكر من خمر الوجد وحنان المعية، وفي الثالثة عشرة نال الحكمة والأسرار العلوية، وفي الرابعة عشرة، تسامى عن الوجود، كل الوجود، وغاب عن كل حادث ومفقود

وجاءت الخامسة عشرة، فما حوته بلدان ولا أكوان، ولا زمان ولا مكان، وفي السادسة عشرة عاد إلى الوجود، وزاحمه الشيطان، وفي السابعة عشرة أثقله الحس عن الطيران بالوجدان، وفي الثامنة عشرة أزل الشيطان، فأنساه ذكر

الرحمن، وفي التاسعة عشرة أكل من شجرة الخلد الذي لا يبقى، وفي العشرين فتح ذراعيه للشيطان، فكان الطرد من الجنان، وفي الحادية والعشرين، سمع نداء القرآن، يا أيها الإنسان ما غرك بربك الكريم الديان، وفي الثانية والعشرين، استغفر ربه الرحمن، فتاب إليه من وساوس الشيطان، وفي الثالثة والعشرين من عليه الكريم المنان، بالعفو والإحسان، وفي الخطوة الرابعة والعشرين، عاد كيوم ولدته أمه، طفلاً بريئاً كما كان، وشفاه الله من كل الأدران

وفي الخامسة والعشرين، ها هو يقف أمام أميرة الأخلاق والفضائل والقيم بحب وأمان، ليجري حبها الدافئ في قلبه أنهاراً، فيغتسل قلبه بماء وسدر، في طست من الذهب النقي، ولتتبع ذرات حبها حظ الشيطان، في مجرى دمائه، فتطرده منها، وتعيد ذاك القلب، كما كان يوم خلق الله الإنسان

وقفت حميدة بين يدي أستاذها، ووقف صاحبنا المعلم أمام إيمان أحلامه وجهها لوجه، وتأكد له الآن أن حميدة هي إيمان فتاة حلمه، واستدل على ذلك بموقفه بين الكرسي والمنضدة، ولون ثيابها الأزرق الكحلي، والهلال المنقوش على حجابها الأزرق أيضاً، وببسمة ثغرها، ولون بشرة وجهها القمحي، وبطول قامتها الذي ينتهي مقابل قلبه تماماً

غمرت الدهشة والعجب، نفس صاحبنا المعلم، وهو الذي قد جاء يطلب العثور على ذات الشيم، فإذا به يعثر على إيمان حلمه، وتمنى من الله تعالى أن تتجمع الفتيات الثلاث، في صورة فتاة واحدة، فتكون إيمان حلمه، وذات الشيم، وحميدة فتاة واحدة

(صباح الخير يا أستاذي)، هكذا أطلقت حميدة، أولى طلقاتها إلى قلب أستاذها، في صورة تحية من فوهة ثغرها البسام

وسمع صاحبنا المعلم، تحية الصباح، لأول مرة في حياته بهذا النغم الموسيقي الساحر، وكأن تاريخ جملة (صباح الخير) قد ابتدأ الآن، وكأن ما تقدم ذلك عبر الأزمان، لم يكن إلا تجارب من البشرية، لتثبت من صحة هذه الجملة، ومناسبتها للاعتراف بها تحية للصباح، فلما تلفظت بها إيمان حلمه حميدة الأخلاق، في ذلك

الحين تم الاعتراف بها رسميا، كتحية للصباح، فصارت وسما وعنوانا لهذا الصباح، ولكل صباح سيشرق على البشرية، بشمسه الذهبية بعد اليوم (أنا حميدة التي كنت تبحث عنها أمس يا أستاذي) وكانت هذه الجملة هي الطلقة الثانية من فم حميدة البسام، وما إن بلغت هذه العبارة مسامع صاحبنا المعلم، حتى أبدلته من حال إلى حال، ومن طور سكر إلى أشد منه، وهتف قلبه في صدره أنت الحميدة ولا سواك

وأما فكره، فقد غرق يتأمل هذا الصوت الملائكي الجميل، فعجز إلا عن إقرانه بصوت فتاة الحلم النورانية، ذات البهاء الملائكي، فبينما تسمع أذناه جملة (أنا حميدة التي كنت تبحث عنها أمس يا أستاذي) سمعت أذناه من داخله تعقبيا مرادفا (لست مثلهن ولسن مثلي)، فسمع الجملة من خارجه وداخله، هكذا (أنا حميدة التي كنت تبحث عنها أمس يا أستاذي، أنا لست مثلهن ولسن مثلي) فكاد قلبه يهتف في غمرة نشوته، ويقول: (صدقت والله يا مولاتي الحبيبة، فلست مثلهم منشأ وابتداء، ولسن مثلك حياة وانتهاء)

ولما صفت روح صاحبنا المعلم، وثاب الفكر منه، نطق اللسان بشوق السنين، وحرقة الحرمان قائلا: (مرحبا يا يا يا)

لقد تداخل عليه الاسمان، أياديهما باسم إيمان، أم حميدة، فارتبك وخجل وتصبب عرقا، رأت حميدة ما حل بأستاذها، فاقتربت منه، فكانت قاب قوسين أو أدنى، وقالت في صوت بهيج، كنضارة الحقول والمروج: اجلس يا أستاذي على كرسيك، يبدو أنك متعب بعض الشيء

ولا تسل عن أثر هذه النسمات الأرق، من نضارة الحقول والمروج، اللواتي خرجن من فم الفتاة، فجئن على وجهه المصاب بالعرق، كيف أسرت فيه، وفي أوصاله طمأنينة حانية، فجلس مكانه كما نصحته تلميذته، ورجاها أن تجلس على الكرسي المقابل للمنضدة أمامه، لكنها ابتسمت واعتذرت، حياء من الجلوس أمام أستاذها

سألت حميدة أستاذها، وهي تبقي على بسمتها الساحرة، ويعلوها اهتمام لا يخفى قائلة: أين هديتي يا أستاذي؟ ففتح صاحبنا المعلم حقيبته، وأخرج منها مصحفا مزخرفا، كأجمل ما يكون، قد اشتراه خصيصا لها، ووضع المصحف أمامه، ولم يزد على ذلك كلمة واحدة

سعد صاحبنا المعلم، وهو يراقب إعجاب حميدة بالهدية، وقد فتحت عينيها النجلاوين، عن حجرين سوداوين، فيهما تتوالد الأبعاد من أبعاد، وقالت: ما أجمله من مصحف! إنه أجمل هدية، فلا أجمل من كلام الله تعالى يهدي، شكرا لك يا أستاذي

ابتسم صاحبنا المعلم، لهذا الإطراء الرقيق، وقال وقد فصح لسانه بعد انعجابه: أنت تستحقين أجمل المصاحف، جزاء لتفوقك، فخلجت الفتاة، وتورد خذاها الأسمران، من ذلك الثناء من أستاذها، ولم تجد بدا من الانصراف بخجلها، فاستأذنت وخرجت، تحمل مصحفها

عصبت الخيالات رأس صاحبنا المعلم، لدى خروج الفتاة، ومشيتها الخطوات الخمس والعشرين، من مكتبه إلى الباب بالمعكوس، فخيل إليه أن المصحف يبتسم في يديها، وهي تحتضنه فوق قلبها، وخيل إليه أن السوار المزخرف الذي يحيط بغلاف المصحف، قد اتسع وعظمت دائرة زخارفه النباتية والهندسية الإسلامية، حتى شمل الأميرة حميدة بداخله، وقد اختلط نورها بنور المصحف، وخيل إليه أن أسراب الحمام التي رآها تحرس الأميرة النورانية في الحلم، قد عادت ترفرف حولها، لدى خروجها من الحجرة، غير أن أسراب الحمام، كانت في خياله أكبر عددا، وأكثر نصاعة وبياضا من حلمه

وهكذا عبر صاحبنا المعلم من الأحلام إلى بوابة الحقيقة، والتقى في واقعه بإيمان حلمه، وسعد قلبه بهذا العبور العظيم، ونقل تفاصيل سعادته بكل دقائقها في لقائه اليومي بشريكته في البحث عن ذات الشيم

شعر صاحبنا المعلم، بأن عمره قد ابتداء، من تاريخ هذا العبور العظيم، وجعل همه من ذلك اليوم الذي التقى فيه بإيمان حلمه، أن يراقب تلميذته حميدة عن كثب،

ليجيب عن السؤال الذي علق في ذهنه وقلبه، ووجد ثلثي إجابته، ولم يبق له سوى الجزء الثالث، وهو السؤال الذي يشغل عقل وعد أيضا (هل حميدة حماد هي ذاتها ذات الشيم ؟)

مضت الأيام كعهدها تتوالى، وكلما مضى يوم، زاد يقين صاحبنا المعلم، بأن حميدة هي ذاتها ذات الشيم، وذلك لما لمسها من حيائها، وحبها لكل زميلاتها ومن حولها، ويظهر ذلك الحب أكثر ما يظهر، من خلال مساعدتها لهن، في فهم ما استغلق عليهن من دروس، بل ومساعدة الكثير منهن بالنصح، والوصول لحلول لمشاكلهن الاجتماعية

لاحظ صاحبنا المعلم، من خلال مراقبته لتلميذته، دائرة من الطالبات تحيط بها بشكل دائم، وذلك في كل مكان تذهب إليه أو تجلس فيه، وكلهن يتوجهن بكلامهن إليها، وهي تجيب عليهن، وتوزع عليهن اهتمامها وعطفها بالتساوي، في حين تحرص كل واحدة منهن على أن تجور على أختها، فتتال من حب حميدة واهتمامها، أكثر مما تتاله الأخريات

لاحظ صاحبنا المعلم ذلك كله، وأضعافه، فتأكد أنها ذات الشيم لا محالة، لكن غياب الجزء الثالث من اللغز، جعل القطع بأنها أميرة بلاد القيم، يحتاج إلى مزيد من الانتظار، ومزيد من البحث والاستكشاف، فلعل صفة أو خلقا تخفيه الفتاة، لم يفتن إليه بعد، ومرت الأيام والأسابيع، وصاحبنا المعلم عاجز عن حسم الأمور، دون عثوره على الجزء الثالث من اللغز

وفي يوم من أيام الشهر الثاني من عام ٢٠١٣م، حدث في المدرسة الثانوية، أمر لم يكن يخطر على الحسبان؛ من شدة غرابته وطرافته، وذلك أن رجلا من أهل القرية، يسمى عم زمقان السعيد، قد حضر إلى المدرسة، وكان حضوره للمدرسة حدثا عظيما، بسببه تجمهر المعلمون جميعا للسلام عليه، والاطمئنان على أحوال صحته، وإبداء الرغبة الصادقة في خدمته

وبالرغم من أن اسم هذا الرجل العجوز، يدل على (الزmq) وهو الحزن بالعامية المصرية، إلا أنه كان دائم البشر مبتهجا، راضيا بما قضاه الله عليه وكتبه، من سلب لنور إحدى عينيه

وكعادة المصريين كان أهل القرية، يلقبونه بعم زمقان كريم العين، وتلك عادة أهل مصر حين يصفون الرجل الذي فقد إحدى عينيه، تطيبا لخاطره، وعونا له على تحمل بلاء الله، الذي لا راد له

وقد اعتاد عم زمقان، كريم العين في كل عام، أن يقيم حفلا دينيا، بجوار المسجد العمري، أو المسجد الكبير، كما يسمونه أهل القرية، وكان هذا الحفل بمناسبة ذكرى مولد رسول الله ﷺ

وبالرغم من أن عم زمقان كان رجلا (أرزقيا على باب الله) فقد كان يبيع القليل من الخضر والفاكهة، والكثير من الفول النابت والحمص المغليين، لمن يستيقظون فجرا من أهل القرية، ويصطفون في المسجد لأداء الصلاة، ثم يصطفون ويتحلقون حول آنية عم زمقان، لتناول الإفطار، قبل الذهاب للعمل في صناعة الطوب الأحمر، أو صناعة الفخار، وهما الصناعتان اللتان تشتهر بهما القرية

وكان عم زمقان، يجلس في مكانه في السوق يوميا، بعد أدائه لصلاة الفجر، وأمامه حلتان عميقتان، إحداهما تمتلأ بالفول النابت، والأخرى بالحمص المغلي، والناس يتسابقون على الفوز بشراء صحن من إحدى الحلتين للإفطار، قبل الضرب في فجاج الأرض، يبتغون فضلا من الله ورضوانا

ينتظر الناس أدوارهم حول الرجل الزمقان سعداء، ولا يخلو وقت الانتظار من الاستماع، إلى موعظة قصيرة، أو مجموعة من الطرف والنوادر، من فم عم زمقان، السعيد دائما، وهو ما يضيف جوا من التسلية والمتعة، لكل الزبائن المتحلقين حول الرجل

وكان صاحبنا المعلم، يستمع يوميا، إلى بعض كلمات من مواعظ عم زمقان، وأجزاء متناثرة من نوادره، وهي الكلمات والأجزاء التي قدر لها أن تهرب وتطوف حول رؤوس الزبائن، ليسمعها صاحبنا المعلم، وهو عائد من أداء صلاة الفجر في

المسجد العمري، بينما هو يمر في السوق، أمام فرش عم زمقان، لكنه لم يكن يتوقف، ليستكمل قصة واحدة مما يسمع؛ بسبب تعجله في العودة إلى منزله، لما لديه من أعمال في الصباح الباكر

وكان الناس ينصرفون من حول عم زمقان، وقد امتلأت عقولهم من حكمته، وبطونهم من حلتيه الكبيرتين، وشبعوا لدى انصرافهم من دعواته لهم، بأن يفتح الله لهم أبواب الرزق، وأن يبارك فيما أعطاهم، وأن يعوضهم عما أخذ منهم وبالرغم من قلة المال الذي يملكه هذا الرجل، كان هذا الرجل كريم العين، كريم القلب، يدخر من قوت يومه طوال العام، ليجمع المبلغ اللازم للحفل، وذلك في كل عام

ففي كل عام يتفق على إحياء فقرات هذا الحفل السنوي، مع بعض الحفظة القراء للقرآن الكريم، والمنشدين الذين تخصصوا في مديح رسول الله، واتخذوه طرقا للكسب في الدنيا، وطريقا للنجاة في الآخرة

وكان هؤلاء المادحون من المخلصين الأخلصين في حب النبي، فكانوا يجوعون حينا، ويشبعون حينا، لكنهم لا يتخلون أبدا عن الاشتغال بمديح النبي، ولا يتركون هذا العمل لإنشاد غيره من الكلمات، ولو كان فيه غناهم وشهرتهم

فلما جاء الحين، وجاء موعد الاحتفال السنوي، بمولد رسول الله صلى الله عليه وسلم، وسمع العم زمقان بمقدرة صاحبنا المعلم على إنشاد البردة، ونبوغه في ذلك، إذا به يسأل عن محل عمل هذا المعلم، ويسرع إلى المدرسة الثانوية بحاجر القرية؛ ليطلب من صاحبنا المعلم، إنشاد البردة المباركة، في حفل المولد الشريف

ولم يعمد عم زمقان إلى منزل صاحبنا المعلم؛ لعدم معرفته به، لأن صاحبنا المعلم لم يكن ذا شهرة واسعة بين أهل القرية، ولا من أصحاب المال الموسرين، حتى يصبح منزله معلما من معالم القرية، إنما كان صاحبنا المعلم، ميالا للعزلة والانفراد، وعدم الخروج من منزله إلا للصلاة والعمل

وقف الرجل كريم العين، وسط المعلمين المحيطين به لاستقباله، وهو يهتف في براءة، ويقول ما معناه: أنا أريد مقابلة الأستاذ الذي يغني البردة، بصوت حلو وفي الحقيقة أنه لم يقلها بالفصحى، بل قالها بالعامية المصرية، وبلهجة أهل قنا بالتحديد، فعبر عن طلبه بقوله: (أنا علوز أقابل الأستاذ اللي ميغني بردة النبي، بصوت حلو)

فجعل عم زمقان اسم الفاعل، من الفعل (عوز) بمعنى (احتاج) مكان الفعل أريد، وحذف الذال من كلمة الذي، ثم بدأ الفعل المضارع يغني بميم، على عادة أهل القرية، وقواعدهم في نطق الفعل المضارع

وعلى كل حال، فقد أحسن المعلمون الزملاء استقبال الرجل، وبعثوا في طلب صاحبنا، فحضر على عجل، وقبل رجاء الرجل كريم العين، للمشاركة، بإنشاد البردة المباركة، في حفل هذا العام، بمولد النبي ﷺ

ومما دفع صاحبنا المعلم للقبول بهذه المشاركة، يقينه بإخلاص هذا الرجل، وصدقه في حب رسول الله، وهو ما دفعه لأن يلزم نفسه، وأن يفرض عليها، اقتطاع جزء من قوته، وقوت أولاده، للوفاء بهذا النذر في كل عام

على أن صاحبنا المعلم، كان على يقين أيضا، أن هذا الرجل لم يكن بدعا من المصريين، فهم جميعا يحبون نبي الله محمدا، ولقد كان صاحبنا المعلم يحدث نفسه، بأن في مصر نهريْن جارفين يجريان، أحدهما ظاهر، وهو النيل الذي يخترق أراضيها، فينشر يمنة السعيد في كل مكان، والآخر نهر باطن، وهو نهر الحب لأنبياء الله وأوليائه، وعلى رأسهم حب رسول الله الأعظم، وآل بيته الكرام وتتفجر أنوار هذا النهر الأخير في صدور المصريين، فتملأها من حكمة النبي، وأسرار نورانيته

وبداخل المصريين يمتزج النهران، نهر النيل الظاهر، ونهر الحب النبوي الباطن، الأول بذرات مائه، والآخر بذرات نوره، فيختلط ماء النيل المقدس، بنهر الحب الغائر في الصدر المصري، ثم يتدفقان معا ماء منيرا، ويتحول هذا الماء المنير

دماء في عروق وشرابين المصريين، وتغذي تلك الدماء العقول والأبصار من أهل الكنانة

وأما أقباط مصر من المسيحيين، فالنيل المقدس يختلط في صدورهم، بنهر الحب للسيد المسيح عيسى، المعلم والطبيب، وأمه مريم الصديقة عليهما السلام، وكذا تختلط مياه النيل، بنهر الحب الغائر في الصدر، ثم يتدفقان في عروق وشرابين المصريين، فلا يصدر قول أو فعل، من مصري أو مصرية، إلا ويعبر عن حب لنبيه وآله، وصحابته وحوارييه

من أجل ذلك كله، لم يتأخر صاحبنا عن إعلان الموافقة على المشاركة في حفل المولد الشريف، والاستعداد لما هو أكثر من ذلك

وجاء موعد الحفل، وجلس الناس في الساحة الأمامية، للمسجد العمري، مقابل ديوان عائلة المشايخ، وسد صيوان الحفل معظم الطريق الذي يربط سوق القرية، بمنطقة غرب البلد، حيث رصت الدكك الخشبية الثقيلة الوزن، الغالية الثمن

ومن عادة أهل الصعيد، التنافس في جعل هذه الدكك الخشبية ثقيلة الوزن، ومضاعفة ما يلزم لصناعتها من الخشب، فيطلبون من النجار الذي يصنعها، أن (يمونها بالخشب) بتشديد الواو، أي يزيد فيها من كمية الأخشاب، وأن يجعلها (مكّلفة) بفتح اللام المشددة، وفتح الفاء

وليس المقصود هنا، أن تكون مكلفة ماديا بالنقود، بل المقصود أن تتجاوز الحد في كل ما يلزمها، من أرجل، وفرش خشبي، ومسامير، وحليات خشبية، ثم ما يلزم لفرشها وتنجيدها من مفارش صوفية غالية، ومساند قطنية

جلس المدعوون، كل في مكانه، وقام الشباب الذين تكفلوا بخدمة أهل الحفل، بتقديم الشاي والمياه، والحلوى والمشروبات الساخنة، لينتعش البدن، قبل بدء فقرات الحفل، فيكون الجميع أذن خير تسمع، وقلب عاقل ملهم لا غير

وبدا الحفل، بتلاوة عطرة لآيات من سورة الفتح، بصوت طالب من طلاب المعهد الأزهري بالقريّة، ثم تلاه المنشدون بإنشادهم، والمتكلمون بأحاديثهم وخطبهم، والواعظون بوعظهم

ثم جاء موعد، عين الحفل، وعين الحفل في الاستماع إلى درة كل عصر، قصيدة البردة المباركة، بصوت صاحبنا المعلم

تناول صاحبنا المعلم الميكروفون، وآنس من جانب الناس حسن إصغاء، وكان على رؤوسهم طيور الصيد، وبعد الاستعاذة والبسملة، وتلاوته دعاء نفي الرياء المحبب إلى قلبه: (اللهم إنا نعوذ بك من أن نشرك بك شيئا نعلمه، ونستغفرك لما لا نعلمه)

قال صاحبنا: أيها السادة الكرام، يا ضيوف رسول الله، في يوم مولده الكريم، أريد أن أستأذن حضراتكم، لتعبروني قلوبكم لحظات معدودات، فإني جئت إليكم بهدية، من غابر الأزمان، لعلكم تذوقون بتلك الهدية حلاوة الإيمان

ازداد إنصات المنصتون إنصاتا، لسماع خبر الهدية، وتشوقت نفوسهم وتطلعت، لمعرفة هذا السر، فانطلق صاحبنا المعلم يقول: تعلمون جميعا يا سادتنا، أن لكل واحد منا أمنية، يسميها أمنية العمر، وكل منا يحرص لتحقيق هذه الأمنية، على دفع الغالي والنفيس، ويتوسل إلى كل إنسان يملك قدرة؛ ليساعده على تحقيق حلم عمره، والإمساك بأمنية حياته، أليس كذلك أيها السادة الكرام ؟

أشار الجميع برؤوسهم، ولم ينطق لسانهم، وما كان له أن ينطق بعد هذا الخشوع، أشاروا جميعا: أن بلى، قال صاحبنا المعلم: ألا فاعلموا إذا أن لرسول الله أمنية عظمت، هي حلم عمره الشريف، وقد طلب من الله طوال عمره أن يحققها له، وطلب من صحابته، ومنا كذلك، أن يساعدوه على تحقيق هذا الحلم، وتلك الأمنية، فهل أنتم مساعدوه ؟

أشار الجميع برؤوسهم: أن نعم، واشتاقوا لمعرفة حلم العمر، الخاص برسول الله ﷺ واشتاقوا أكثر لمعرفة الوسيلة والسبيل لمساعدته

ولم يتركهم صاحبنا المعلم، يتقلبون على مقالتي الجمرات، إذ عاجلهم فقال: إن هذه الأمنية، التي يحلم بها رسول الله، هي الحصول على درجة الوسيلة العظمى، وهذه كما تعلمون، درجة لا تنبغي إلا لرجل واحد، من أولاد آدم جميعاً، وسوف يتم انتخاب واحد فقط من الأنبياء، للحصول على هذه الدرجة، ورسول الله يرجو أن يكون الفائز في هذا الانتخاب، ليحصل على هذه الدرجة، أوتدرون كيف تساعدونه؟

فهز الجميع رؤوسهم: أن لا، فقال بأن تصوتوا له في هذا الانتخاب، وتضعوا أصواتكم في صندوق انتخابه، مقابل أصوات باقي الناخبين، لباقي المرشحين، ليعظم عدد المصوتين لرسول الله، وبذلك ينجح الرسول الأعظم في تحقيق حلم عمره

وبدا هنا سؤال حائر، في أعين السامعين، المنصتين الخاشعين، شيبا وشباناً: وكيف يتم التصويت؟

فأجاب صاحبنا المعلم قائلاً: باب التصويت مفتوح إلى قيام الساعة، ويتم التصويت يومياً خمس مرات متكررة، وذلك عقب كل أذان للصلاة، بأن يقول المسلم: اللهم رب هذه الدعوة التامة، والصلاة القائمة، آت سيدنا محمداً الوسيلة والفضيلة، والدرجة العالية الرفيعة، وابعثه اللهم مقاماً محموداً الذي وعده (إنك لا تخلف الميعاد)

دهش الناس مما سمعوا؛ لأنهم بالفعل يرددون هذا الذكر بعد كل أذان، إلا إنهم لم ينتبهوا يوماً، إلى أنها أمنية لرسول الله، ولم يتفكروا في الأمر على هذا النحو أبداً

وبعد أن أصاب صاحبنا المعلم هدفه، من قلوب السامعين، أحرز هدفاً أكبر وأكبر، إذ مضى في حديثه قائلاً: ولكني يا ضيوف رسول الله، أرى أن خمس مرات للتصويت، غير كافية، وعندي اقتراح، أظنه سديداً، فلعلكم تسمعون وتنفذونه، فيغنم بذلك رسول الله ملايين الأصوات، بل مليارات الأصوات، في كل يوم وليلة، فهل تريدون سماع الاقتراح؟

وهنا انطلقت أسنة الحاضرين جميعا، في صوت واحد، وقد استبد بهم الشوق والتشوق: نعم نعم، قل نسمعك، قال صاحبنا المعلم : أقترح عليكم أن نقرن التصويت في الانتخاب، بشكل دائم بالصلاة على رسول الله، وليس بسماع المؤذن فقط، ففور ما نسمع اسم رسول الله، نتلوه مباشرة، بقولنا (اللهم صل عليه وآته الوسيلة) وبذلك ينضاف إلى صندوق رسول الله الانتخابي، مليارات من أصوات أحبابه، كل يوم وليلة

اخترقت كلمات صاحبنا المعلم، قلوب العاشقين الخاشعين، فطربت لما سمعت، ووقف الرجل كريم العين، وهو يصرخ كعادته حين تطرب روحه: ما أطيب كلامك يا أستاذ! لك علينا أن نملاً صندوق رسول الله، وملايين الصناديق من أجل عينيه الكحيلتين، وأن نجعل لنا وردا يوميا بعد صلاة الفجر، للدعاء لرسول الله، أقصد للتصويت لانتخاب رسول الله

طرب صاحبنا المعلم لما سمع، وابتدر الرجل الكريم العين بقوله: وبذلك نثبت لرسول الله، أن أمته تحبه، وتحرص على إرضائه، وأنه يتربع على عرش قلوبنا، كما كان يتربع في قلوب صحابته الكرام، فمحمد منا ونحن منه، وهو أولى بنا من أنفسنا

وفور أن سمع الجمهور، اسم رسول الله، هتفوا على قلب مؤمن واحد، (اللهم صل عليه وآته الوسيلة)

التقط صاحبنا المعلم نفسه، ثم قال: بعدما حدثتكم بحديث الأمنية، التي تتألق في قلب رسول الله، أريد أن أخبركم عن الطعنة، التي تدمي قلب رسول الله
ذهل السامعون العاشقون، لما يسمعون، ولسان حالهم يقول: ما هذه الطعنة ؟ وكيف نداويها ؟ ومن الطاعن الآثم ؟ حتى نأكله بأسناننا، ونفدي قلب رسول الله بأرواحنا

أجاب صاحبنا المعلم، عما يلوح في أعين الناظرين من أسئلة، فقال: الطعنة التي تدمي قلب رسول الله، يا ضيوف رسول الله، ما يفعله بعض شبابكم وصبيانكم من التجروء، على دين الله وسبه، وأنتم تعلمون كم تعب رسول الله وعانى، طوال ٢٣

سنة، قضاها في الجهاد، وتحمل الشتم والسب، والضرب والجوع، والبصق على وجهه الشريف، كل ذلك من أجل، أن يصل هذا الدين الحنيف إلينا وقد وصف الله تعالى، حرص النبي على هداية الناس بقوله تعالى، مخاطبا نبيه: (فلعلك باخع نفسك على آثارهم إن لم يؤمنوا)

فلقد كادت تخرج نفس رسول الله، حزنا على هذا الدين وما يلاقيه من الناس، حتى إذا مات رسول الله، وجئنا من بعده، طفق صبية منا يسبون هذا الدين، الذي كادت روح رسول الله تخرج من أجل توصيله للناس

وكأننا نقول لرسول الله: ما كان يجدر بك، أن تتعب نفسك، لتحافظ على هذا الدين، فنحن لا نرى له قيمة، ومن أجل ذلك نسبه، لقد أضنيت نفسك، وأهدرت عمرك عبثا، ونحن بذلك نطعن قلب رسول الله الكريم، أفتقبلون ذلك، وتقرونه وترضونه، على قلب نبيكم الحبيب ؟

فأجابوا جميعا: لا والله، وهنا وقف الرجل كريم العين، مرة ثانية، وهو صائح يقول: والله إن سمعت صبيبا، أو شابا، أو رجلا، أو امرأة، يسب دين الله، لأوجعنه ضربا، مثلما أوجع قلب نبي الله طعنا بفعلته

قال صاحبنا المعلم: نحن لا نريد ضربا ولا وجعا، فما كان ذلك من نهج رسول الله ﷺ فإنما كان عليه السلام، رحمة للعالمين، وبردا وسلاما على الخلق الأجمعين، ولكن فليتكفل كل منا بأهل بيته، يمنعهم عن هذه العادة المقيتة، وهذا الذنب الكبير، ويبين لهم فحشها وقبحها، فإنهم قريبو الرجوع إن شاء الله

وفي ختام كلمتي إليكم، أوصيكم بتعليم أبنائكم وبناتكم، سيرة رسول الله العطرة، وسيرة أصحابه، وآل بيته الكرام، حتى يمتنعوا عن التجروء على مقامهم الكريم

أنهى بذلك صاحبنا المعلم كلمته، ثم انطلق في إنشاده البردة، وانطلق الناس معه يتميلون طربا، في جو من الروحانية، لم يعهدوا له مثيلا، فتناولت أرواح الحاضرين وسمت، حتى ارتقت، فبدت لهم سدرة المنتهى، إذ يغشى السدره، ما يغشاهم

ورأوا فيما غشيهم، أن الدنيا ستمطر عليهم في حياتهم، من فومها وعدسها،
وبصلها وقثائها، ولحومها وطيرها، ومن جميع أرزاقهم، وجميع ما يشتهون،
ببركة الصلاة على محمد واتباع نهجه

وقرأوا على أوراق سدرتهم، قول الله عز وجل (إن أحسنتم أحسنتم لأنفسكم)
وقرأوا على أغصانها قوله تعالى (لئن شكرتم لأزيدنكم)

وقرأوا على ساقها المتين الراسخ، قوله تعالى (ولو أن أهل القرى آمنوا واتقوا
لفتحنا عليهم بركات من السماء والأرض)

وبعد انتهاء الحفل، وعودة أرواح الحاضرين من معراجها إلى أجسادها، تسابق
الناس وتجمهروا، لمصافحة صاحبنا المعلم، وتهنئته على هذه الكلمات الساحرة،
والإنشاد الرائع

وكان أكثر الحاضرين، لا يصدقون أن هذا الشاب من أبناء قرية المحروسة، وأنه
يقيم بين منازلها، وقد سعد هؤلاء جميعا باكتشاف هذا الشيخ الشاب، وتعهد بعض
المتجمهرين عهدا، أمام صاحبنا المعلم، بإضافة ألف صوت يوميا، في صندوق
انتخاب رسول الله

وشكى بعض المتجمهرين إليه، من تعنت ولده، وجرأته على الدين، وعلى شعائر
الله، وغيرهم وغيرهم، ممن تحلقوا حوله، ولم ينفضوا عنه إلا بعد لأي وإلحاح
شديدين

وقد انصرفوا جميعا، بعد أن طربت أسماعهم، وقرت أعينهم، وجلت قلوبهم،
وتجلت أرواحهم، ونال صاحبنا المعلم من أهل قريته التعرف والاعتراف والعرفان،
بفضل الاحتفال بمولد الرسول الأعظم

وهناك على مرمى البصر، كان يقف منزلان، تصلهما كلمات صاحبنا المعلم وإنشاده، أما الأول فكان منزل إسلام أو أحلام العربي، فتاة الإعلام والمظاهر، وكان هذا المنزل آخر منزل، يبلغه صوت الميكرفون، فهو يقف بالقرب من بعض المستنقعات والمصارف الزراعية، خلف معهد المحروسة الأزهري

وقد بلغ صوت الميكرفون إلى منتهاه، ورن في جنبات هذا المنزل، فلم يجد من يسمعه، فقد كانت الدار خاوية على عروشها، بعد أن سافر أهلها جميعا للمشاركة، في مراسم جنازة، لأحد أقارب إسلام العربي في القاهرة

وأما المنزل الآخر، فكان بالجوار القريب من المسجد العمري، يبعد عنه سبعة عشر مترا، أو أكثر بقليل، وكانت هذه الدار عامرة بالمسامع النقية التي، تنقل للقلوب النقية، وهي دار الشيخ المرحوم الحاج فليفل

فقد تحلق نساء الدار بداخلها، لسماع فقرات الحفل منذ بدايته، بالإضافة إلى الكثيرات من النساء الصالحات، اللاتي انتقلن إلى دار الشيخ فليفل، وموضع كُتَّابه الملاصق للدار، حيث كان الشيخ فليفل يحفظ أبناء القرية القرآن، ويعلمهم القراءة والكتابة والحساب، أجيالا من بعد أجيال

وسهرت نسوة الدار لمتابعة الحفل طويلا، حتى إذا جن الليل وسرى، وازدادت قسوة البرد، نعست أعين معظمهن، وعجزت عن المقاومة، فذهبن إلى النوم، لما ينتظرهن بعد صلاة الفجر، من شاق الأعمال، ولم يبق منهن إلا القليلات

بيد أن فتاة في الثامنة عشرة من عمرها، من حفيدات الشيخ فليفل، قد جلست بمفردها، على سطح الدار، في ليل الشتاء الشديد، تستمع إلى الحفل، منذ البداية، حتى الخاتمة، ولم يغلب النوم عينيها لحظة واحدة، كما فعل بالنساء اللاتي تجمهرن، عند مدخل الدار يستمعن للحفل

جلست الأميرة حميدة، على سطح بيتها سعيدة، وهي تستمع إلى أستاذها، وتفخر به أمام نفسها، وتحاول أن تحفظ بذكائها، بعضا من أبيات البردة، التي يرددتها أستاذها المنشد

وكانت حميدة قد سمعت، أخبارا تفيد بمشاركة أستاذها، بالإنشاد في هذا الحفل، فاشتافت لسماع إنشاده من جديد، بعد أن سمعته سابقا، ينشد بردة المديح في مسرح مدرستها الثانوية، في حفل (معجزة العبور العظيم)

وكانت حميدة تشعر بشيء غامض، يجذبها إلى هذا المعلم الشاب، ويدفعها دوما للإعجاب به، وتتبع أخباره، والسؤال سرا عن أحواله، ولعل هذا ما جعلها تتفرغ للاستماع إلى أصوات الحفل، من قبل أن يبدأ بساعتين، حتى آخر كلمة قيلت فيه

وانتهى صوت الحفل من سمع حميدة، لكن شيئا ما بقي في قلبها، إذ نبتت بقلبها بذرة طيبة، دعت لها حميدة ربها، أن ينبتها نباتا حسنا، وأن يتعهدا بقبول حسن، فيخرج ثمرها بإذنه ومعرفته، وأن تزهر على عينه، فيكون أصلها ثابت في قلبها، وفرعها في السماء، وذلك أنها شعرت بالجدبة إلى أستاذها الشاب تتضاعف، حتى ولد في قلبها حبه، يوم ذكرى مولد رسول الله ﷺ

رفعت حميدة يديها إلى ربها، ودعت بعينيها، أن يشعر أستاذها المعلم بحبها له، وأن يكون من نصيبها زوجا، دون أن ينطق فمها بكلمة من دعواتها، حياء من نفسها، واكتفاء بما قلبت من وجهها في السماء

وما إن أنزلت الفتاة يديها، ومسحت بكفيها وجهها وعينيها بعد الدعاء، حتى سمعت صوت والدها الحاج حماد، ينادي بأعلى صوته عليها، وعلى أمها السيدة سعاد الرفاعي، ويطلب منهما النزول حالا إلى حجرة الضيوف، في الطابق الأول من البيت

وكان السبب في ذلك، أن الحاج حماد وأخوته، من أبناء الشيخ فليفل، قد حضروا جميعا، حفل المولد النبوي الشريف، بجوار المسجد العمري، وبعد انتهاء الحفل، تقدم الحاج حماد إلى صاحبنا المعلم، وسلم عليه فيمن سلم، لكنه أقسم عليه، وألح في قسمه، أن يصحبه إلى دار الشيخ فليفل، لشرب كوب من الشاي، فوافق صاحبنا المعلم أمام إصرار الرجل

وكانت حميدة بنت الحاج حماد، قد حدثت والديها كثيرا، عن أستاذها الشاب وأخلاقه وعلمه، وإخلاصه في مهنة التدريس، وأخبرتهما كذلك، بأن أستاذها سينشد بردة المديح النبوي، في حفل اليوم

فغزم الحاج حماد في نفسه، على التعرف على هذا المعلم الشاب، الذي أكثرت ابنته الأثيرة على قلبه في مدحه، ووصف أخلاقه، وخطط أن يدعو هذا المعلم الشاب، للحضور إلى منزله بعد الحفل؛ من أجل أن يتعرف عليه، ومن أجل أن يستفسر عن مستوى ابنته حميدة التحصيلي، وأن يوصيه بها خيرا؛ لأنها الوحيدة التي وصلت للثانوية العامة من بنات الأسرة

فلما دخل الحاج حماد إلى المنزل، وبصحبه صاحبنا المعلم، أجلس الضيف في حجرة الضيوف، بالقرب من مدخل الدار، واستأذن منه لحظة واحدة تقدم الحاج حماد خارج باب حجرة الضيوف خطوات، نحو سلم المنزل، ورفع رأسه لأعلى، ثم جعل ينادي بأعلى صوته، على ابنته حميدة، وزوجته الحاجة سعاد للحضور بسرعة

أطلت حميدة على أبيها من فوق السلم، فسألها الحاج عن أمها، فأخبرته الفتاة أن أمها قد نامت من شدة التعب والبرد، فطلب الحاج منها أن تجهز كوبين من الشاي، وأن تنزل بالشاي إلى حجرة الضيوف، وألا تنادي عليه من خارج باب الحجرة، ليأخذ منها صينية الشاي، كما هي العادة، بل عليها أن تدخل الصينية بنفسها؛ لتسلم على الضيف، فالضيف ليس من الغرباء أبدا

عاد الحاج حماد إلى ضيفه، ورحب به من جديد، ثم جعل يسأله عن أحوال أبيه حمدان، وأمه حسانية طربوش، وأعمامه وأخواله، وقد تأكد صاحبنا المعلم من حديث الحاج حماد، أنه على معرفة جيدة بأهله وأجداده، وأنه قد جاورهم ببعض الحقول والمزروعات، وشاركهم في بعض السنوات

انتقل الحاج حماد من طور التعرف على شخصية صاحبنا المعلم، إلى طور التعريف بأبيه الحاج فليفل، ودوره في تحفيظ القرآن لأهل البلد، وغرس مغارس العلم والتعليم، في نفوس أبنائها وعقولهم

تحدث الحاج حماد عن كُتّاب أبيه، الذي حفظ فيه أهل القرية كتاب الله، وتخرج من بين جدرانه، المعلمون والأطباء والعلماء، وتحدث أيضا عن دوره في مساعدة والده في أعمال الكُتّاب، وكيف كان يدفع الطالب في كتاب الشيخ فليفل، أجر تحفيظه لمدة أسبوع كامل، من السبت للخميس أجرا زهيدا، عبارة عن بيضة واحدة، أو رغيف واحد من البتاو، وهو الرغيف المصنوع من الذرة الخشنة، أو نصف زجاجة زيت رديئة الجودة

كما تحدث الحاج حماد، عن مفتش الأوقاف الجشع، الذي عينته مديرية الأوقاف بقنا، للتفتيش عن أحوال الكُتّاب، وتحديد قيمة الدعم النقدي المستحق من الوزارة لصالح الشيخ فليفل، فكان الشيخ فليفل رحمه الله يضطر أحيانا، لتقديم رشوة لهذا المفتش في صورة هدية ثمينة، وكانت هذه الهدية عبارة عن جرة متوسطة الحجم، قد ملئت بالجبن والمش القديم، ويستجيب المفتش تحت تأثير الهدية الثمينة، لمطالب الشيخ، فيوصي بزيادة الدعم النقدي للكتّاب، بقيمة قرشين كاملين

حكى الحاج حماد، عن والده كرامات عجيبة، وانتهى الحاج في حديثه عن والده، إلى الليلة التي وافته المنية فيها، وهي الليلة التي شهدت أعجب كرامة وقعت للشيخ

قال الحاج حماد: ذهب أبي لصلاة العشاء في المسجد العمري، وأمّ الناس بالصلاة، كما كان يفعل لعشرات السنوات، ثم عاد من الصلاة متعبا، فدخل غرفته وطلبني، فدخلت عليه الغرفة، فوجدته نائما على أرض الغرفة، وقد وضع تحت رأسه وسادة صغيرة، فطلب مني غلق الباب من الداخل، ثم قال لي: اعلم يا ولدي أنني سأقبض إلى الله الليلة، فاسمع واحفظ، آخر ما ستسمع مني

قال الحاج حماد: فقلت له: لا تقل مثل هذا الكلام يا أبي، فإن الأعمار بيد الله وحده، وسأذهب من فوري لأحضر لك الطبيب، فنهزني نهرا شديدا، وطلب مني السكوت التام، وأن أنفذ أوامره بالحرف الواحد، دون كلمة واحدة

قال الحاج حماد: فسكت تماما، فقال لي: أوصيك خيرا بأخوتك، وبعائلتك كلها من بعدي، فاحترم كبيرهم، وارحم صغيرهم، وسر بين الناس بنفس سيرتي بينهم، وارع شئون الكتاب، واحفظ لحفاظ القرآن من تلاميذ الكتاب حقوقهم، فإنهم أهل الله وخاصته

قال الحاج حماد: ثم طلب مني، أن أردد معه تلاوة القرآن في صوت واحد، فقد عزم على نفسه وعلي، أن نسرد القرآن معا في جلسة واحدة، من فاتحة الكتاب حتى سورة الناس، فاستعدنا بالله من الشيطان الرجيم، وانطلقنا في القراءة والسرد معا، حتى وصلنا أول الحواميم

وهنا سأل الحاج حماد ضيفه المعلم قائلا: هل تعرف الحواميم يا أستاذ ؟ فرد صاحبنا: نعم أعرفها، إنها السور التي تبدأ بحرفي الحاء والميم (حم)، وعددها سبع سور مكية، وهي سورة غافر وفصلت والشورى والزخرف والدخان والجنات والأحقاف، والاسم المشتهر لها بين الناس الحواميم، والصواب أن تسمى ذوات حاميم

قال الحاج حماد معلقا على إجابة صاحبنا المعلم: نعم أحسنت، فتح الله عليك يا أستاذ، ثم استكمل قائلا: فلما وصلنا أول الحواميم، سكت أبي، ونظر إلى باب الغرفة، وعيونه تبكي، فتوقفت عن القراءة، وسألته: إلام تنظر يا أبي ومما تبكي؟ فأجابني قائلا: إني أرى حشدا من العلماء والأولياء عليهم حل الأنوار السنية، منهم الشيخ الطيب، والشيخ الرضواني، وأهل طبقتيها الفضلاء من السادة الأكابر، وهم جميعا يقفون عند الباب ينادون علي، وإني رجوتهم أن ينتظروا علي حتى استكمل خمتي الأخيرة للقرآن، فيرفضون ويقولون: يكفيك ما قرأت سابقا يا شيخنا، أسرع فالوقت قد حان؛ فلذلك بكيت

قال الحاج حماد: فبكيت لبكاء أبي، وطلبت منه ترديد الشهادتين، فرددها مرات كثيرة، ثم فارقت روحه جسده

فلنقرأ الفاتحة على روحه الطاهرة، وأرواح المسلمين والمسلمات، جميعا لهم منا الفاتحة

رفع الحاج حماد وضيّفه أيديهما إلى السماء لقراءة الفاتحة، وبينما كان صاحبنا المعلم يقرأ سرا، كان الحاج حماد يقرأ الفاتحة جهرا

وهنا دخلت حميدة إلى حجرة الضيوف، وهي تحمل صينية الشاي، فرأت وسمعت أباهما وأستاذها يقرآن الفاتحة، فظنت أنهما يقرآن فاتحة خطبتها على أستاذها، وظنت أن الله تعالى، قد استجاب لدعائها، الذي رفعته للسماء منذ دقائق معدودات، فارتبكت الفتاة من خجلها، وارتعشت يديها، وسقطت صينية الشاي من يدها، سقطت مدوية على الأرض، فتحطمت الأكواب، وتناثر زجاجها يمنا ويسرة فصرخ الحاج حماد في ابنته صرخة أرعبتها، وبكت على الفور، وانطلقت تجري إلى غرفتها، وقد أدركت أنها ترجمت قراءة الفاتحة، ترجمة خاطئة، وخجلت من نفسها؛ لما فهمت وما فعلت

كان الحاج حماد رجلا صارما، شديد الصرامة، قد ورث عن أبيه وقاره وهيئته، وقرآنه وسمرة بشرته، ولكنه مع صرامته الشديدة يحمل قلبا عطوفا، وخاصة مع ابنته حميدة التي يحبها، ويؤثرها على جميع أهل بيته، ويستجيب لكل مطالبها، مهما كلفته من عناء

غير أن الحاج حماد، قد فوجئ بما فعلت الفتاة، وشعر بالحرج أمام ضيفه، فأقدم على زجر الفتاة، ودفعها للبكاء، وشعر في نفس الوقت بأنه أخطأ في البداية؛ لأنه لم يخبر ابنته بشخصية الضيف، لكنه إنما قصد أن يجهز مفاجأة سعيدة لابنته الحبيبة، بأن تدخل الحجرة فترى والدها، يستضيف أستاذها، الذي ملأت الأسماع بالحديث عن أدبه وحسن أخلاقه

اعتذر الحاج حماد لضيفه، على ما كان من حميدة، ثم استأذن لحظات؛ ليرى ابنته ويطيب خاطرها، ويطلب منها، أن تجهز من جديد كوبين من الشاي للضيف

صعد الحاج حماد إلى غرفة ابنته، فوجدها تبكي بكاء مريرا، فاحتضنها وهدأ من روعها، وطيب خاطرها، وطلب منها في النهاية، أن تجهز شايا جديدا، وأن تنزل لتسلم على أستاذها

قضى صاحبنا المعلم لحظات غياب الحاج حماد، في تقليب بصره في حجرة الضيوف، التي خصصها الشيخ فليفل لاستقبال ضيوفه، وكتب على بابها بخط ملون، كبير الحجم (مرحبا بالسادة الضيوف العلماء)

كانت حجرة الضيوف واسعة جدا، حسنة المنظر والنظافة، وقد فرشت أرضيتها ببلاط قديم، يغلب عليه اللون الأصفر، وقد تخلعت بعض البلاطات من مكانها؛ بفعل الزمن وعوامله، إلا أن أهل الدار، حاولوا ستر تلك البلاطات المتخلعات، بالحصير والمفارش

وعلى تلك الأرضية، استقرت دكك خشبية ثقيلة ومتينة، قد أصابها شيء من اللون الأزرق الفاتح، لكن الزمن الذي خلع من بلاطات الأرضية، لم يترك لون الدكك على حاله، بل غطاه بالكثير من البهتان

وقد علقت على جدران الحجرة، الكثير من الصور لأبناء الشيخ فليفل وأحفاده، وكانت تلك الصور شديدة التنوع والاختلاف، فبعضها لذكور، وبعضها لإناث، من جميع الأعمار، وبعضها فردي، وبعضها جماعي عائلي، وبعضها ملون، وبعضها لم ينله من الألوان إلا العدوان الأبيض والأسود، وبعضها حر طليق، بلا إطار، والباقي له إطار خشبي مزخرف، يحده ويحدده

ومن تحت هذه الصور، قد بدا جلد الجدران العالية، وقد صبغ هذا الجلد، باللون الأزرق المخلوط بالجير المذاب، وهي الطريقة القديمة، لصباغة وتلوين جدران البيوت قديما، وهي الطريقة التي تبدو الآن، ضربا من التخلف، رغم أنها كانت في زمانها، علامة الثراء والشرف، فلم يكن يملك تكاليف صباغة جلد جدرانه، سوى السادة من الأثرياء، والمترفين المنعمين

عاد الحاج حماد إلى ضيفه المعلم، ففوجئ به، قد انتهى للتو من جمع زجاج الأكواب المحطمة من الأرض، ووضعها في سلة المهملات، ثم اعتدل واقفا؛ ليستأذن من صاحب الضيافة فور عودته، من معالجة حزن ابنته

لكن الحاج حماد رفض رفضا باتا، أن يسمح لضيفه بالانصراف، وأقسم عليه بأن يجلس، وأن يستكملا سهرتهما معا، فغدا يوم الجمعة، ولا داعي للتعجل في الانصراف

لم يجد صاحبنا المعلم بدا من الاستجابة، والبر بقسم الحاج، فجلس وجلس بجواره مضيفه، وهو يرحب به للمرة العاشرة، ثم سألته سؤالا غريبا فقال له، هل قرأت في علم الأنساب يا أستاذ؟

فقال صاحبنا المعلم: لا، لم أقرأ في هذا العلم أبدا، قال الحاج حماد: فهل تعرف إلى من يعود نسب قبيلة النواصر، التي ينتمي إليها أصحاب هذا البيت، وتنتمي إليها تلميذتك حميدة؟

فأجاب صاحبنا المعلم بالنفي؛ لأنه لم يطلع على علم الأنساب، رغم تطوافه بالقراءة بين الكثير من العلوم، كالتاريخ، والجغرافيا، وعلوم اللغة العربية، وعلوم القرآن الكريم، قال الحاج حماد: ستعرف وتقرأ الآن، بنفسك يا أستاذ

قال ذلك، ثم وقف وتوجه إلى دولاب خشبي قديم السن، صغير الحجم، يقف بجوار الحائط، ففتح الدولاب، واستخرج منه كتابا عتيقا

حمل الحاج حماد الكتاب بين يديه برفق، وسلمه لصاحبنا المعلم برفق، وقال له: هذا الكتاب يجمع أنساب أحفاد الحسين بن علي بن أبي طالب، فأقرأ عنوان الكتاب، الذي تحمله بين يديك الآن يا أستاذ، قرأ صاحبنا صفحة عنوان الكتاب كاملة، وجاء فيها:

(كتاب السيف البتار فيمن نزل مصر من العرب والأشراف والأنصار، تأليف السيد محمد ابن السيد عبد الواحد ابن السيد يونس، الجعفري الصادقي الحسيني، نقيب أشراف مركز إسنا، مديرية قنا، عفا الله عنه، وبلدته الحميدات الشرق، اتجاه وابورات المطاعنة، (طبع على نفقة المؤلف بالمطبعة العثمانية المصرية)

ثم قال الحاج حماد: افتح الكتاب صفحة رقم ٢٨ واقرأ آخرها، ففتح صاحبنا المعلم الصفحة المذكورة من الكتاب وقرأ ما يلي: ...

(ومن السيد سراج الدين) السيد ناصر، الذي له مقام بأصفون المطاعنة، وله أعقاب بالنواصر، وإسنا، وبالبلاص، ومنهم بطن بالبداري، مديرية أسيوط، يقال لهم النواصر أيضا)

وبعد أن أنهى صاحبنا المعلم قراءته، مد الحاج حماد كلتا يديه، واستعاد الكتاب، من يدي ضيفه بالرفق المعهود، وهو يقول له: هل عرفت الآن إلى من يرجع نسب تلميذتك حميدة يا ولدي؟

لم ينتظر الحاج جواب ضيفه، فأكمل بقوله: إنها حفيدة السيد ناصر الشريف، ابن السيد سراج الدين، وهو من أحفاد سيدنا الحسين بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهما، من ذرية سيدة نساء العالمين، وبنت سيدة نساء العالمين، السيدة فاطمة الزهراء، بنت رسول الله ﷺ

لم يعلق صاحبنا المعلم، بأي كلمة على كلام مضيفه، لسببين مختلفين، أولهما أنه لم يطلع على مسائل علم الأنساب من قبل، والآخر أن الشاي قد وصل، تحمله حميدة بسكينة وهدوء، وبقية من دمع عينيها، لا يزال على خديها

دخلت حميدة بالشاي، وناولته لأبيها، ثم تراجعت تلوذ من خجلها بالباب، فطلب منها والدها بلهجة حانية، أن تسلم على أستاذها، وأن تجلس على الدكة المقابلة، فنفذت الفتاة أوامر أبيها، فجلست تثبت عينيها بالبلاط الأصفر، خوفا من أن ترفعهما، فتهرب منهما نظرة شاردة، فلتقتي في لحظات شرودها بعيون أستاذها، أو بنظرة منها

توجه الحاج حماد بحديثه إلى ضيفه، وسأله عن المستوى العلمي لابنته حميدة، فأسهب الضيف في وصف علم حميدة وأخلاقها، وأكد لأبيها أنها الطالبة الوحيدة، التي حصلت على الدرجة النهائية، في كل الاختبارات الشهرية، في مادة اللغة العربية حتى الآن

ازدادت حميدة خجلا وارتباكاً، من ثناء أستاذها عليها، بينما تهللت أسارير الحاج حماد فرحا بابنته، وقد شعر أنه قد امتلك بما سمع الدنيا بحذافيرها

قال الحاج حماد: سأخبرك الآن أيها الأستاذ بسر، لم أطلع عليه أحد أبدا، ولا ابنتي حميدة نفسها، فأنتما أول من يسمع هذا السر، لدى خروجه الآن من مكمته

وهنا لم يجد الخجل وقمع العيون، من حميدة شيئا، فقد حار عقلها لما سمعت من أبيها، فشردت عن عيونها كل النظرات، التي ادخرتها منذ جلست، وارتمت تلك النظرات، وأفرغت دفعة واحدة على وجه أستاذها، فامتلات عيونها به، وفاض من نظراتها ما انسكب عليه كله، من رأسه حتى أخمص قدميه، فرأته هادئا في جلسته، يعيد إلى عقلها المتحير هدوءه واطمئنانه، فعاد عقلها هادئا، وعادت نظرات عينيها إلى البلاط الأصفر

قال الحاج حماد موجه حديثه إلى ابنته: أتعرفين يا حميدة، لما أطلقت عليك هذا الاسم، الذي يعود إلى عصور قديمة، ولم أهديك اسما عصريا جذابا ؟ قالت حميدة بصوت مرتعش: إرضاء لعمتي حميدة فليف، وتيمنا بها

قال الحاج حماد: هذا ما أخبرت به الناس، لكن الحقيقة يا ابنتي غير ذلك، فالحقيقة أنني أسميتك بهذا الاسم؛ تيمنا بالسيدة حميدة خاتون، زوجة الإمام جعفر الصادق، حفيد رسول الله ﷺ

تعجبت حميدة من سماعها، لهذه الحقيقة من فم أبيها، لأول مرة في حياتها، وشعرت بالرضا التام، عن اسمها الذي سماها به والدها؛ لأنه يعود إلى اسم شخصية عظيمة في التاريخ الإسلامي، وهي السيدة حميدة خاتون

وكانت حميدة تعرف جيدا، معنى كلمة خاتون، فقد عرفت معناها، من فم أستاذها، عند شرحه للفصل الأول من قصة (وإسلاماه)، المقررة على طلاب الصف الثاني الثانوي، ضمن منهج اللغة العربية، وهي قصة تاريخية، من تأليف الأستاذ علي أحمد باكثير الكندي، وهو شاعر وروائي يمني مصري، أصله من حضرموت اليمن، ولد في اندونيسيا، وترعرع صبيا في بلاده باليمن، ثم استقر في مصر وحصل على جنسيتها

وتدور قصة (والإسلاماء) حول الجهاد الإسلامي ضد التتار والصليبيين، بداية من بلاد خوارزم حتى الشام ومصر، وقد ورد في الفصل الأول من هذه القصة لقب خاتون، عندما ذكر الكاتب، السيدة جيهان خاتون، أخت السلطان جلال الدين، ابن خوارزم شاه، والسيدة عائشة خاتون زوجته، والسيدة ترکان خاتون، والدة السلطان خوارزم شاه

وقد عرفت حميدة من أستاذها أن (خاتون) تأتيث لكلمة (خاقان - تون)، وأنها كلمة تركية مغولية، وقد انتقلت إلى العربية والفارسية والأردية، ومعناها السلطانة، أو السيدة المعظمة عريقة النسب، وعالية المقام، والسيدة المهيبة، وأن لقب (خاتون) يرادفه عند أهل الشام لقب (خانم) بالخاء، وعند المصريين لقب (هانم) بالهاء

ولذلك كله فرحت حميدة، أتم الفرح بالحقيقة التي سمعتها من والدها، لأول مرة في حياتها، فشكرته في سرها؛ لأنه منحها هذا الاسم، وشكرت أستاذها في نفس السر؛ لأنه شرح لها سابقا، معنى كلمة خاتون، وحمدت ربها قبل أن تشكر أباه وأستاذها؛ لأنه بحكمته المطلقة، منحها إشارة بالاستجابة لدعائها، الذي رفعته إلى سمائه منذ ما يقرب من ساعة، فقد فهمت الفتاة، أن الله تعالى سيكتب لها الزواج من أستاذها، وعلامة ذلك أن السيدة حميدة خاتون، تزوجت من الإمام جعفر الصادق

شعرت حميدة في قرارة نفسها بالسعادة والرضا، وتمنت أن تطول هذه الجلسة، حتى ساعات الصباح، ونظرت إلى أبيها نظرة، ترجوه بها أن يستمر في أحاديثه؛ لتستمر هذه الجلسة الممتعة ساعات وساعات

التقط الحاج حماد نظرة ابنته، وانطلق في أحاديثه من جديد، فتوجه إلى صاحبنا المعلم وسأله: هل قرأت سابقا عن السيدة حميدة خاتون يا أستاذ؟

قال صاحبنا المعلم: نعم، قرأت أنها من بلاد المغرب العربي، وهي بنت صاعد البربري، وأنها ولدت بعد هجرة النبي الكريم بمائة عام، وهي والدة الإمام موسى الكاظم، الملقب عند أهل العراق بالعبد الصالح، وباب الحوائج

وقرأت أيضا، أن الإمام جعفر الصادق، تزوجها وهو يكبرها بعشرين عاما، وأنه أحبها حبا شديدا، ومن حبه لها، لقبها بحميدة المصفاة، أي النقية المبرأة من كل سوء، وحميدة المهذبة، أي الخلقة، وقد حزنّت السيدة حميدة رضي الله عنها، على وفاة زوجها الصادق، وظلت في حزنها عليه حتى لحقت به، بعد سبعة عشر عاما، وكان عمرها يومئذ خمسة وستين عام، وقد دفنت بمقابر العوالي بالمدينة المنورة

أشاد الحاج حماد كثيرا، بالمعلومات الوافية التي سمعها من ضيفه، وسأله متعجبا: كيف لك أن تعرف كل هذه المعلومات، وقد ذكرت لي أنك لم تطلع على علم الأنساب؟

قال صاحبنا المعلم: قد قرأت ذلك في علوم الحديث والسيرة، والتاريخ الإسلامي، وكتب التراجم، فلا حاجة لي بالاطلاع على علم الأنساب

قال الحاج حماد: فهل قرأت في العلوم التي ذكرتها عن الإمام جعفر الصادق، زوج السيدة حميدة خاتون، قال صاحبنا المعلم : نعم قرأت، فمد إليه الحاج حماد يده بكوب الشاي، وقال له: فاشرب الشاي، وحدثنا عنه إذا

تناول صاحبنا المعلم كوب الشاي، وشرب منه بعضا، ثم قال: قرأت عن الإمام جعفر الصادق، أنه ابن الإمام محمد الباقر، سليل بيت النبوة، وحفيد سبط رسول الله، الحسين بن علي، وأن جده من ناحية أمه، القاسم بن محمد ابن أبي بكر الصديق، رضي الله عنهم أجمعين

وقرأت أيضا أن المسلمين لقبوه، بجعفر الصادق، وجعفر الفاضل، وجعفر الطاهر، وأنه كان رجلا موسوعيا، فكان فقيها في الشريعة، وعالما في الفلك، والطب، والفلسفة، والأدب، والفيزياء، والكيمياء

ويذكر بعض المؤرخين، أن الإمام الصادق كان بارعا في الكيمياء، وأنه قد التقى بخالد بن يزيد بن معاوية، فتدارسا علم الكيمياء ومسائله، وأن العالم جابر ابن حيان، أبو الكيمياء عند المسلمين، إنما هو من تلاميذ الإمام جعفر الصادق

قال الحاج حماد لضيفه: أحسنت والله يا أستاذ، فاشرب ما تبقى من كوب شايك، وزدنا من الحديث، عن الإمام جعفر الصادق

شرب صاحبنا المعلم كوب الشاي، ثم قال: وقد اشتهر عن الإمام جعفر الصادق مذهبه الفقهي، الذي ينسب إليه، ويسمى بالمذهب الجعفري، ويقال إن الإمام الشيخ محمود شلتوت، شيخ الأزهر الشريف، قد أصدر في عام ١٩٥٩م، فتوى رسمية، تعترف بمذهب الفقه الجعفري، كمذهب خامس في الشريعة الإسلامية، إلى جانب المذاهب السنية الأربعة، الحنفي والمالكي والشافعي والحنبلي، ويقصد الشيخ شلتوت الجانب الفقهي فقط، دون الجانب العقدي بالطبع، لكن هذه الفتوى، أثارت موجة عنيفة، من اعتراضات العلماء عليها

قال الحاج حماد: وأنا قرأت أيضا، في كتابي هذا، (وأشار إلى كتابه العتيق الذي يجلسه بجواره بكل الرفق) في الصفحة رقم ٢٥، عن جدنا الإمام جعفر الصادق، أنه ألف كتاب الجفر، وفيه كل ما يحتاج إليه الناس من تواريخ، وأنباء إلى يوم القيامة، وكتاب الجفر هذا ببلاد المغرب، يتوارثه أولاد جعفر الصادق دون غيرهم، وإلى هذا الجفر أشار الشاعر أبو العلاء المعري فقال:

لقد عجبوا لآل البيت لما أتاهم علمهم في جلد جفر

لم يعلق صاحبنا المعلم، على ما ذكره الحاج حماد، بل نظر في ساعته، وهب واقفا، وهو يقول: اسمح لي بالانصراف يا حاج حماد، لم يبق على الفجر إلا ساعتين، اعذرني سأنصرف الآن؛ لأستريح قليلا قبل الصلاة

جدد الحاج حماد شكره لضيفه، على هذه الجلسة الممتعة، وودعه وهو يؤكد عليه، أن يكرر تلك الزيارة مرات ومرات، وأن يلقاه في صلاة الجمعة، في المسجد العمري إن شاء الله

رفع صاحبنا المعلم، لدى انصرافه مع الحاج يده اليمنى، وأشار بها إلى تلميذته حميدة، وهو يقول: السلام عليكم يا حميدة خاتون، فابتسمت الفتاة كثيرا، وهي ترد السلام بوجهها، دون أن ترفع من حياها يدها، وتتمنى لو كان مسموحا لها أن تقول: وعليك السلام يا جعفر الصادق

وما كاد صاحبنا المعلم، يخرج من بيت الحاج حماد، حتى ركضت حميدة إلى سطح منزلها، وقفزت إلى شرفة المنزل، لتودع أستاذها بنظرة حب أخيرة، لكنها فوجئت باختفاء كل أثر له في الشارع، فعرفت أنها تأخرت قليلا
لم تستطع عيون حميدة اللحاق بصاحبنا المعلم؛ لأنه أسرع إلى بيته يهرول الخطو، ثم إلى سطح منزله، ليناقدش وعدا في أمر شديد الأهمية
لكن حميدة لم تنزعج من ذلك أبدا، فقد حملت في قلبها الليلة من فيوض السعادة، ما يكفيها طوال العمر، ومن سعادتها، أنها قررت أن تقيم لله ما بقي من ليلتها، فأسرعت للوضوء والصلاة، والذكر والشكر لله، حتى أذن الفجر

أيقظت الجلبة التي صدرت، عن خطوات صاحبنا المعلم، على درجات السلم لدى صعوده وعدا، فأصابها شيء من الفزع والخوف، مما جعلها تقلع طائرة عن موضع نومها، فوق أوراق زهرات الإصيص الرقيقة، وتصرخ بصوت الخائفين: ما الأمر يا سيدي؟ لقد أفزعني كثيرا

قال صاحبنا: اطمئي يا وعد، لا داعي للفزع، بل كل الدواعي الآن للفرح، فأنا أحمل إليك هدية ثمينة، قالت وعد، وقد هداً بالها: هل أحضرت لي شيئا من الحفل الذي كنت فيه، قال صاحبنا بحماسة شديدة: بل أحضرت إليك الحفل كله

قالت وعد متعجبة: وكيف تحضر إلي حفلا كاملا، قال صاحبنا: لقد كنت في منزل الأميرة حميدة حماد، التي رشحناها أنا وأنت، لتكون الأميرة ذات الشيم، وبينما أنا جالس مع والدها، نتحدث عن بعض الشخصيات، من آل بيت رسول الله، إذ خطر لي خطر، ما كدت أتبينه في عقلي، حتى نهضت من جلستي كالمسوع، واستأذنت من الرجل، وجئتك راكضا

قالت وعد، وقد طمعت أن تكون الهدية الثمينة، تتعلق بالعثور على الأميرة ذات الشيم، أو بحسم الأمر، والتأكد من أن حميدة، هي ذاتها ذات الشيم: هات هديتك يا سيدي

قال صاحبنا: كنت أفكر في اللغز، الذي يحمل اسم الأميرة ذات الشيم، واسترجعت ما أخبرتني به، وبينما أنا أقلب الأمر في رأسي، وأتحدث مع والد حميدة عن آل بيت رسول الله، خطر لي أن الحروف التي تكون اسم النبي الأعظم محمد، الثلاثة (وهي الميم والحاء والدال)، متضمنة كلها في اسم حميدة، فأسرعت إليك؛ لأخبرك بهذا الخاطر، ربما يساعدنا في بحثنا عن ذات الشيم

صمتت وعد لحظات، واستغرقت في تفكير عميق، ثم صرخت تقول: لقد تذكرت، الحمد لله، لقد تذكرت الآن الجزء الثالث من اللغز، بفضل ما خطر بذهنك يا سيدي، قال صاحبنا المعلم: هات ما عندك سريعا

قالت وعد: قال الهاتف الصادق، في الجزء الثالث من اللغز: إن اسم الأميرة ذات الشيم، يتضمن جميع حروف اسم النبي الأعظم، عليه السلام، وحروفا من أسماء خلفائه الراشدين الأربعة وألقابهم: عبد الله بن عثمان الصديق، وعمر بن الخطاب الفاروق، وعثمان بن عفان الحيي، وعلي بن أبي طالب الكرار

وقال أيضا: إن اسم الأميرة ذات الشيم، يتضمن كذلك حروفا من أسماء وألقاب، جميع خلفاء الرسول الأعظم، بداية من الحسن بن علي بن أبي طالب، ومعاوية ابن أبي سفيان، وحتى تمام عقد خلفاء الرسول الأعظم، وهو الخليفة عبد الحميد العثماني، فقد توزعت حروف اسم الأميرة ذات الشيم ما بين أسماء خلفاء المسلمين وألقابهم، فمن لم ينل بركة حرف من اسمها في اسمه، نال تلك البركة في لقبه، وهذا حكم عام مبارك يشمل سلسلة خلفاء الرسول الأعظم جميعا، من راشدين وأمويين وعباسيين وعثمانيين

وما كادت وعد تدلي بما لديها من معلومات، حتى أسرع صاحبنا المعلم، فأشعل الإضاءة، وأحضر قلما وأوراقا وكتبا في التاريخ الإسلامي؛ ليختبر صحة الجزء الثالث من اللغز، كما اختبر الجزأين السابقين

رسم صاحبنا المعلم على الأوراق الكثير من الجداول، وبدأ في كتابة أسماء خلفاء المسلمين، وألقابهم جميعا بالترتيب، حتى الخليفة عبد الحميد العثماني، مستعينا بذاكرته أحيانا، وبما أحضر من كتب التاريخ الإسلامي حيناً

ولما انتهى من تسجيل أسماء الخلفاء وألقابهم، جعل يراجع اسم كل خليفة ولقبه، يبحث في الاسم واللقب، على ما تضمن من حروف كلمة (حميدة)، ثم يثبت تلك الحروف في الخانة المقابلة لاسم كل خليفة

قضى صاحبنا المعلم، ما بقي الليل في ملأ فراغات تلك الجداول، حتى أتى على آخر خانة فيها، وراجع اسم الخليفة عبد الحميد، وسجل في الخانة المقابلة له (حرف الحاء والميم والياء والدال)، وتذكر صاحبنا المعلم هنا، أن الجزء الثاني من اللغز، يتحدث عن العلاقة بين اسم حميدة، وبين اسم الله وصفته الحميد، فتعجب من هذا

الارتباط، بين اسم الله الوارد، في الجزء الثاني من اللغز، واسم آخر الخلفاء المسلمين، الوارد في نهاية الجزء الثالث من اللغز

انتهى صاحبنا المعلم، من اختبار صحة الجزء الثالث من اللغز، وتيقن أن حميدة هي ذات الشيم، فأطلق صرخة بهيجة، شقت سكون الليل وظلامه، وأعلن أن حميدة هي ذات الشيم، فاندفعت وعد ترفرف وترفرف، كصوفي في مقام المشاهدة، كشفت له الحجب والأستار، وسمح له أن ينهل منها ما يشاء، وأن يغترف من أسرارها بلا حساب

طارت وعد تدور في الجو، تعبر عن فرحها، بكلمات مسجوعة تارة، ومرسلة تارة أخرى، وتشكر صاحبنا المعلم، وتذيع نبأ انتهاء زمن الحداد على الأخلاق، وتبشر بقرب بعث فجر الفضائل، في نفس النفس

وأما صاحبنا، فإنه لم يملك نفسه من الفرح الممزوج بالخشوع لله، فأهوى على الأرض ساجدا شكرا لربه، واستمر في سجدته طويلا، يشكر الله، ويثني عليه بالمحامد الكريمة، وما رفع رأسه من سجدته، إلا على صوت مؤذن الفجر، يقول: الله أكبر الله أكبر

رفع صاحبنا المعلم رأسه من سجدته، ودمعه تبلل خديه من الفرح والخشوع، وكانت الفراشة وعد، لا تزال مدة سجوده، تنطلق في الفضاء، تدور في دوائر متقاطعة، وتصفق من فرحها في الهواء بجناحيها، وتطلق في الأجواء ألوانا كثيرة زاهية

أخذ صاحبنا المعلم، يردد خلف المؤذن أذانه، ويحمد الله سرا وجهرا، ويبتسم وهو يراقب وعدا، تدور في دوائرها، وتحمد الله بدورها، وتركها على هذه الحال، وانطلق إلى المسجد للصلاة

انتظرت وعد صاحبنا المعلم، حتى عاد من صلاته، وطفقت تشكره من جديد بكل لسانها، وتقول: نعم ما أولت يا سيدي المعلم، لله ما أحد بصيرتك، لقد أسديت إلى العالم كله، أكبر معروف في تاريخ البشر، بعثورك على أميرة بلاد القيم، ومن اليوم

فصاعدا تستحق أن تنال لقب (حارس الأميرة ذات الشيم، أميرة بلاد القيم) فهنيئاً لك يا سيدي لقبك الجديد

لم يشعر صاحبنا المعلم، بأي غضاظة، بأي وصف وعد له، بأنه حارس أميرة بلاد القيم، بل على العكس، ابتسم لها ابتسامة الرضا، وقال لنفسه: سبحان مغير الأحوال، كنت منذ شهور، لا أتحمل هذه العبارة أبداً، واليوم هي أحب العبارات إلى نفسي وقلبي، وأحب إلى حتى من اسمي

سرح عقل صاحبنا المعلم قليلاً، يفكر في الخطوة التالية، ثم جهر بتفكيره، ووجهه سؤالاً لوعده، فأجابت وعد على سؤاله، وهي لا تزال تبقي على رقصها المفرح، بقولها: سننتظر صباح يوم السبت، ونبكر معا بكور الطير؛ لنخبر الأميرة حميدة بكل شيء، ونرتب كل الشئون للرحلة السعيدة إن شاء الله تعالى، ولكن لك أن تنام الآن، يا سيدي حارس الأميرة، فإن مهامك الصعبة ستبدأ بمجرد أن تستيقظ

وفي مساء يوم الجمعة ذاك، عقد صاحبنا المعلم، مع فراشته وعد بنت تميم الأمجد، جلسة تشاورية ثنائية مصيرية، وكان محور هذه الجلسة، وضع خطة الارتحال، بالأميرة حميدة ذات الشيم، إلى بلاد القيم، وقد تم الاتفاق على تقسيم هذه الخطوة، إلى ثلاث مراحل متتابعة، أولها وأهمها: مرحلة تعريف الأميرة حميدة بذاتها، وإطلاعها على دورها، في إنقاذ أجيال البشرية، الحالية والمستقبلية، بما ستعيد زراعته من حقول الأخلاق والقيم، وإقناعها بالموافقة، على الاشتراك في الرحلة إلى بلاد القيم

فإذا آمنت الأميرة حميدة بدورها، واقتنعت بالرحلة والسفر، تبدأ المرحلة الثانية من الخطوة، وهي مرحلة إقناع أهل الأميرة حميدة، بالسماح لها بالسفر مع أستاذها إلى بلاد القيم

ومتى وافق أهل الأميرة حميدة على سفرها، تبدأ المرحلة الثالثة، فيتم تجهيز مستلزمات الرحلة، ثم ينطلق موكب الأميرة في رعاية الله وأمنه، إلى بلاد القيم

وبعدما اتفق طرفا الجلسة التشاورية، على مراحل الخطة، شرعا في مناقشة ترتيبات المرحلة الأولى منها، وهي مرحلة تعريف الأميرة حميدة بلقبها، وبقدرها ومقدارها، وبالدور الذي قدر لها

واستقرت نتيجة المناقشة، على ذهاب صاحبنا المعلم بمفرده، صباح يوم السبت، إلى مدرسة المحروسة الثانوية؛ لمقابلة الأميرة حميدة، وتمهيد الأمر لها؛ حماية لها من الصدمة، على أن يصطحب معه وعد في صباح اليوم التالي، مع إرجاء مناقشة المرحلتين الأخريين، لحين استقراء نتائج تنفيذ المرحلة الأولى

دخل صاحبنا المعلم من باب المحروسة الثانوية، وأطلق عينيه تبحثان في أرجائها عن الأميرة حميدة، فلم يجد أثرا لها، ووجد ثلاث طالبات من فصل ٣/٢ يقفن، بجوار السلم، المخصص لصعود ونزول الفتيات، فتوجه إليهن على عجل، وسألهن عن حميدة حماد، فقالت إحداهن: لم تحضر بعد يا أستاذي، فطلب منهن جميعا، أن يبلغن حميدة فور وصولها، بالتوجه مباشرة إلى حجرة المعلمين، ثم صعد صاحبنا المعلم، إلى مكتبه في حجرة المعلمين، وانتظر وصول الأميرة بفارغ الصبر

بعد دقائق معدودات، وصلت الأميرة حميدة، ودخلت من باب المدرسة، وتم تبليغ رسالة أستاذها لها، فأسرعت تطرق باب الحجرة، فأذن لها أستاذها بالدخول فدخلت

رحب صاحبنا المعلم بالأميرة حميدة، ومازحها قائلا: مرحبا بالأستاذة حميدة خاتون، فضحكت الفتاة كثيرا، وقد خطر على ذهنها، صورة والدها الحاج وكتابه العتيق، ومنظر أستاذها وهو يجلس مكرها، يسمع من والدها، ما يصر أن يُسمعه، لكل ضيف يدخل حجرة استقباله لأول مرة، وكأنها هدية استقبال إجبارية، يقدمها الحاج حماد، لكل من يحالفه الحظ، ويدخل بيته لأول مرة، ويتجرع الضيف هذه الهدية، كما يتجرع الطفل الصغير، دواءه المر اللاذع، غير أن الضيف لا يملك رفاهية البكاء والصياح، التي يحتكرها الصغار

وبعد أن رحب صاحبنا المعلم بتلميذته، جلس وطلب منها أن تجلس أمام المكتب، فرفضت رفضا باتا، وأمام إصرارها على الوقوف، لم يجد بدا من الحديث إليها، وهي تقف أمام المكتب

قال صاحبنا المعلم لتلميذته: سأخبرك بأمر، قد يبدو عجيبا وأسطوريا، لكنه حقيقي وواقعي، سأحكي لك عن مكان عجيب يسمى بلاد القيم، وفيه حقول تسمى حقول الأخلاق، من هذه الحقول نستمد أخلاقنا، التي نتصف بها ونسير بها في حياتنا، وسأقدم لك غدا صباحا، إن شاء الله تعالى، الدليل على صدق ما سأقول، فقالت الأميرة حميدة مبتسمة: احك يا أستاذي، فأنا أحب كثيرا سماع كل الحكايات منك

انطلق صاحبنا المعلم، يحكي لتلميذته الأميرة، كل ما سمعه وعرفه، من الفراشة وعد عن بلاد القيم، ثم حدثها عن اللغز، الذي يحدد من هي ذات الشيم، وكيف توصل لحله، وأطلعها على الأمر كاملا ظاهرا وباطنا، وهي لا تصدق حرفا واحدا مما سمعت

تجاوزت دهشة الأميرة حميدة، لما تسمع من فم أستاذها، حدودها القصوى، ولم ترد عليه بكلمة واحدة، ولولا ثقة عقلها في عقله، وحب قلبها لقلبه، لظنت به الظنون، ولذلك آثرت الصمت، وترقب الدليل الذي وعد بإحضاره غدا؛ ليؤيد به كلامه الخرافي

أنهى صاحبنا المعلم حديثه، طالبا من الأميرة حميدة، أن تحضر غدا مبكرا، إلى نفس هذا المكتب، لترى بعينها الدليل على صدق ما قاله، فأنصرفت الفتاة، وفي رأسها ألف دوار ودوار، وحياتها أستاذها لدى خروجها قائلا: مع السلامة أيتها الأميرة، فأنفجرت شفتا الأميرة عن بسملة خفيفة، لا تكاد ترى، وأنصرفت إلى طابور المدرسة الصباحي

وجاء صباح اليوم التالي، يحمل البشريات في أردانه، وقد استعد صاحبنا المعلم في نفسه؛ لاستقبال بشريات هذا اليوم جيدا، وكذلك فراشته وعد، وخرج من منزله يحمل حقيبة أدواته في يد، وفي الأخرى يحمل صندوقا ورقيا صغيرا، قد اختبأت

فيه وعد، وقد استغرق صنع هذا الصندوق الورقي، أكثر من ساعة من وقت صاحبنا المعلم، وتم تجهيزه بحيث يكون قويا متماسكا، وبه الكثير من الثقوب لإدخال هواء التنفس إلى صاحبتة، وبه أيضا بعض رؤوس الزهور؛ لتتغذى وعد من رحيقها، إن شعرت بالجوع

وصل صاحبنا المعلم إلى مكتبه، في حجرة المعلمين، وخبأ الصندوق الورقي خلف المكتب الخشبي، وانتظر نصف ساعة كاملة، قبل أن تصل الأميرة حميدة، وتطرق باب الحجرة، لتدخل بعد إذن أستاذها، وتقدم اعتذارها عن التأخير

قال صاحبنا المعلم لتلميذته: لا عليك يا سمو الأميرة حميدة خاتون، فشان الأميرات دائما التأخير، ضحكت الفتاة من كلام أستاذها المغرم، بإطلاق لقب جديد عليها كل يوم، فيوما حميدة خاتون، ويوما حميدة ذات الشيم

أشار صاحبنا المعلم، للأميرة حميدة بالجلوس على الكرسي، الذي يقف أمام مكتبه، لكنها رفضت بشدة كعادتها، فقال صاحبنا المعلم: إن من شأن الأميرات الجلوس لا الوقوف يا مولاتي، فعادت الفتاة للضحك من جديد

كل ذلك يجري، وصاحبنا المعلم، لا يشعر بحالة وعد النفسية، وهي تتحرق شوقا، للخروج من أسر صندوقها الورقي؛ لتتعم بروية الأميرة التي طال البحث عنها، وطال انتظار الكون وسكانه، من العرب والعجم، للوصول إليها

جلس صاحبنا المعلم على كرسيه، وهو يقول لتلميذته: لقد جئت إليك بالدليل القاطع، بصدق حديثي معك أمس، ثم مد ذراعه خلف المكتب، ونقل الصندوق الورقي على سطح المكتب، وفتح الصندوق وأخرج الفراشة، وهو يقول لتلميذته: هذه الفراشة وعد بنت تميم الأمجد، من حراس بلاد القيم، وستتحدث إليك الآن، فلا تفرعي منها

خرجت الفراشة من الصندوق، وطارت ناحية الأميرة حميدة، وهي لا تصدق نفسها من فرحتها، أنها تطير أمام الأميرة ذات الشيم، وأنها في حضرتها وجها لوجه

قالت الفراشة: مرحبا بسيدتي الأميرة حميدة، ذات الشيم أميرة بلاد القيم، أنا خادمتك وعد بنت تميم الأمجد، أمير حراس بلاد القيم

تراجعت الأميرة حميدة، خطوات للوراء نحو الباب، وقد خيل إليها ألا سبيل للتخلص من هذا الموقف الجنوني، إلا أن تجري عبر الباب مستصرخة، أو تسقط مغشيا عليها، فاقدة الوعي

لاحظ صاحبنا المعلم حالة الأميرة حميدة، فأعاد عليها طلبه بالجلوس على الكرسي، فلم تتردد في قبول طلبه، وجلست على الكرسي تمسك رأسها بيدها، وكأنها تحكم القبض على عقلها الذي يصر بشدة، على مفارقة موقعه، والهرب من خلال باب الحجرة، لولا قبضة يدها على رأسها، ولولا قلبها المطمئن بحب أستاذها

قال صاحبنا المعلم: لقد أخبرتك وأخبرتكم الفراشة بالصدق، فأنت الأميرة ذات الشيم أميرة بلاد القيم، وقد جاءت وعد من بلادها باحثة عنك، لا تحمل معها سوى اللغز الذي حدثتك عنه أمس

التقطت الأميرة حميدة، بعضا من أنفاسها، وثاب إليها رشدها، بعد أن شربت بعضا من ماء قارورتها، التي تذهب بها إلى المدرسة يوميا، وأعادت النظر من جديد إلى أعلى؛ لتتأكد من وجود الفراشة وعد التي حدثتها منذ قليل، فسمعت الفراشة تعيد على مسامعها نفس العبارة، وتلقبها بالأميرة ذات الشيم من جديد

وعلى الرغم مما أصيبت به الأميرة حميدة، من صدمة كادت تفقدها وعيها، إلا أنها حمدت الله تعالى في قرارة نفسها، على براءة أستاذها من تهمة الجنون، فقد ظلت جزءا واسعا من ليلة أمس، تسترجع كلامه الذي ألقاه على سمعها صباحا، وتتمنى أن يأتي أستاذها في الصباح، حاملا معه الدليل الذي تحدث عنه؛ لتلجم مخاوفها التي دفعت عقلها لاتهام لعقله

تحدثت الأميرة حميدة أخيرا، فأخبرت أستاذها، بأن الأمر لا يزال غامضا ومربكا بالنسبة لها، ولذلك فهي تقترح أن تأخذ معها إلى المنزل، الفراشة الناطقة،

وصندوقها الورقي؛ لتتولى الفراشة بنفسها شرح الأمور كلها، وسوق الإجابات الكاملة كلها، لجميع الأسئلة المحتملة، في عقل الفتاة

وافقت الفراشة وعد على الفور، وطلبت من صاحبنا المعلم الموافقة، وأسرعت فدخلت إلى مخبئها الورقي، فلم يجد صاحبنا المعلم بدا من الموافقة، فأغلق الصندوق الورقي، وسلمه للأميرة حميدة، على أن تعيده غدا صباحا، وأوصاها بالمحافظة على حياة وعد، وأن تحفظ صندوقها بعيدا عن حرارة الشمس المباشرة، وبعيدا عن متناول أيدي الأطفال

ضحكت الأميرة حميدة، من كلام أستاذها الذي يوصيها على صندوق وعد، مرددا نفس الجملة المكتوبة على علب الدواء، وفهمت أن وصول أيدي الأطفال إلى هذا الصندوق، فيه نهاية حياة وعد؛ لأن الأطفال يحبون القبض على الفراشات وتعذيبها باسم اللعب

انصرفت الأميرة حميدة قبل أستاذها، إلى طابور الصباح، وهي تحمل الصندوق الورقي في يدها، وكلما رأت إحدى صديقاتها الصندوق الصغير، تسأل بفضول عن سر ما يخبئه هذا الصندوق، واستبد الفضول بالطالبات، فحاول بعضهن جذب الصندوق عنوة من يد الأميرة حميدة، فاضطرت حميدة للاستئذان من إدارة المدرسة؛ للعودة لمنزلها، وتحجبت بأنها ممنوعة من الوقوف في أشعة الشمس المباشرة اليوم، فأذن لها المدير، وعادت إلى منزلها وصندوق وعد في يدها

عادت الأميرة حميدة ذات الشيم إلى منزلها، وصعدت مسرعة إلى غرفتها، وأحكمت إغلاق بابها؛ خوفا من تسلل أبناء أختها الصغار إلى الغرفة، ثم فتحت الصندوق، وأخرجت وعد بكل حذر

رفرفت وعد خارج حبسها، ووقفت في الهواء على مقربة من وجه الأميرة السمراء، وهي تتغزل في جمال وجه الأميرة وعيونها وشعرها، حتى خجلت الأميرة من هذا الإطراء الذي وجدته مبالغاً فيه

قالت الأميرة ذات الشيم: دعك من هذا الإطراء المبالغ فيه أيتها الفراشة الناطقة،
واشرحي لي أمرك، وأمر بلاد القيم من البداية للنهاية
انطلقت وعد في أحاديثها، فحكت للأميرة عن كل شيء ودت معرفته، واستمرت
وعد في حديثها، والإجابة عن تساؤلات الأميرة حميدة، قريبا من أذان العصر، ثم
سألت أميرتها في النهاية سوّالا مباشرا: هل اقتنعت الآن يا سيدتي الأميرة ذات
الشيم؟

قالت حميدة: نعم اقتنعت تماما، فقالت وعد: الحمد لله، أضافت الأميرة حميدة: لكني
أعترض على مناداتك لي بلقب الأميرة، يمكنك مناداتي باسم حميدة، أو بلقب ذات
الشيم، فهو لقب أخلاقي جميل، ولا يدعو النفس للغرور
قالت وعد بإصرار: أنت سيدتي الأميرة حميدة، ذات الشيم أميرة بلاد القيم، وأنا لا
أجرو، ولا يجرو غيري على مخاطبة سموك إلا بلفظ الإمارة، وسيدي المعلم هو
الحارس الشخصي، الملازم لسموك في رحلتنا إلى بلاد القيم، بإذن الله تعالى

استسلمت الأميرة حميدة، ولم تكمل جدالها مع وعد، فقد شعرت بالحاجة الشديدة
لتناول الطعام، لكنها قبل ذلك رأت أن تتوضأ لصلاة الظهر، قبل أن يداهما أذان
العصر، فخرجت من غرفتها وأغلقت الباب من الخارج، ووضعت المفتاح في جيبها

وفي المساء عادت الأميرة حميدة إلى غرفتها، وطلبت من وعد أن تحكي لها عن أستاذها وصفاته، وأسلوب حياته داخل منزله

فهمت وعد بعقلها الدقيق، أن الأميرة حميدة تحب أستاذها، لكنها تخجل من البوح بذلك، وقبل أن تنفذ ما طلبته الأميرة منها، أكدت لها أنها ستصير زوجة لأستاذها وحارسها الحبيب عن قريب إن شاء الله تعالى، كما أخبر بذلك هاتف بلاد القيم الصدوق

خجلت الأميرة حميدة، مما صرحت به وعد، وغلبتها ابتسامتها الساحرة، واعتبرت وعد هذه الابتسامة إذنا بالانطلاق، في وصف حال صاحبنا المعلم واقعيًا، من داخل منزله

وصفت وعد ما لمستته عيانًا، من أخلاق وصفات صاحبنا المعلم، وحكت في معرض حديثها عن الفتاة المنافقة، التي كانت تهوى صاحبنا المعلم، أيام دراسته الجامعية، وحكت كذلك عن إسلام العربي، وانخداع صاحبنا المعلم بها، حين ظن أنها ذات الشيم، وحكت عن جميع الأحلام والرؤى، التي رآها صاحبنا المعلم من يوم عرفته، ولم تكتم شيئًا واحدًا، من أمر صاحبنا المعلم وحياته، عن سمع الأميرة حميدة

شعرت حميدة، بأن أستاذها يحبها كما تحبه، وأنه يستكتم حبه لها ويخفيه، مثلما تفعل هي، فحمدت الله على تلك النعمة، لكنها شعرت أيضًا بالغيرة الشديدة على حبها، فجعلت تسترجع وعدا حديث الفتاتين، اللتين عرفهما أستاذها في حياته، ووعد تجيب عن أسئلة الأميرة الغيورة، حتى شعرت الفراشة بالإعياء، وكادت تسقط أرضًا

وفي النهاية تبادلت الأميرة حميدة ووعد وعدا، قدمته كل منهما للأخرى، بكتمان ما جرى بينهما من أحاديث تخص صاحبنا المعلم، وألا تخبره كل منهما بما كان

عاد صاحبنا المعلم إلى منزله، بعد انتهاء اليوم الدراسي، وقضى ما بقي من يومه، بدون ما تعود عليه، من مناقشات يومية مع فراشته وعد، وشعر بالقلق الشديد على شريكته في البحث عن الأميرة ذات الشيم، وأسلمه هذا القلق إلى أن يرفع يديه إلى السماء، يرجو من الله أن يحفظ الأميرة حميدة، وفراشته وعد، وأن يوفق الأخيرة لإقناع الأولى بما يجب أن تقتنع به؛ لتقوم بدورها في إحياء بلاد القيم

وفي الصباح أعادت الأميرة حميدة وعدا، بأمان الله وسلامته، فشكرها أستاذها على رعايتها لوعده، ثم سألها هل اقتنعت بما أخبرتك بك، وما أخبرتك به وعد، فقالت الأميرة حميدة بكل ثقة: اقتنعت تمام الاقتناع

قال صاحبنا المعلم: هنيئا لك الإمارة على بلاد القيم، وهنيئا لي الحصول على شرف حراستك يا مولاتي حميدة ذات الشيم، قالت الأميرة حميدة: اعذرني يا أستاذي، فأنا أخاف أن تناديني بمثل هذه الأوصاف، أثناء تدريسيك لنا ونحن داخل الفصل، فيسخر الطلاب والطالبات مني ومنك

قال صاحبنا المعلم، وهو يضحك من براءة تلميذته: لا تقلقي يا سيدتي ذات الشيم، فحارسك المعلم في تمام اليقظة والوعي، لكل قول وكل فعل يصدر عنه، قالت الأميرة حميدة: ولي رجاء آخر، ألا تصف نفسك بحارسي أبدا، فأنت أستاذي ونبراسي وتاج رأسي

قال صاحبنا المعلم: والله إن لم أكن حارسك إلى بلاد القيم، لأصبحت حارسك الخاص، بعد هذه الكلمات الرقيقة، التي وصفتني بها، يا سمو الأميرة

صمتت الأميرة ذات الشيم خجلا، لكن أستاذها الحارس لم يصمت، فقال لها: متى ستكونين جاهزة، للرحيل إلى بلاد القيم يا مولاتي، قالت الأميرة حميدة: أنا لا أستطيع أن أحدد موعدا للرحلة، إلا بعد موافقة والدي، وأظن أن انتزاع الموافقة منهما، سيكون أمرا عسيرا، إن لم يكن مستحيلا

قال صاحبنا المعلم: استعيني بالله ولا تعجزي، يا مولاتي الأميرة، اشرحي الأمر لهما، اليوم بعد عودتك من المدرسة، وبإذن الله تعالى سيكون النجاح حليفك

قالت الأميرة حميدة: سأحاول جاهدة بإذن الله تعالى، وسأطلعك على نتيجة مساعي غدا، بإذن الله تعالى

تخيرت الأميرة حميدة الوقت المناسب في ذلك اليوم، واجتمعت بوالديها، وقصت عليهما قصة بلاد القيم كاملة، ثم فجرت في وجههما المفاجأة، بأنها يجب أن تسافر مع أستاذها، إلى هذه البلاد؛ لإحياء الأخلاق والقيم من جديد

استأذنت الحاجة سعاد الرفاعي، والددة الأميرة من هذا الاجتماع مبكرا؛ لأنها لم تفهم من كلام ابنتها سوى جمل قليلة، وخوفا على ما تطهوه في مطبخها من فساد أو احتراق

أما والد الأميرة فقد واصل التجلد، حتى انتهت الأميرة من حديثها، واستفسر منها عن عدة نقاط في حديثها، فراحت الأميرة تعيد الشرح والتوضيح لأبيها بكل حماسة، وهي تظن أن أسئلته تلك، مقدمة مبشرة، تدل على موافقته الوشيكة على سفرها، في نهاية الاجتماع

والواقع أن الحاج حماد لم يكن يهمه، مما سمع من ابنته، سوى أمر واحد، وهو اللقب الذي حصلت عليه ابنته: الأميرة حميدة ذات الشيم، أميرة بلاد القيم، فقد قارن في عقله كثيرا بين هذا اللقب الجديد، وبين تلقيب حميدة بالخاتون، تشبيها لها بزوجة الإمام جعفر الصادق، إلا أن نتيجة المقارنة، لم تحسم بشكل نهائي في عقل والد الأميرة، وتمنى من داخله، لو أمكن لابنته الجمع بين اللقبين، دون مشقة السفر والترحال، الذي تتحدث عنه

كانت مجادلة والد الأميرة ومراجعته لها، تدور حول إمكانية حصولها على هذا اللقب الجديد الرنان، ونشره على مسامع الناس وألسنتهم، دون أن تضطر إلى الرحيل إلى بلاد القيم، فلما أكدت له الأميرة أن ما يتمناه في نفسه ضرب من المستحيل، حسم أمره ورفع صوته بالرفض والمنع، والتحذير والتهديد

وسمعت والددة الأميرة صوت زوجها المهدد من مطبخها، فحمدت الله أنها آثرت السلامة، وانصرفت مبكرا، قبل أن تغرق في بحر الأيمان والتحذيرات، الذي أطلقه زوجها من نيران غضبه

حاولت الأميرة حميدة من جانبها، أن تهدئ من غضب والدها، وأن تقنعه أن في ذلك إنقاذ للبشر والبشرية، وإرضاء لله ورسوله، وتعظيم للإسلام والقرآن، ومجد للعرب والعروبة، وصيانة للأخلاق والقيم، لكن الرجل لم يهدأ، ولم يسكت عنه الغضب، حتى أقسم على ابنته، ألا تذكر هذا الكلام أمامه مرة أخرى أبدا

وفي صباح اليوم التالي، قدمت الأميرة حميدة تقريرا، عن النتيجة المأسوية التي انتهى إليها اجتماعها مع أبيها، واعتذرت لأستاذها كثيرا، وأكدت له قبل انصرافها، أنه لا أمل يرجى في تغيير موقف أبيها، واعتذرت لأستاذها مجددا، وانصرفت ودمعها على خديها

وقد أبلغ صاحبنا المعلم، تقرير الأميرة حميدة الكارثي، إلى الفراشة وعد، ونقل إليها تأكيد الأميرة بأسها، من تغيير موقف والدها، وكانت ليلة محزنة عليهما، قضتها وعد في البكاء، وقضاها صاحبنا المعلم في الدعاء

بكت وعد في ليلتها تلك، كما لم تبك يوما في عمرها، وتحسرت على فشل مهمتها، ودمار موطنها، وانقراض الأخلاق والقيم إلى غير رجعة، وعلى خيبة ظن أبيها الأمير الأمجد فيها، حين يعود من الجهاد في بلاد الشام، فتخبره أنها لم توف بوعودها، التي قطعتها بين يديه قبل سفره

شعرت المسكينة وعد، بأن الموت خير لها من الحياة، فكيف لها أن تقوى على النظر في عيني والدها الأمجد، لتخبره بأنها كانت سببا في ضياع وطنها الحبيب، ومعه أوطان جميع البشر، وهو الذي قضى عمره للدفاع عن البشر وحقوقهم، في الحياة والعدل والحرية

عانت المسكينة وعد من أحزانها وبكائها، دون أن تجد من يخفف عنها، فقد كان شريكها في البحث عن الأميرة ذات الشيم، منشغلا بأحزانه هو الآخر، غير أنه لم يستسلم لدموعه، التي مازالت ترجوه أن يفتح لها أبواب عينيها، ويسمح لها

بالجريان، فيرفض بتماسك وصبر، وبصيص من أمل يلوح له من بعيد، يحذره من الاستسلام لليأس، ويخبره بأن الأمر، لن ينتهي بهذه النهاية المأسوية
لجأ صاحبنا المعلم للدعاء وسيلة، يخفف بها من أحزانه، وقد نجحت هذه الوسيلة في النهاية نوعاً ما، إذ مالت نفسه للنوم، فأحب أن يتفقد فراشته الرقيقة قبل أن ينام، فرآها قد نامت، ودمعها يبيل أوراق الزهرة، التي نامت عليها
كانت الأيام الثلاثة التالية، يوم الأربعاء والخميس والجمعة، الأشد وطأة على قلب صاحبنا المعلم وفراشته وعد، وأشد ما فيها، كان غياب الأميرة حميدة عن المدرسة، يومين متتاليين

خشي صاحبنا المعلم، أن يكون مكروها، قد ألم بالأميرة حميدة، أو أن حزنها من موقف أبيها، قد سلمها للمرض، أو أن تكون يد والدها قد تناولتها بالضرب، أو أن يكون أقسم عليها ألا تذهب إلى المدرسة بعد اليوم

تضاعفت حشرات صاحبنا المعلم وآلامه، فبعد أن ضاع الحلم بالسفر إلى بلاد القيم، ها هو حلمه بالزواج من الأميرة حميدة، يتسرب من بين يديه ويوشك أن يضيع، وقدّر صاحبنا المعلم أن والد الأميرة حميدة لابد وأن يكون في أشد حالات الحنق عليه، والغضب منه؛ لأنه يعلم أنه من أدخل فكرة السفر إلى بلاد القيم في عقل ابنته الصغيرة، ولذلك حرّمها من والدها من الذهاب للمدرسة؛ حتى يمنعها من رؤية الأستاذ الذي أفسد عقلها

تصبر صاحبنا المعلم، على ما جال في خاطره من هواجس التفريق بينه وبين حميدة، حتى مساء يوم الجمعة، حين انفجرت بداخله براكين الشوق لتلميذته، وعزم أن يقوم بخطوة جنونية، وأن يذهب إلى منزلها بعد صلاة العشاء؛ ليقابل والدها، ويستفسر عن سبب غيابها، ويطمئن عليها، ويراهن إن سمح والدها بذلك

لم يفكر صاحبنا المعلم، في عواقب خطوته الجنونية، إنما فكر في إنقاذ حبه، وحلم الزواج بالأميرة حميدة، إذا ما كان حلم السفر إلى بلاد القيم قد تلاشى

صلى صاحبنا المعلم العشاء في المسجد العمري، ومشى خلف الحاج حماد، لدى خروجه من المسجد، حتى دخل منزله، فطرق صاحبنا الباب ثم دخل فوجئ الحاج حماد، بصاحبنا المعلم أمام باب حجرة الضيوف، فأشار إليه بدخولها، بدون أي كلمة ترحيب، وقد ألبس وجهه ثوب الامتناع والضيق جلس صاحبنا المعلم على الدكة الخشبية، في حين استمر الحاج حماد واقفاً، في إشارة للضيف بأنه غير مرحب به، وأن عليه أن يوجز في كلامه ويسرع

لم يدر صاحبنا المعلم من أين يبدأ كلامه، غير أنه تنحنح وتوكل على الله فقال: كيف حال ابنتك حميدة يا عمي الحاج؟ قال الحاج غاضباً: إنها بسببك في أسوء حال، تمتنع عن الطعام والشراب، وتحرم على نفسها الذهاب إلى المدرسة

تألم صاحبنا المعلم، لما علم بإضراب الأميرة حميدة عن الطعام، لكنه ابتلع بعضاً من ريقه، بعد استدلال من كلام الحاج حماد، أنه ليس المسئول عن منع ابنته من الذهاب إلى المدرسة، وأنه لم يحجزها في البيت أسيرة لأيمانه المغلظة

قال صاحبنا المعلم: ولماذا تظن أنني السبب فيما فعلته حميدة بنفسها؟ قال الحاج حماد محتداً ومغتاظاً: لأنك أدخلت في عقلها أكاذيبك، عن بلاد لم نسمع عنها من قبل، ولم يرد ذكرها في كتب المسلمين ولا اليهود ولا النصارى

قال صاحبنا المعلم بصوت هادئ: اجلس يا حاج حماد؛ لأشرح لك الأمر كله، قال الحاج حماد: لا فائدة من شرحك ولا من كلامك كله، قال صاحبنا المعلم: اجلس وافهم الأمر على حقيقته ثم أصدر حكمك، ولعلنا نجد طريقة ننقذ بها حميدة من الجوع والعطش، والحرمان من طلب العلم

جلس الحاج على الدكة المقابلة، والغضب لا يزال ظاهراً في عينيه ووجهه، ثم قال: اشرح وأفهمني الأمر يا أستاذ

اغتنم صاحبنا المعلم فرصة جلوس الحاج، وحكى موجزا مما جرى له مع الفراشة وعد، منذ قابلها، غير أن الحاج حماد قاطعه في موجزه، وقال بكل غضب: قد سمعت قصة فراشتك الناطقة هذه من ابنتي، فإن كان لديك شيء غير تلك القصة فقله، وإن لم تكن تملك غيرها، فاخرج من بيتي ومن حياة ابنتي، ومعك أكاذيبك

قال صاحبنا المعلم في كل أسى: لا أملك إلا ما تصفه بالأكاذيب يا حاج، غير أنني أذكرك أن منعك ابنتك حميدة من السفر إلى بلاد القيم، فيه تضييع للبشرية كلها، إلى أبد الأبد

قال الحاج حماد: وهل تظن أنني رجل أحقق، أهتم بإنقاذ البشرية، وأضيع سمعة ابنتي أيها المعلم، فلتذهب البشرية إلى الهاوية، على أن تبقى رأسي ورأس ابنتي مرفوعة، إلى أبد الأبد

قال صاحبنا المعلم، متعجبا من الربط بين إنقاذ البشرية، وتضييع سمعة الأميرة حميدة: وكيف يكون في إنقاذ ابنتك للبشرية، تضييع لسمعتها، إنها بذلك ستحصل على الشرف الأعظم على جميع الكائنات، وستصبح سيدة نساء العالمين في زماننا، وكل زمان آت

وقف الحاج حماد على رجليه، وصرخ في وجه صاحبنا المعلم قائلا: وهل من الشرف العظيم، أن أسمح لابنتي أن تسافر مع شاب في سنك؟ وهي في سن الزواج، إلى بلاد لا نعرفها، ولا نعرف الطريق إليها، بل لا نعرف أصلا إن كان لها وجود في الدنيا

بهت صاحبنا المعلم مما سمع، ولم يخطر بباله يوما أن يسمعه، وقال: ماذا تقول يا عم الحاج؟ قال الحاج حماد: أقول إنك تزعم لابنتي أنك ستسافر بها إلى بلاد الأخلاق والقيم، فهل من الأخلاق والقيم أن تنفرد بشابة ساذجة بريئة، وترحل بها إلى تلك البلاد المزعومة

وأقول: إنك شاب مخادع، تخدع الناس بخطبك وحلو كلامك، وبما تنشده من قصائد دينية، وتغرر بعقول الشابات الصغيرات، فتخدعن وتتلاعب بمشاعرهن، بالألقاب

الرنانة، وأحلام الإمارة الكاذبة، بدلا من أن تتقي الله فيهن وفي أعراضهن، وقد خلقك الله معلما، وجعلهن أمانة في رقبتك

وأقول: لو كان ما تزعمه من أكاذيب صحيحا، فأنت شاب أحمق، تريد أن توقف حياتك وحياة ابنتي معك، على أوهام ولدت في عقل فراشة، لا يتعدى حجم رأسها كله حبة عدس واحدة

قال صاحبنا الغارق في هذا السيل من الافتراءات: أقسم لك يا عماه أنني صادق في كل حرف قلته لك أو لابنتك حميدة، قال الحاج حماد: أنا وابنتي في غني عن كلامك وحروفك وقسمك، واعلم أن ابنتي لن تحضر في فصل دراسي تدرس فيه أنت أبدا، والآن اخرج من بيتي أيها المخادع

وقف صاحبنا المعلم على قدميه، يحاول أن يجبرهما على المشي فتنكاسلان، على أمل أن تستمر المناقشة عدة دقائق أخرى، لعل الله يأذن بانفراجة في الحديث، لكن عيون الحاج حماد المشتعلة غضبا، قتلت كل أمل في كل شيء

خرج صاحبنا المعلم من باب حجرة الضيوف، متجها إلى باب المنزل، ثم سمع صوت الحاج حماد يقول له: اسمع يا هذا، نحن أحفاد رسول الله ﷺ واعلم أن حميدة ابنتي حفيدة الحسين بن علي بن أبي طالب، وحفيدة فاطمة الزهراء بنت محمد، فلا حاجة لابنتي في لقب ذات الشيم، الذي حاولت خداعها به، فابنتي بنسبها الشريف أعظم من كل الأميرات، وليست ابنتي من تخالف شرع ربها، لتسافر معك

التفت صاحبنا المعلم إلى محدثه، قائلا بكل قوة: ولأنها حفيدة فاطمة الزهراء تستحق أن تكون ذات الشيم، وأميرة بلاد القيم، فمن تستحق أن تكون أميرة على بلاد الأخلاق والقيم، سوى حفيدة فاطمة البتول، أم أبيها، وسيدة نساء العالمين، المكملة عقلا وخلقا، وزكاة وروحا، وبنت خديجة سيدة نساء العالمين، المكملة عقلا وخلقا، وزكاة وروحا

أصابت كلمات صاحبنا المعلم الأخيرة، الحاج حماد في مقتل، فتلجلج ولم يدر ما يقول، وشعر أن تلك الكلمات الأخيرة حقيقة مقتعة، غير أنه كابر واستمر في عناده وقال: اخرج من بيتي الآن، ولا تتحدث إلى ابنتي أبدا

خرج صاحبنا المعلم، من منزل الشيخ فليفل، وقد تأكد لديه الآن ضياع حلميه جملة واحدة، فلا رحلة إلى بلاد القيم، ولا زواج من حبيبته حميدة، وتأكد لديه الشعور بالفشل والانكسار على المستوى الذاتي، وعلى مستوى أمة محمد، وجميع الأمم، فلا هو أنقذ حبه وأسعد نفسه، ولا هو أنقذ الأخلاق وأسعد الآخرين

وما إن خرج صاحبنا المعلم، من منزل الشيخ فليفل، حتى أوصد الحاج حماد الباب خلفه، وأسرع إلى ابنته حميدة، فسأل عنها والدتها، فأخبرته أنها لا تزال حبيسة في غرفتها، فحطم باب الغرفة في ثورة غضبه، ودخل على ابنته، وأخبرها بما جرى في حجرة الضيوف لأستاذها، وأقسم أمامها بالطلاق من أمها ثلاثا، إن لم تأكل وتشرب وتذهب إلى مدرستها، صباح يوم السبت

اضطرت الأميرة حميدة، إلى كسر إضرابها عن الطعام والشراب، وأدخلت إلى جوفها عنوة، بعض لقيمات وجرعة ماء مريرة، وتجهزت للذهاب إلى المدرسة، صباح اليوم التالي، وهي لا تدري كيف ستواجه عيني أستاذها، الذي طرده أبوها شر طردة، واتهمه بالكذب والخداع

وصل صاحبنا المعلم إلى منزله أصم وأبكم، وصعد إلى محل نومه فنام، ولم يحك لوعده كلمة واحدة، مما جرى بينه وبين الحاج حماد، وكانت وعد تنتظره على أحر الجمر؛ ليطمئن بالها، ولو بكلمة واحدة

عانى الحاج حماد، من أرق شديدة في تلك الليلة، وقضى شطرا طويلا من الليل، يتقلب في فراشه، يستجلب النوم دون فائدة، ولم ينم إلا بعد أن توضأ، وصلى ركعتين خفيفتين

رأى الحاج حماد في نومه، والده الشيخ فليفل، ومعه الشيخ رضوان، والشيخ عبد العاطي النجاري، وهم الشيوخ الثلاثة الذين تولوا تحفيظ كتاب الله لأهل القرية، وما حولها من القرى، وتلقينهم مبادئ القراءة والكتابة والحساب طلب الحاج حماد، في رؤياه الفتوى من الشيوخ الثلاثة، في حديث بلاد القيم، فأجمع الثلاثة بلا تردد، على الفتوى بوجوب استجابته، لما طلبته منه ابنته، وما طلبه منه الشاب منشد البردة، وأمره بالإسراع والتبكير، في إرسال ابنته مع أستاذها إلى بلاد القيم، وطمأنوه على مصير ابنته، فإنها ستذهب في مهمة مقدسة، وستعود سالمة غائمة، بإذن الله تعالى

هب الحاج حماد من نومه، وأسرع إلى غرفة ابنته، فقبل يديها ورأسها، واعتذر لها كثيرا، وأخبرها بزيارة الشيوخ الثلاثة له في نومه، ونقل إليها ما أمره به في تلك الرؤية، وأوصاها أن تذهب مبكرا إلى المدرسة، وتطلب من أستاذها الحضور إلى منزل الشيخ فليفل، بعد صلاة العشاء

سري عن الأميرة حميدة همومها، المتراكمة منذ عدة أيام، وحمدت ربها وصلت له، وقراءة الفاتحة على أرواح الشيوخ الثلاثة، الذين زاروا أباه في نومه، وجلست في فراشها، تمسك ساعتها بين يديها، تنتظر الصباح بالصبر الفارغ

وجاء الصباح، وخفت الأميرة حميدة إلى زي المدرسة، وفي لحظات كانت على كوبري القرية، تستقل أول وسيلة مواصلات، متجهة إلى حاجر القرية، ثم إلى المدرسة الثانوية

وقفت الأميرة حميدة طويلا، ترتقب وصول أستاذها، قرب حجرة المعلمين، ومر وقت حسبه طويلا، قبل أن ترى أستاذها، مقبلا من ناحية السلم الخاص بالمعلمين، قد علق بصره بالأرض، يجر رجليه جرا، ولا يرفعهما رفعا، وقد نقص وزنه، وتغيرت هيئته، لما رآه وسمعه، في هذه الثلاثة العجاف

أسرعت الفتاة، تقفز فرحا نحو أستاذها، فانتبه لها، وابتسم متلهفا، ثم انقبضت بسمته، حين تذكر تحذير الحاج حماد له، من الحديث إلى ابنته، لكن الفتاة لم تترك أستاذها، يهيم في بحر أحزانه، بل انتشلت منه بقولها: لقد وافق أبي على سفرنا إلى بلاد القيم

أشرقت الدنيا في وجه صاحبنا المعلم، وتلاأت دموع الفرحة في عينيه، وقال في سرعة: هل وافق أبوك حقا يا ذات الشيم؟ قالت الفتاة: نعم وافق، ثم شرحت الأميرة حميدة لأستاذها كل ما جرى، وطلبت منه الحضور إلى أبيها بعد صلاة العشاء

حمد صاحبنا المعلم ربه على كرمه ونعمه، وقال لتلميذته: لقد كنت أنوي اليوم، أن أخطب إدارة المدرسة، ومكتب التوجيه؛ للعودة إلى مدرستي السابقة، لأبتعد عنك كما طلب والدك، ولكن الحمد لله اللطيف الخبير

فرح صاحبنا المعلم، بموافقة والد الأميرة على سفرها معه، وعد ذلك بشارة بتحقيق حلمه، بالزواج من الأميرة عن قريب، وما إن انتهى اليوم الدراسي، حتى أسرع صاحبنا المعلم إلى فراشته وعد، وأطلعها على كل ما جرى، فشاركتة الفرحة، وعادت إلى ما انقطع منذ أيام، من رقصها الدائري في الهواء

صلى صاحبنا المعلم العشاء، في المسجد العمري، ثم ذهب إلى منزل الشيخ فليفل، فوجد الحاج حماد ينتظره، فدخل ورحب به الحاج، وجلس بجواره، وأعاد على مسامعه بالتفصيل، زيارة الشيوخ الثلاثة له في المنام، وما أمره به

قال صاحبنا المعلم، وقد جرت مياه البشاشة في أسارير وجهه من جديد: سنسافر على بركة الله، في الموعد الذي تراه لنا مناسبا، إن شاء الله يا حاج قال الحاج حماد: نعم ستسافران بإذن الله، لكن بعد أن تتعهد لي بثلاثة عهود، وهذه العهود الثلاثة، هي شروطي عليك، للسماح لابنتي بالسفر معك إلى بلاد القيم

قال صاحبنا المعلم، وقد تلاحقت أنفاسه: اشترط ما تشاء يا عمي، فقال الحاج: أشترط أن تتعهد أولا، بأن تكتب كتابك على ابنتي؛ لتسافر معك وهي زوجتك، لننجو بذلك من مغبة مخالفة شرع الله

ضحك صاحبنا المعلم فرحا بما سمعت أذناه، وهو لا يصدق أن ما سمعه، قد خرج من فم الحاج حقا، وتعجب في نفسه من قدرة الله العجيبة، التي جمعت له بين حلميه في جلسة واحدة

قال الحاج حماد: والشرط الثاني أن تتعهد بإحضار والديك، لحضور كتابة عقد زواجك على ابنتي، فهل توافق على هذين الشرطين يا أستاذ، قال صاحبنا المعلم: نعم وبكل تأكيد، قال الحاج حماد: استعد إذا للشرط الثالث

انقبض قلب صاحبنا، بعض الشيء، قبل سماع الشرط الثالث، لكنه قال: اشترط ما شئت يا عمي الحاج، قال الحاج حماد: الشرط الثالث أن تسافر بابنتي، وتعود بها كما سلمتك إياها، وأن تتعامل معها كأنها أختك الصغيرة، وليس زوجتك، فتسافر معك وهي أختك، وتعود معك وهي أختك، وحين تعود بإذن الله، تطلقها وينتهي زواجك بها

صمت صاحبنا المعلم صمتا طويلا، وامتنع لونه، وخيل إليه أن ما منحه له القدر من لحظات بيمينه، عاد فسلبه منه بيده الأخرى

ولما طال صمت صاحبنا المعلم، استحثه الحاج حماد على الرد، فابتلع صاحبنا المعلم ريقه، وقال في صوت مختنق: أنا موافق على شروطك يا حاج، وأتعهد بتطبيقها، قال الحاج حماد: عظيم، والآن سأنادي على ذات الشيم لأخذ عليها نفس العهود الثلاثة

نادى الحاج حماد على ابنته الأميرة، فحضرت ومعها الشاي الساخن، ووضعت الصينية على الدكة، وسلمت على أستاذها، وابتسامتها لا تفارق ثغرها، ثم جلست حيث أشار إليها أبوها بالجلوس

تلا الحاج حماد على ابنته الأميرة العهود الثلاثة، وانتزع منها الرضا بها، كما انتزع من أستاذها، وعادت الفتاة واجمة في جلستها، مثلما رأت أستاذها يجلس واجما عندما دخلت بالشاي، وتعجبت من وجومه، وودت لو سألته حينها: (هشت لك الدنيا فمالك واجما، وتبسمت فعلام لا تتبسم)

عرفت الفتاة وفهمت، سبب حزن أستاذها وصمته، وأصابه ما أصابه، وعجزت عن قول كلمة واحدة، بخلاف كلمة الموافقة كما عجز، وسلمت الأمر لربها، كما فعل

عاد الحاج حماد بحديثه، إلى صاحبنا المعلم، فطلب منه شرب كوبه من الشاي، ثم قال له: عليك أن تقنع والديك بكل شيء، وأن توصيهما وتشدد عليهما في الوصية، بكتمان أمر زواجك من ابنتي، حتى عن إخوانك وأخواتك، فإن قبلا شروطي كما قبلتها، فعليك أن تحضرهما غدا في نفس هذا الموعد؛ لكتابة عقد الزواج، وإن رفضا شروطي، فاعلم أن السفر إلى بلاد القيم، لم يتعطل بسبب من عندي

رد صاحبنا بصوته الذي لا يزال مختنقا فقال: لا تقلق يا عمي الحاج، فإني سأبذل كل ما في وسعي، لنلا يمتنع إنقاذ البشرية بسبب من عندي، ولا بسبب من والدي، وإني سأبلغ الأميرة حميدة، غدا صباحا في المدرسة، بموافقة والدي على شروطك، وسنحضر بعد العشاء؛ لكتابة عقد الزواج إن شاء الله

قال الحاج حماد: على بركة الله إذن، ولكن بقي أمر واحد يجب أن تعرفه، وأن تسمعه ابنتي ذات الشيم، بقي أن تعرفا أنني لن أسمح لكما، بأكثر من أسبوع واحد، تقضيانه في بلاد القيم، وتعودان بعده إلى هنا؛ لإتمام الاتفاق، وتنفيذ الطلاق بإذن الله تعالى

وقف صاحبنا المعلم على قدميه؛ لينصرف وهو يقول: إن شاء الله يا عمي الحاج، إن شاء الله

عاد صاحبنا المعلم، إلى منزله مشئت الفكر، واستشار وعدا فيما جرى، فلم يجد عندها ردا ولا جوابا، فتوكل على ربه، وأخبر والديه بالقصة كلها، وقد ذاق الأمرين في الشرح لهما وإقناعهما، وفي النهاية وافقا مكرهين

في الصباح، أبلغ صاحبنا المعلم، الأميرة حميدة بكلمات باردة، موافقة والديه، وطلب منها التأكيد، على تجهيز كل شيء في الموعد، كما اتفقوا أمس، ولم يجرؤ على تهنة الأميرة بزواجه منها، ولم تجرأ هي على أن تقدم له المباركة، بسبب هذا المأزق الغريب، والوضع الحرج الذي وضعها فيها

وكان وضع صاحبنا المعلم، مع الأميرة حميدة، وضعاً عجيباً حقاً، فكلاهما يحب الآخر، ويتمنى الزواج به، ولكن أحدا منهما لم يبيح للآخر بحبه، ولم يكن يعرف حتى أن الآخر يبادل له عين الحب، ويحمل له في قلبه نفس المشاعر

ومن عجائب هذا الوضع أيضاً، أن الزواج الذي يتمنيانه، سيفرض عليهما الليلة فرضاً، لكنهما لن ينعما به أبداً؛ لأنه زواج مع إيقاف التنفيذ، ومع كونه زواجا سوريا لا حقيقيا، فإن مدة صلاحيته سبعة أيام فقط، وهي المدة التي حددها الحاج حماد، لبقاء الزوجين في بلاد القيم

وفي الموعد المحدد، حضر صاحبنا المعلم مع والديه، إلى منزل الشيخ فليفل، حيث استقبلهم الحاج حماد، وأدخلهم إلى حجرة صغيرة، في الفناء الخلفي للمنزل

وبداخل تلك الحجرة، كان الشيخ إبراهيم حمادي، إمام وخطيب مسجد الجهاد بالقرية، يجلس منتظرا وصول الضيوف الثلاثة، ومعه رجلان من أصدقاء الحاج حماد

وكان الحاج، قد اختار الشيخ إبراهيم حمادي، ليتولى كتابة العقد؛ لأنه شاب فقيه يثق فيه الحاج ويحبه، وهو من أبناء عمومة الأميرة ذات الشيم ظل الصمت والوجوم سيدا الموقف طوال الوقت، فلا مباركات ولا زغاريد، ولا حلوى ولا عصائر، ولا مدعوين من خارج أسرة الحاج حماد؛ لأنه لم يخبر أحدا بالأمر، ولا حتى أبناء أبيه

وقد أتم الشيخ إبراهيم كتابة العقد سريعا، بعد أن وكلت الأميرة حميدة أباه عنها، وعرض أبوها زواجها، على صاحبنا المعلم، فقبل الزواج، وتمت الإجراءات، وشهد صديقا الحاج حماد على صحة العقد، وانتهت مراسم الزواج، واستأذن صاحبنا المعلم مع والديه؛ للانصراف فانصرفوا، ولم ير الوالدان شكل زوجة ابنيهما، ولا سمعا صوتها

ومن جديد، شدد الحاج حماد على الشيخ إبراهيم، وعلى الشاهدين، ألا ينطقوا بحرف واحد، مما جرى في هذا الزفاف العجيب الغريب، فأقسموا له بأغلظ الأيمان على الكتمان التام لكل ما جرى

تركت هذه الطريقة، التي تم بها الزواج أثرا سيئا، في نفس الزوجين، فمن ناحية، وجدت الأميرة ذات الشيم، نفسها في موقف لا تستطيع فهمه ولا تفسيره، ولأنها عجزت عن فهم الموقف الذي تقف فيه، عجزت كذلك عن تحديد الشعور المناسب تجاه هذا الموقف، فلم تعرف المسكينة هل تفرح وتسعد؛ لأنها تزوجت الليلة، أم تحزن وتبكي؛ لأنها لم ولن ترى من زواجها المزعوم، ما يجعله شبيها بالزواج، ثم أنها ستحصل على لقب مطلقة بعد أسبوع واحد لا غير

ومن ناحية أخرى، وجد صاحبنا المعلم نفسه، بمجرد عودته للمنزل، غارقا في بحر اللوم والتقريع، والسباب والالتهامات من والديه، فلا هو قادر على تحمل ما يسمع، ولا هو قادر على الدفاع عن نفسه، ولا هو قادر على إقناعهما بالتضحية التي

يقومان بها من أجل البشرية، ولا هو قادر أن يفرغ ذهنه؛ ليعيد شحنه بأمور ذاته،
فيحزن على حاله وحال من يحبها

صعد صاحبنا المعلم، بعد أن استأذن من والديه، إلى فراشته وعد، وأخبرها بكل ما
جرى، ثم قال لها في لهجة قاسية، والآن ماذا سنفعل؟

قالت وعد: سنقوم بواجبنا الذي قدر علينا، وكتب الله لنا، وسنسافر إلى بلاد القيم،
قال صاحبنا المعلم بذات اللهجة القاسية: وكيف سنسافر إلى بلادك؟ وما الوسيلة
التي سنركبها؟

لم تجب وعد على سؤال صاحبنا المعلم، بل طلبت منه أن يقطع من زهرات
الإصيص الفخاري، اثنتين وعشرين ورقة مختلفة الحجم، وأن يرسم بتلك الأوراق
صورة هلال واسعة، على أرضية السطح

ثم رفرفت وعد عاليا، ووجهت قرون استشعارها، إلى هذا الهلال النباتي الأخضر،
فخرج من قرنيها شعاع بنفسجي اللون، وأحاط الشعاع بأوراق ووريقات الهلال،
ومازال الشعاع يدور حولهن، حتى التحمت واتصلت أطراف الأوراق والوريقات
جميعا، وأصبح جسما واحدا، واستمر الشعاع في الدوران، حول الهلال الأخضر،
فما حجم الهلال واتسع، حتى أصبح بساطا سحريا هلالى الشكل

وفي النهاية اختفى الشعاع البنفسجي، وتمكن صديقنا أخيرا، من قفل فمه الذي
فتحه اندهاشا، منذ خرج الشعاع البنفسجي من قرني وعد، حتى اختفى ذلك الشعاع
تماما

قالت وعد: هذا الهلال الذي تراه، يغطي سطح المنزل أمامك، هو وسيلة سفرنا
الوحيدة إلى بلاد القيم، والآن اطو هذا البساط، واحفظه جانبا، حتى تحين ساعة
سفرنا، فنركبه إلى منزل الأميرة، وننطلق بإذن الله تعالى إلى وجهتنا، واعلم يا
سيدي المعلم الحارس، أن هذا البساط يسير ويقف بأوامرك، وهو أمانة في عنقك،
والمحافظة عليه في كل وقت، جزء من مسئولياتك

وفي صباح اليوم التالي، أطلع صاحبنا المعلم، الأميرة ذات الشيم، على قصة البساط الهلالي، وأخبرها بأن عليها التجهز للرحلة هذه الليلة؛ لأنه سيمر على منزلها جوا، طائرا بالبساط الهلالي، وذلك في تمام الساعة الثالثة بعد منتصف الليل، وأن تطلع أباها على تلك الخطّة؛ ليأخذ احتياطه لإخفاء الأمر وقد وقع اختيار صاحبنا المعلم، على تلك الساعة بالذات؛ لأن الرب العلي، يكون أقرب ما يكون لعباده فيها، حيث يتنزل سبحانه، تنزلا يليق بجلاله في تلك الساعة، يقضي حاجاتهم، ويجيب دعواتهم؛ ولأنها الساعة التي يضمن فيها أن أحدا من جيران الحاج حماد، أو أحدا من أهل القرية، لن يرى البساط طائرا في الجو أبدا

وفي الساعة المحددة، فرش صاحبنا المعلم، البساط الهلالي على سطح منزله، وصلى عليه ركعتين لقضاء الحاجة، وسأل الله التوفيق والسلامة ثم جلس على البساط وإلى جواره حقيبة جهزها للرحلة، وضع فيها ملابسه، وبعض الأطعمة والمشروبات؛ فقد خشي صاحبنا المعلم أن تشعر الأميرة ذات الشيم بجوع أو عطش، فتحسب لذلك

رفرفت وعد حول رأس صاحبنا المعلم، ثم حطت على كتفه الأيمن، فقال صاحبنا المعلم يخاطب البساط: باسم الله انطلق إلى منزل الأميرة حميدة ذات الشيم، فانطلق البساط الهلالي من فوره، وطار بشكل مستعرض، بحيث يعمل طرفا الهلال الضيقان عمل جناحي الطائر، يرفرف بهما الهلال، كما يرفرف الطائر وصل البساط الطائر في لحظات إلى وجهته، فتهادى ثم نزل على سطح منزل الأميرة ذات الشيم

وحين نزل البساط على سطح المنزل، بقيت وعد على البساط، وتقدم صاحبنا المعلم، فوجد الأميرة تجلس تنتظره، وقد جهزت حقيبة متوسطة الحجم، وضعت فيها ما تحتاجه، وقد جلس بجوارها والداها، فوقفوا جميعا لاستقبال الأستاذ فور رؤيته، فسلم عليهم جميعا، وطلب من والدي الأميرة الدعاء الحار بالسلامة والتوفيق

ومن جديد ذكر الحاج حماد الزوجين، بالعهد الذي اتفقوا عليه، وقال لابنته: أوصيك يا ابنتي أن تتذكري جدتنا حميدة خاتون، وأن تتصفي في رحلتك بأخلاقها، فهي المصفاة وهي المهذبة، وأنت فوق ذلك الحميدة ذات الشيم، وتذكري نسبك إلى رسول الله، واعلمي أن شرف آل البيت جميعا بين يديك

ثم توجه الحاج حماد بالحديث، إلى صاحبنا المعلم فقال له: وأنت يا أستاذ، أذكرك بالعهد الذي بيننا، وأوصيك أن تكون صادق الوعد، مثل سيدنا وجدنا إسماعيل ابن إبراهيم، ومثل سيدنا وجدنا جعفر الصادق عليه السلام، فأنت سميه وأحق الناس بالتشبه به

قال صاحبنا المعلم: لا تقلق يا حاج حماد، فالعهد الذي بيننا محفوظ ومصان بإذن الله تعالى، وابنتك الأميرة في عيوني، ولك علي عهد الله أنني سأفديها برقبتي، إن تعرضت لشوكة تشوكها، قال الحاج حماد: الآن اطمأن قلبي

قال ذلك، ثم احتضن ابنته وقبل جبهتها، وصافح صاحبنا المعلم، ودعا له بخير، ثم طلب من الحاجة سعاد أن تسلم على ابنتها، فسلمت المرأة على ابنتها واحتضنتها، والدموع تملأ وجهها، وسألت ابنتها من جديد عن محتويات حقيبتها؛ لتتأكد أنها وضعت فيها كل أغراضها

وبعد أن سلمت والددة الأميرة على ابنتها، وراجعت معها ما تحويه حقيبتها، تقدمت فصافحت صاحبنا المعلم، ودعت له بخير، ثم سألته قائلة له: يا أستاذ بالنسبة لفترة غياب حميدة من المدرسة، لابد أن تتولى أنت معالجتها، بحيث لا تكتب في دفاتر الغياب، ولابد أن تطلب من زملائك المعلمين، أن يعيدوا شروح الدروس التي ستفوت حميدة ابنتي، في فترة غيابها

ابتسم صاحبنا المعلم، للمرأة ذات العقل والفطرة البريئة، وقال لها: لا تقلقي يا أمي، أعدك أنني سأفعل كل ما تطلبين وأكثر، بعد عودتنا سالمين إن شاء الله

أمسك صاحبنا المعلم، بيد زوجته الأميرة؛ ليركبا معا البساط، فارتبكت الأميرة أمام والديها، وأفلتت يدها بسرعة، وحملت حقيبتها، ومشيت بمفردها إلى أن جلست على البساط، ومشى أستاذها من خلفها، حتى جلس في الطرف المقابل لها من البساط

رحبت الفراشة وعد، بالأميرة حميدة كثيرا، ووقفت على كتفها، تسليها بكلامها الذي لا ينقطع

أمر صاحبنا المعلم البساط بالانطلاق إلى بلاد القيم، فارتفع البساط بالزوجين يباركهما أهل السموات والأرض، ولوحت الأميرة بيديها لوالديها، ثم زادت سرعت البساط، وطار في الجو بعيدا، وطار خلفه قلب والددة الأميرة وقلب والدها

وهناك في العلو والفضاء الفسيح، خلف الغيمات، كان البساط يحلق بالأميرة ذات
الشيم وحارسها، وحولهما وعد تسبح في بحار السعادة؛ لنجاحها في مهمتها

خاف حارس الأميرة المعلم على أميرته، من أثار الرعب في هذا الفضاء الواسع، فأحب أن يشغل بالها بأي شيء؛ ليصرفها عن صمتها، ومخاوفها التي تحيط بها، وتبدو مظاهرها عليها، فعرض علي الأميرة طعاما وشرابا فاعتذرت، ثم عادت لصمتها وخوفها

أحب حارس الأميرة المعلم، أن يحطم بفأس كلماته، قواعد لغة الصمت التي تلتزمها الأميرة، وتجعل السكوت يصفر في هذا الجو الأرحب، ورأى أن يبدأ بالحديث عن والد الأميرة؛ ليضمن انخراطها معه في الكلام، فتغفل عن مخاوفها

قال حارس الأميرة المعلم: هل تظنين حقا أن الحاج حماد، سيتمكن من إخفاء أمر رحلتنا، عن أعمامك وبقية أهلك؟ قالت الأميرة: نعم، أظن ذلك، فقد دبر في عقله خطة لكل شيء، وسيخبر أعمامي أنه أرسلني، لقضاء أسبوع عند أخوال أمي في محافظة سوهاج، وأعمامي لا تربطهم صلات قوية بأخوال أمي؛ ولذلك لن يسألوا عن غيابي

قال حارس الأميرة المعلم: كم أتمنى أن يكتب الله لنا التوفيق في مهمتنا، تنهدت الأميرة، وقالت في تأثر شديد: وأنا أتمنى ذلك، وأخاف أن يفشل الأمر، وأكون أنا المسئولة عن ذلك، قال الحارس المعلم، وقد فهم أن هذا هو السبب الحقيقي لشروذ ذهن الأميرة: لا تقلقي يا مولاتي الأميرة ذات الشيم حميدة خاتون، فالنجاح سيكون حليفنا بإذن الله

ابتسمت الأميرة من طريقة أستاذها في مناداتها، وقد حشر اسمها بين لقبين، ثم قالت: أشعر بشيء داخلي، يطالبني بالصلاة الآن، ويدفعني إليها دفعا، قال حارس الأميرة المعلم: نعم الدافع، دعينا نقيم ما بقي من عمر هذه الليلة، بالصلاة والذكر، ولعلنا نكون أول من أقام ليلة لله في هذا المكان، فنأتي يوم القيامة من السابقين

قالت الأميرة: نعم الرأي، لكن كيف سنعرف موعد صلاة الفجر، حتى لا يفوتنا وقتها، قال حارس الأميرة المعلم: لا تقلقي سيهديننا الله إليها لا محالة، حين يحين وقتها

وقف حارس الأميرة، ونوى في قلبه قيام الليل، وكبر مصليا، ووقفت الأميرة ونوت وكبرت من خلفه، وانطلق حارس الأميرة المعلم، يغرد بآيات الذكر الحكيم، والبساط يحملهما ويشق بهما، ظلام هذا الفضاء السحيق

صلى حارس الأميرة المعلم بأمرته، أربع ركعات مشبعات، ثم أشفع وأوتر، ثم جلسا يستغفران الله ويدعوانه

وما هي إلا دقائق معدودات، حتى عرج إلى سمعهما، صوت أذان الفجر، فقاما وعادا للصلاة من جديد

وبعد الصلاة، عرض حارس الأميرة المعلم على أميرته، أن تنام بعض الوقت؛ لتنال قسطا من الراحة، فاستجابت الأميرة لدعوة أستاذها، وأخرجت من حقيبتها غطاء سميكا، تغطت به، وجعلت من حقيبتها وسادة تحت رأسها ونامت، تاركة أستاذها مع الفراشة وعد، يتناقشان في أمور تخص الرحلة، وموعد الوصول

وبعد طلوع الشمس بوقت طويل، استيقظت الأميرة، وقد عاد إليها نشاطها من جديد، ووجدت أستاذها ووعده، كما تركتهما بعد الفجر، مازالا يتناقشان في أمور الرحلة، فألقت عليهما جميعا تحية الصباح

لاحظت الأميرة، أن سرعة البساط كبيرة للغاية، ويتضح ذلك من اجتيازه لمناطق عمرانية، وصحاري وقفار، وجبال وبحار، وانتقاله من أجواء باردة إلى أخرى حارة، في لحظات معدودات، فطلبت الأميرة من أستاذها، أن يهدئ من سرعة البساط، وأن يهبط به قريبا من الأرض؛ لتتمكن من قرب من رؤية هذه المناظر، التي تبدو على بعدها خلافة للعقول

أجاب حارس الأميرة المعلم، طلب أميرته، وقد وافق اقتراب البساط من الأرض، مرورهم على مرج متسع الجنبات، وكأنه بحق قطعة من الجنة

رأت الأميرة وحارسها المعلم، في هذا المرج من أسباب الجمال وصفاته، ما لا عين رأت، ولا أذن سمعت، ولا خطر على قلب بشر، ففي كل شجرة وكل نبتة وزهرة، آيات الإبداع متجلية، ومعاني الحسن مكتنزة، ويتآلف كل ذلك مع ترنم العصافير وغنائها، وجمال النسومات الرقيقة العليقة، فيزيد ذلك المكان روعة، ويضفي علي الناظر شعورا بفرض مداومة نظره بلا نهاية، وعدم الانصراف عما يرى لملل أو سأم

استحوذ هذا المرج علي قلب الأميرة، وسيطر جماله على مشاعرها، لدرجة أنها كادت أن تمنع عينها من أن تطرف؛ لنلا تحرم من رؤية زهرة أو شجرة واحدة، مما يزدان به هذا المرج الفسيح

أما حارس الأميرة المعلم، فقد شغله التأمل العقلي في أمر جمال هذا المرج، وخطر في باله، أن علة احتفاظ هذا المرج ببهائه، غفلة البشر جميعا عنه؛ لوقوعه خارج أزمّة أراضيمهم؛ ولذلك لم تمتد إليه أيديهم باثم، حتى يستحيل عن طبيعته التي خلقه الله عليها

واستمر البساط يتهادى، فوق هذا المرج، ووعد منشرحة القلب، لما تراه من سعادة الأميرة وحارسها المعلم، والكل يتأمل ويسبح الرب، علي ما يرون من إبداعه وبديع صنعه، وإذا بالأميرة حميدة تشهق شهقة مدوية؛ لأنها رأت ما أروعها

انتفض حارس الأميرة ذعرا، وشعر أن قلبه سقط من صدره، ونظر إلي الأميرة، فوجدها تشير إلي شيء بالأسفل، وتصرخ في أستاذها، ترجوه أن ينزل البساط إلي الأرض

وفي أثناء نزوله بالبساط أرضا، سأل حارس الأميرة أميرته، عن سبب انزعاجها، فقالت الأميرة: الذنب هناك، يوشك أن يفتك بالغزالة وصغيرها

نظر حارس الأميرة إلي أسفل، حيث تشير الأميرة، فرأى ذنبا قد استل أنيابه، وشمر عن صدر مخالفه، يتقدم في خطو مشته، نحو ظبي رضيع، قد حُشرت أرجله بين فروع شجيرة، فالتفت عليه الأفرع، فلم يجد منها مخلصا، ولا عنها مهربا،

وبؤس أمه الغزالة يصمتها، ويوقفها مكتوفة، في حيرة غير دارية، أتخلص ابنها العالقة أرجله أولا، أم تدفع عنه غائلة الذئب أولا ؟

قالت وعد بنت المجاهدين: فلندرك هذين البائسين، فلا حيلة لهما ولا منجى، إن لم نفعل، ولم يكن حارس الأميرة منتظرا كلمات وعد، فقد أسرع بالبساط، حتى نزل به أرضا خلف الذئب، وبسرعة خاطفة احتمل صخرة عظيمة، فوق البساط وضعها، ثم طار عاليا وألقى بالصخرة على الذئب، فكانت فوق رأسه تماما فرضختها، وهشمت أعظمها، فتهاوى الذئب، وهو يتشخب في دمه الظالم، وتدرج صوته بالعواء، من علو إلى خفوت، حتى غاب وانقطع، وارتدى بجثته على الأرض قتيلًا غير مغفور له

أسرعت الأميرة حميدة، فخلصت أرجل الطبي الصغير، ثم حملته بين ذراعيها بحنان، ووضعتة علي البساط، ففهمت الغزالة أن أصحابنا، إنما هبطوا عليها من السماء؛ نجدة لها، وغوثا من الله لتخليصها

لم يمهل حارس الأميرة المعلم، الغزالة فرصة للشكر، وأشار لها أن اركبي معنا، فأجابته وقد كادت توقن، أن هؤلاء إنما هم ملائكة، قد أرسلهم الله إليها، لولا سابق علمها أن الملائكة، ليس فيهم الرجال والنساء، فإن لم يكونا هذين ملكين، فقد استأنرا بكريم أخلاق الملائكة علي الأقل

ركب الجميع البساط، وارتفع بهم عن الأرض، وهم يزفرون الصعداء، ويحمدون الله على كل ما كان

تعجبت الأميرة حميدة، وحارسها المعلم، من سماعهما تلك الغزالة البيضاء، تتحدث إلى ابنها بلسان عربي فصيح، وتحاول أن تطيب خاطره

وبعد حديثها لابنها، توجهت الغزالة البيضاء بالحديث، إلى حارس الأميرة المعلم، فشكرته كثيرا، وتوجهت بنظرها للأميرة ذات الشيم لتشكرها، فلاحظت أن بال الأميرة منشغل، بالدماء التي تسيل من رجل الطبي، من أثر الشجيرة التي علق بها

أخرجت الأميرة حميدة من حقيبتها، بعض الدهان، وما يلزم لعلاج الجروح، ورغم حركة الظبي الزائدة، تمكنت الأميرة من تطيبه، ومداواة جرحه، وبعد ربط الجرح، هدأ الصغير، ونام في أمان

تناوب الشكر والثناء، على لسان الغزالة، للأميرة ذات الشيم، ولحارسها من جديد، حتى وعد ظفرت بامتنان، من لسان الغزالة اللاهج شكرا على الدوام، وأقسمت الغزالة أن تطوق للأبد، بصنيع ثلاثهم جيدها، فتظل ما دامت حية، خادمة من عبيد إحسانهم

شكرت الأميرة الغزالة، على طيب كلامها ومشاعرها نحوهم، وقالت لها: إننا جميعا عبيد لله، ولا فضل لبشري على حيوان، إلا بطيب الخلق وحسنه، فلرب حيوان خير وأكرم عند الله، من بشر ذي مكانة وجلال، عند بني آدم

قالت وعد: صدقت يا مولاتي الأميرة، وأضاف حارس الأميرة المعلم: بل أصابت كبد الصدق، فلا يجمل لإنسان أن يؤدي حيوانا أخدمه الله إياه، أو يكلفه فوق طاقته، وقد جاء في الأثر (رب مركوبة خير عند الله من راكبها)

شعرت الغزالة بمزيد من الاطمئنان، وصرفت عن نفسها، نفث شيطان جال بصدرها، أن هذين الإنسين، إنما خلصاها من الذئب، لتكون لهما وابنها الوجبة القادمة، وبعد ما سمعت منهما، ما أثلج صدرها، عرفت أن ظنها بتساوي بني آدم والذئاب، لم يكن إلا سوء ظن، لا يرقى إلى الشك يقينا

شعرت الغزالة بشيء من الراحة؛ لأنها قد ظفرت لدى أصحابنا، بتقدير لمشاعرها، وهو ما افتقدته بين أهلها، وبني جلدتها، وأحبت أن تتعرف على من ساعدوها، وأن تعرفهم بنفسها

سألت الغزالة أول من سألت، الأميرة ذات الشيم، فقالت لها: إنني سمعتهم ينادونك بالإمارة، قاطعتها الأميرة بقولها: لست من الأميرات في شيء، إنما هو إطراء يسبغه علي أستاذي هذا، وصديقتنا الفراشة وعد

تدخل حارس الأميرة في الحديث، فقال: لقد صدق ما سمعته منا أيتها الغزالة، فهي الأميرة، بل سيدة الأميرات، غير أن تواضعها يحملها والحياء، علي أن تقول لك ما قالت

قالت وعد: إنها الأميرة ذات الشيم، أميرة بلاد القيم، قالت الغزالة: كم يشرفني أن أقابل أميرة بلاد القيم، وأنعم برويتها، وانتظم في سلك خدامها، قال حارس الأميرة متعجبا: وهل عرفتها قبل الساعة، قالت الغزالة: نعم، أعرفها وجميع كائنات ربي تعرف خبرها، وتتمنى يوما أن تراها، ولا يجهل أمرها سوى أولاد آدم، فكأنما أعمي عليهم أمرها

ازدادت هيبة الأميرة حميدة، في قلب صاحبنا المعلم، وأدرك أنه يطير مع فتاة، لا تمثل حلمه هو فقط، بل هي حقا حلم الكون بأسره، فاستشعر قدسية هذه المهمة، وأهمية دوره فيها، حارسا للأميرة حميدة، حلم الكون كله في الصلاح والإصلاح، وسكب ذلك كله، مزيدا من حب تلميذته حميدة في قلبه

وثنت الغزالة، في تعرفها على أصحابنا، بالسؤال عن شخصية حارس الأميرة، الذي قتل الذئب وأنقذها، فتولت الأميرة حميدة التعريف بأستاذها، وأثنت كثيرا عليه، وحكت للغزالة كل ما تود معرفته عن هذا الحارس الأسمر الشجاع

ثم جاء دور التعرف، على الفراشة وعد بنت تميم الأمجد، فعرفت وعد عن نفسها، وعن أسرتها وأهلها الأبطال المجاهدين، وحكت عن الوظيفة الأساسية التي يتوارثها أهلها، جيلا بعد جيل، وهي حراسة بلاد القيم

وفي نهاية حديثها، طلبت وعد من الغزالة أن ترافقهم إلى بلاد القيم؛ لتعيش وتربي صغيرها هناك، في تلك البلاد الآمنة، بعيدا عن الذئاب والمفترسات، فوافقت الغزالة وشكرت الجميع على هذا العرض الطيب

طلبت الأميرة حميدة، بعد ذلك، من الغزالة أن تعرف بنفسها، فقالت الغزالة: أنا غزالة عربية أصيلة، واسمي أوربة، وأنا من سلالة المها العربية عريقة النسب، ويطلق العرب على أبناء نوعي (مها الوضيحي) تميزا لنا عن باقي أنواع المها،

وإن كان لوننا الأبيض الناصع، وقروننا الطويلة التي تشبه السيوف طولاً، هما ما يميزانا، عن غيرنا من أنواع المها والغزلان

والموضع الذي وجدتموني فيه، كان جزءاً من وادي خصيب، يقع بين جبلين عظيمين، يفصلانه عن سلطة البشر، وإن كان هذا الوادي جزءاً مهجوراً من قديم، من بلاد الأحواز العربية العريقة، وأنا لا أدري هل تعرفون في مصر، أو في بلاد القيم قطراً عربياً يسمى الأحواز أم لا

قال صاحبنا المعلم، وقد أثارت كلمات الغزاة حفيظته: نعم، نعرف هذا الإقليم العربي جيداً، واسمه الحقيقي إقليم (عربستان)، وتمتد جذور تاريخه إلى العهد العيلامي، وإلى ما قبل الألف الرابع قبل ميلاد المسيح، وهو إقليم مناضل، نال حريته بكرامة، وجاهد ضد الغزو الفارسي مئات السنوات، وكانت الأسرة الكعبية الكريمة آخر أسرة عربية حكمت إقليم عربستان، وامتد حكمها للإقليم مائتي عام

وكان آخر حاكم عربي للإقليم، الشيخ خزعل بن جابر الكعبي، الملقب بمعز السلطنة سردار أقدس، وهو سليل الأسرة الكعبية، وهو من أحفاد أحد سادات العرب الأقدمين، فهو حفيد عامر بن صعصعة، سيد قبيلة هوازن القيسية المضرية، ومن أعمال الشيخ خزعل الجليلة، أنه قدم أموالاً ضخمة لترميم المسجد الأقصى

وقد عقد الشيخ تحالفاً قوياً مع بريطانيا، وكانت السفن البريطانية المارة في شط العرب، تطلق طلقات مدفعها، تحية له كلما مرت أمام قصره، كما تعهدت بريطانيا بحماية الحكم العربي للأحواز

فلما ظهر النفط في إقليم عربستان، خانت بريطانيا عهودها، وتآمرت على الشيخ قوى الاستعمار الغربية والشرقية، فاتفقتا على خلعها من الحكم، ووضع الإقليم العربي تحت السلطة الفارسية، وقد تمكنت سفينة حربية بريطانية من القبض على الشيخ خزعل الكعبي، وإبعاده عن عربستان إلى طهران عام ١٩٢٥م، وظل هناك

حتى قتل بعد أحد عشر عاما، ودفن في طهران، ثم نقل جثمانه إلى النجف بالعراق،
بعد أحد عشر عاما أخرى، مرت على يوم قتله
أضاف صاحبنا المعلم قائلا: وقد سجل الشعر العربي، عروبة إقليم عربستان، كقول
جرير الشاعر:

سيروا بني العم فالأهواز منزلكم ونهر ثيري فلم تعرفكم العرب
في إشارة إلى قبائل بني العم العربية، الذين سكنوا عربستان من قديم، ومعهم قبائل
تميم، وقبائل بكر بن وائل، وبنو حنظلة، وقبيلة النواصر
صفقت الأميرة حميدة لأستاذها، فور انتهاء تقريره عن عربستان، إعجابا بقوة
ذاكرته في حفظ التاريخ، وسلاسة منطقته وبيانه، فابتسم الأستاذ من سلوك الأميرة
العفوي، وشكرها عليه

وأشادت وعد والغزاة كذلك، بما سمعا من كلام صاحبنا المعلم، وتمنوا أن يرزقهم
الله من فضله، ذاكرة واعية كذاكرته، وروعة بيان كروعة بيانه
قطع حارس الأميرة المعلم، ما جرى من عبارات شكر موجهة إليه، ووجه دفة
الحديث إلى الغزاة، فقال لها: والآن جاء دورك لتحكي لنا، قصتك مع الذئب أيتها
المهابة العربية

نظرت الغزاة إلى رضيعها النائم، فتنهدت وهزت رأسها متأسفة، ثم قالت: مسكين
ابني الرضيع، لقد تعب كثيرا، فمئذ البارحة، ونحن نركض هربا من مطاردات
الذئاب الآثمة

دفعت الغزاة الولهى غصة بحلقها، ثم أكملت بقولها: لقد كانوا أربعة ذئاب، وكنا
ثلاثة: أنا وزوجي وصغيرنا، وقد مر علينا الليل بطوله، وهم في إثرنا، كلما ابتعدنا
عنهم، تمكنوا من اللحاق بنا، وفي نهاية التطواف، ألقى لهم زوجي بنفسه
طواعية؛ لينشغلوا به عنا، ريثما أهرب أنا بصغيري

هزت الغزاة رأسها من جديد، ثم قالت: ظفروا بزوجي الحبيب، وأعملوا مخالبيهم
في جسده، وقد ظن زوجي بذلك، أنه يمنعا ويحمينا منهم، لكن واحدا من الذئاب لم

يقنع بمشاركة إخوانه القتلة، في افتراس زوجي، فجعل يطرد خلفنا في هربنا، أنا وابني الضعيف

وبعد الفجر بقليل، نظرت خلفي فلم أبصر أثرا لذلك الذئب، فظننته قد أضاع أثرنا، وأنا في مأمن منه، فآثرت أن نستريح قليلا، وأرضع صغيري، فقد اجتمعت عليه أسباب التهلكة، من تعب ومن جوع ومن خوف

لكن الصباح لم يكد ينبج، حتى لاح شبح الذئب، ينهب الأرض فتطوى له سعيانا، ففررت ورضيعي من جديد، حتى وصلنا إلى موضع إنقاذكم لنا، وفي هذه النبتة المشؤمة علقت أرجل الصغير، فحاولت تخليصه، فإذا الذئب واقف علينا، وأنا غير مالكة حيلة للرضيع، ولا لنفسي، فقد جثمت عليّ غاية الإنهاك، وفكرت أن أكرر تضحية زوجي، وأن ألقى بنفسي للذئب يأكلني، ويترك صغيري، لكنني تراجعت عن الفكرة؛ ليقيني أن الذئب لن يكتفي بلحمي، دون لحم صغيري، وأن ابني هالك لا محالة، ولولا عناية الله بالضعفاء والمظلومين، لثم الأمر كما يشتهي الذئب

قالت الأميرة حميدة: لكنني قرأت أن الغزلان، لا تعيش إلا في قطعان؛ ليحمي بعضها بعضا، فما الذي دفعك لترك ذويك، لتنفرد بأسرتك عنهم؟

صمتت الغزالة قليلا، وتضاعفت أمارات الحزن على وجهها، وبكت المسكينة وهي تقول: ما قرأته يا مولاتي الأميرة، عن أبناء جنسي صحيح، وقد كنت بين أهلي وعشيرتي و...

صمتت الغزالة مجددا، وبدا أن عقلها بصدد ذكرى مؤلمة، يغالبها وتغالبه، أو أن لسانها قد انعقد، يعالج سرا لا يريد أن يتكشف لأحد، ولولا بصيص طمأنينة سرى إليها من حارس الأميرة، بقوله: تحدثي أيتها الغزالة الطيبة، ولا تردنك خشية شيء عن ذلك، ما تحدثت

قالت وعد، مشفقة على الغزالة المسكينة: إن كان الكلام يخفف عنك فتحدثي، وإن كنت غير راغبة في استعادة ذكراك، فهوني عليك ولا تحك، وأضافت الأميرة

حميدة: لك أن تحتفظي بأسرارك أيتها الغزالة الطيبة، مادام ذلك يريحك ويرضيك،
فقد حلت ورضيعة، من قلوبنا موقعا، لا يكدره شأن

ردت غزالة الوضيحي قائلة: قد علمت ذلك يا مولاتي الأميرة، لكن ما جرى علي
جد مرير، ولذلك ثقل الكلام على لساني، قالت وعد: إذن تكلمي فلعلك لا تعدمين
قلبا يؤازرك، أو نصحا ينفعك

قالت الغزالة: نعم صدقت أيتها الفراشة، وسأقص على سمعكم أمري كله، اعلّموا
أنني قد عشت زمنا، بين أبناء قطيعي في الحمى، حيث ولدت، وسرت في صدري،
أولى نسمات الحياة، ورشفت من أمي قطرات الحب والغذاء، وحييت بين أخواتي
وأترابي، نلعب ونلهو معا، ونهرب إن حزننا أمر أو دهمنا عدو، آه لشد ما تشوقني
هذه الأيام !

استأنفت الوضيحي حديثها فقالت: لكني ما لبثت أن كبرت وعقلت، فوليت من
القطيع هاربة، لا ألوي على أحد ولا على شيء

دهش أصحابنا عجا وحيرة، لكن الغزالة لم تتركهم في حيرتهم، وقصت عليهم
سبب هروبها من قطيعها، وأخبرتهم عن نفسها قائلة: بعد صيرورتي شابة يافعة،
وحين حان موسم التزاوج بين أفراد القطيع، لم يكن بي رغبة للزواج، وآثرت أن
أراقب الذكور يتقاتلون، أيهم يظفر فيحوز بقرنه عدد إناث أوفر من قرنه، وفي
سبيل ذلك، لا ضير أن يفتك بأخدان له وأحبة وجيرة، عاش معهم عهدا طويلا،
وأراقب الإناث تساق سبايا، إلى الفائزين في حرب القرون، والأعجب أن هؤلاء
السبايا كن في غاية السعادة، للانتقال إلى ملكية من ملكوهن بقراع القرون

ولقد عافت نفسي، وتعففت أن أكون غنيمة حرب، ينالها المتغلب في النزال بقوته
وقرونه، أو يتنازل عنها المنهزم بخوره وهروبه، من وسط غليان صراعهما، دون
أن يحفل أحدهما لما أرى وأحب

وفي واقع الحال، كان قلبي كمرجل في أتون يغلي، لكنه كان يغلي بحب وعل شاب
في مثل سني، كان يمتلك على رأسه قرونا كالأخرين، غير أنه لم يملك قلب سَفّاح،

يقاتل به من طعم وشرب معهم، من أبناء قطيعه؛ ولذلك لم يشارك في هذا القتال المحموم، رفعة تأنفاً، وصونا لذوي الرحم الواحدة، من بني العمومة

وإن تسل عني، فلقد كانت دفقات العشق تنتابني، فينة أن تقع عيني عليه، وهو يتقرب مني، ويتسلل ليرعى إلى جواربي في المرعى، قرأت وأملتني نظرات عينيه، كل ما أئنيح من حب في قلبه، قبل أن يتدفق سيلاً به لسانه

وفي يوم غاب عني، فذهب وجد قلبي بلبي، وقضيت يومي أتقلب على الجمر، ثم جاء في الغد، فما ملكت أنفسنا كتمان السر، فبحت وباح لي بسرائر النفس، ومكنون الصدر، وأسلمته وسلمني صولجان عرش الفؤاد، وكرت الليالي علينا، فزاد على الأيام حبنا، حتى ضجت جوانحنا، من الصبابة والشوق، إن افترقنا أو التقينا، ولكن كيف العمل، وجذوة حبنا يترصدها طوفان صلف من أهلنا؟ لأننا خالفنا موروثات القطيع والقبيلة

من أجل ذلك، كان الاتفاق بيننا، على الهرب معاً؛ حتى لا أكره يوماً على الزواج من بغيض لا أعرفه، وكل ما يحمل هذا البغيض، من أسباب لسبيبي واغتصابي، أن صلابة قرونها، أشد من صلابة قرون بغيض آخر، وبعد الاتفاق أحسنا التخطيط، وأجدنا التنفيذ، فهربنا إلى البراري البعيدة الواسعة في ظلام الليل الدامس

قالت وعد في شيء من حدة غير خافية: بنس التخطيط، وساء التنفيذ، فلقد سرتما حثيثاً إلى حتفكما، رمقت الغزاة وعدا، بنظرة لوم وعتاب، أحد من حدة قولها، فاستحثت تلك النظرة وعدا، لتستحي مما قالت، فاستدركت الأمر بالاعتذار، وتطبيب خاطر الغزاة، ومطالبتها باستكمال خبرها

عادت الغزاة للسرد بقولها: عشنا بعد ذلك شهوراً من النعيم والهناء، قطفنا فيها جني السعادة، وسورة الحب، بلا رقيب ولا واش يورقنا، فما زادنا اختلاف الأيام وتواليها إلا حبا، وتمت نعمة ربنا علينا أن رزقنا هذا الصغير، فكان قرّة عين لي ولأبيه، وقد رأينا فيه العوض عن جميع الأهل

وبينما كان زوجي سعيدا بابنه الصغير، فلا يكاد يشيح بنظره بعيدا عنه، كنت أتوجس خيفة، كلما تأملت مقدار ما نحيا فيه من سعادة، وكنت أشتم غدر الدنيا يدنو متسللا، فلقد بلوتها فعلت بأنها ملعونة، متى أقبلت أدبرت، فما كذبت لي الدنيا حدسا، ولم تلبث أن سلكت أذرعا في جيوبها، فأخرجت لنا يدا سوداء، تقطر من كل سوء، فرمتنا - وما أخطأت - بأشأم داهية، وأكبر قارعة وجدها في زوايا جيوبها، وكأنها آلت على نفسها - وأوفت- أن تهدم وتزيل كل أثر لما شيدته وزوجي

وكانت الذئاب الأربعة، رسل الدنيا إلينا وآلاتها، فقد هاجمتنا الذئاب بأمر من سيدتهم الدنيا، فسفكوا دم زوجي بلا ذنب اقترفه، ولا إثم اكتسبه، وحاولوا قتلي مع صغيري، ثم حدث ما أنتم به عالمين، ولستم عنه بغائبين

قالت الأميرة حميدة في رقة بالغة - وقد تملكها الأسى لما حل بالغزالة - لا أفجعك الله في محبوب أيتها الغزالة، فردت الغزالة من فورها: ما عاد لي حبيب إلا هذا الصغير، فعسى الله أن يقبل دعاءك يا مولاتي، فلا يفجني فيه

قال حارس الأميرة المعلم، بعد أن استمع لحكاية الغزالة بكل دقة واهتمام: عذرا أيتها الغزالة أن نكأنا جراحك، وبعثنا آلامك، قالت الغزالة بصوت حكيم: إنما يبعث ما مات، وما ماتت آلامي حتى تبعث، ولن تموت أو تهدأ إلا بموتي

قالت وعد: معذرة أيتها الغزالة، هل لي أن أسألك، فلا تغضبيني مني، فبسمت الغزالة، وقالت في حزن تطمئنها: سلي ما أردت، فقالت وعد: أليس من الطيش ما فعلت؟ أتركين أهلك، وتغامرين بكل شيء من أجل هواك؟

قالت الغزالة: لو قدر لك يا وعد أن تحيي حياتي، وأنت تنتظرين أن يأتي عليك يوم تسبين فيه في نل، من وغد بغيض يضمك إلى أملاكه، أتراك تقبلين ذلك؟

أمن العدل، أو العقل أن يخسف بي وأساق لأغتصب، علي مرأى ومسمع من أهلي؟

تيقني يا وعد، أني لم أقترف إثما إذ أحببت وتزوجت ممن أحببت، فهذا عين ما خلق الله قلوبنا من أجله، ولو أن الله أرادنا صم المشاعر، بكم الأحاسيس، ما حبانا قلوبا من لحم ودم، تنبض وتفيض شعورا وإحساسا، اعلمي يا وعد أنني قد أحببت زوجي، وكان العيش من دونه موت محقق، والعيش معه قد يتضمن الموت

قال صاحبنا المعلم، وقد دهش لحكمة غزالة الوضيحي: نعم ما نطقت أيتها الغزالة، وإننا لنرى من بني الإنسان، الكثير من الناس، يظن أن الله قد آتاه صكا، يستعبد به رقاب من كانوا دونه مالا أو قوة، أو يشتري بصكوكة مصائر الناس وقلوبهم

قالت الأميرة حميدة، تظهر إعجابها بفعل الغزالة: أهئك أيتها الغزالة، على ما خصك الله به من مضاء عزم، يند عن الجبال الراسية، وحكمة يتقاتل الناس على مقدار أوقية منها

وبينما كانت الفرقة الخاصة بإنقاذ بلاد القيم، تشيد من فوق بساطها بأفعال مها
الوضيحي وأقوالها، ورجاحة عقلها، وقوة حكمتها، إذا بركاب البساط جميعا تعمر
أنوفهم بروائح ذكية، لم يذوقوا مثلها قبل الساعة

تعجب الجميع، لجمال تلك الروائح، التي تعطر الجو كله، وجعل كل واحد من ركاب
البساط، يملأ خياشيمه من هذه الروائح، وكأنه يريد أن ينال حظا أوفر منها، أو
كأنه يخاف أن تنفذ، قبل أن يختزن من جمالها الكثير بين ضلوعه

صمت أهل البساط جميعا وهم يحصدون حظوظهم، من هذه الروائح الطيبة، وكانت
الأميرة حميدة، أول من شقت بكلامها، حجاب الصمت العطير، فقالت: ما أجمل هذه
الروائح وأذكاها! ليتنا نعرف مصدرها، فننال منه شيئا نحتفظ به ويدوم معنا،
ونمتع أنفسنا وأنوفنا بشمه

قال حارس الأميرة المعلم: لعلنا قد مررنا بمنطقة، فيها قبور بعض أنبياء الله، أو
بعض أوليائه الصالحين، فوجدنا من عطر عظامهم الذكية، وأجسادهم الطاهرة،
مثما وجد رسولنا الكريم ﷺ عندما مر في رحلة الإسراء والمعراج، فوق قبر
سيدتنا الكريمة، ماشطة بنت فرعون

قالت وعد: لا يا سيدي المعلم، إن هذه الروائح، إنما هي روائح جزر واق الواق
العجيبة، قال صاحبنا وقد اخترق العجب، كل ذرة في كيانه فزلزلها: وهل جزر واق
الواق لها وجود في الواقع يا وعد؟ أجابت وعد: نعم يا سيدي، وها أنت تمر فوقها،
وتشم من جمال روائحها

قال صاحبنا المعلم: سبحان الله الخلاق العظيم، لقد قرأت كثيرا عن هذه الجزر
العجيبة، لكن أحدا من الباحثين، لم يجزم بوجودها، على ظهر الأرض أبدا
قالت الأميرة حميدة في شغف كبير: احك لنا شيئا، مما قرأت عن هذه الجزر يا
أستاذي

قال صاحبنا المعلم: إنها مجموعة من الجزر المتجاورة، وقد ذكرت في عشرات
المصادر، والكتب، والمؤلفات، فقد ذكرها الكثير من المؤرخين، والجغرافيين،

والرحالة القدامى، مثل: برزك بن شهريار، وابن عبد المنعم الحميري، والشريف الإدريسي، وأبو الريحان البيروني، والبكري، والمسعودي، وابن المبارك السيرافي، وابن خلدون، وابن بطوطة، والإبشيهي

تعجبت الأميرة حميدة، من كل هذه الكتب، التي ذكرت أخبار جزر الواق واق، ووصفت غرائبها، وقالت: كل هذه المؤلفات ورد فيها ذكر هذه الجزر؟ قال صاحبنا المعلم: بل أكثر من ذلك بكثير، وقد بلغت شهرة هذه الجزر حداً، حتى وردت في كتب الأدب الهندي، والفارسي، والصيني، بالإضافة إلى كتب الأدب الشعبي العربي بالطبع، مثل كتاب ألف ليلة وليلة، وسيرة سيف بن ذي يزن

قالت الأميرة حميدة في حماسة شديدة: لقد اشتقت إلى النزول، على إحدى هذه الجزر، ومشاهدة شيء من عجائبها

قال حارس الأميرة المعلم: انتظري قليلاً يا مولاتي، حتى أطلعك على أخبار تلك الجزر، قالت الأميرة: قل يا أستاذي، فأنا أتلّهُ لسماع تلك الأخبار، قال حارس الأميرة المعلم: على الرغم من ذكر جزر واق الواق في عشرات المؤلفات، إلا أننا يمكننا تقسيم هذه المؤلفات إلى قسمين: القسم الأول من هذه المؤلفات، يؤكد أصحابها، أن هذه الجزر خالية تماماً من السكان ...

وهنا لم تملك الأميرة حميدة، السيطرة على شغفها، فقالت: إذا كانت خالية من السكان، فلا خطر في زيارتها والتجول في أرضها، أرجوك يا أستاذي أن تأمر البساط، فينزل بنا على إحدى هذه الجزر

قال حارس الأميرة المعلم: ألا تنتظرين حتى أخبرك عن القسم الآخر من المؤلفات؟ قالت الأميرة: لا لن أنتظر، وإن كان لذلك ضرورة، فحدثنا أثناء هبوط البساط

أمر حارس الأميرة المعلم البساط الهاللي، أن يهبط بسرعة منخفضة؛ لثقلته أن الأميرة حميدة، ستغير رأيها، بعد أن تسمع عن القسم الآخر من المؤلفات

قالت الأميرة أثناء هبوط البساط: هات ما عندك يا أستاذي، قال حارس الأميرة المعلم: والقسم الآخر من المؤلفات، يزعم أن هذه الجزر مأهولة بالسكان، وأن سكانها جميعا من النساء العرايا، لا يرتدين أي نوع من الملابس، وأن لهذه الجزر كلها ملكة واحدة تحكمها، وهي تجلس على عرشها عارية تماما، مثل بنات شعبها

صدمت الأميرة حميدة لما سمعت: وقالت منكرة ومستنكرة: ماذا تقول يا أستاذي؟ استمر حارس الأميرة المعلم في حديثه فقال: لكن أصحاب المؤلفات كلها بقسميها، يتفقون على أن بهذه الجزر أشجارا عجيبة، تنبت على أغصانها ثمارٌ عجيبة، وثمارها أيضا عبارة عن نساء عرايا، معلقة في أغصان الأشجار من شعورهن، وحين تسقط إحدى هذه النساء، تصرخ فتقول: واق واق، ومن هنا اكتسبت تلك الجزر اسمها

وما إن سمعت الأميرة حميدة، بذكر النساء العرايا، حتى صرخت دون وعي فقالت: إذن اصعد بالبساط ثانية، يا أستاذي، فلا حاجة بنا لزيارة تلك الجزر، ولا وقت لدينا نضيعه في التجوال فيها

ضحك حارس الأميرة المعلم، بصوت مرتفع، على ما قالته الأميرة، ولم يأمر البساط بالصعود، فقد فهم أن الأميرة تغار عليه، من رؤية النساء العرايا، وقد أعجبه ما لمسه من غيرة عليه، من زوجته، وتلميذته، وأميرته الحبيبة ولما رأت الأميرة البساط مجدا في الهبوط، انتفضت واقفة، ومشت حتى وصلت حافة البساط الهلالي، وقالت: إن لم تأمر البساط بالصعود والتراجع، فسوف أرمي نفسي من هنا؛ ليندق عنقي وأموت أمام عينيك

قال حارس الأميرة المعلم، وهو يغالب ضحكاته: أرجوك يا مولاتي لا تفعلي، فعصفور في اليد، خير من عشرة فوق الشجرة، فقالت الأميرة وقد تملكته الغيرة والغضب: حسنا انزل بالبساط مترا واحدا، وسأنفذ تهديدي، وتفقد عصفورك الذي في يدك؛ لتتفرغ لشعب العصافير المعلق فوق الشجر

وعلى الفور أمر حارس الأميرة المعلم البساط بالعلو فعلا، وعادت الأميرة حميدة، وجلست مكانها، وقد خجلت من نفسها مما فعلت وما قالت، ثم غلبتها النظرة إلى أستاذها، وضحكا سويا، وقد أعجبها ما وجدته من مزاح صافي، من زوجها، وأستاذها، وحارسها الحبيب

عجزت غزالة الوضيحي، وابنة تميم، عن فهم أو تفسير ما جرى من الأميرة، ودفع الفضول وعدا، لتستفهم من حارس الأميرة عما جرى، وعن سر تراجع الأميرة عن طلبها بالنزول، إلى جزر واق الواق

نظرت الأميرة حميدة إلى أستاذها، بملء عينيها، ففهم أنها تخجل، من أن يصرح أمام وعد والغزالة، بأمر غيرتها عليه، وأنها تطلب منه أن يجد في المعارض مندوحة عن الكذب

قال حارس الأميرة المعلم: إن حياء الأميرة ذات الشيم، يمنعها من النظر إلى ثمار أشجار واق الواق، فهي ثمار تشبه النساء العرايا، فردت وعد على الفور: وما الضير في ذلك، وهناك من الرواة من يقول، إن النساء العرايا قد عرضن على رسول الله ﷺ في رحلة الإسراء والمعراج، وهن معلقات من أثدائهن في كلاب من جهنم، فقال صاحبنا المعلم على الفور: إنها روايات ضعيفة ومكذوبة على رسول الله، فلا تذكرها ثانية يا وعد، فقالت وعد: أستغفر الله العظيم من الكذب على رسول الله، والتقول عليه

استمر البساط طائرا إلى وجهته، حتى عبر جزر واق الواق كلها، وأبعد عنها، وفجأة، غامت العيون عن وضوح الرؤية، وتلون الجو بلون أخضر شديد الاخضرار، ودخل البساط الهلالي الأخضر، في هذا الجو الأخضر، وامتزج اخضرار الهلال الطائر، باخضرار جو الفضاء المحيط، حتى تلاشت معالم البساط من تحت أصحابنا، فهاجوا وماجوا، وظنوا أن البساط قد زال من تحتهم، وأنهم سيسقطون جميعا على الأرض، فيموتون غرباء، في أرض مجهولة

ارتمت الغزالة على ابنها الصغير تحتضنه، وتحيطه بأرجلها تحميه مما تجهله، وأسرعت الأميرة حميدة قافزة من مكانها، وأمسكت بيد زوجها وهي ترتعد، وقد

خشى أهل البساط جميعا على حياتهم، ما عدا ابنة تميم، فهي الوحيدة من بينهم، التي تعرف جيدا سر هذا الفضاء الأخضر، وهي الوحيدة التي جعلت تطمئنهم وتهدي من روعهم

قالت وعد: اجلسوا في أماكنكم، ولا يفرعن أحد منكم، فنحن في أمان تام والحمد لله، وهذا الجو الأخضر الذي ترونه، إنما هو الهالة التي تحيط بجبل قاف، وإننا سنمر من فوق ذلك الجبل بعد قليل، فاستعدوا لأكبر حدث تاريخي، مررت به في حياتكم

ربت حارس الأميرة، على كتف زوجته، وأجلسها وجلس بجوارها فاطمأنت، ثم قال لوعد: هل تقصدين جبل قاف الأسطوري، الذي قيل عنه: إنه يحيط بالدنيا كلها، كما يحيط السوار بالمعصم، يا وعد ؟

قالت وعد بكل ثقة: نعم، إنه هو، فهل قرأت شيئا عن هذا الجبل يا سيدي المعلم؟ قال حارس الأميرة المعلم: نعم، قرأت عنه الكثير في كتب الجغرافيا القديمة، وبعض كتب التفسير، قالت وعد: فأخبرنا بعضا مما قرأت عنه، لعل أميرتنا تتسلى بحديثك، وتنسى مخاوفها التي تبدو على وجهها

قال حارس الأميرة: لا خوف على أميرتنا، فهي في حفظ الله وكنفه، ثم في حراستي، وسأخبركم بما قرأت عن هذا الجبل، قرأت عن جبل قاف أنه جبل أسطوري فريد من نوعه، وقد ورد ذكره في بعض المؤلفات العربية والفارسية، واسمه عند الفرس (قاف كوه)

وجاء في المؤلفات التي ذكرت هذا الجبل، أنه يقع على حافة الدنيا، محيطا بالأرض كلها، من جميع الجهات، كما يحيط السوار بالمعصم، أو كإحاطة بياض العين بسوادها، وأنه أبو جبال الدنيا كلها، فما من جبل على الأرض، أو في الدنيا، إلا وهو عرق من عروق جبل قاف، متصل به، وراجع إليه

وجاء فيها أيضا، أنه جبل مخلوق من الزبرجد الأخضر البراق، ولعل ذلك سبب اخضرار المنطقة المحيطة به، وهي هالته التي نمر بها الآن، كما قالت وعد

أضاف حارس الأميرة المعلم قائلا: وقيل إن على هذا الجبل ملكا كريما عظيما موكلا به، فإذا أراد الله أن يخسف بقوم أرضهم وجبالهم، أمر الملك الموكل بجبل قاف، أن يحرك عرقا من عروق الجبل، فتنخسف أرض هؤلاء القوم وجبالهم وقيل أيضا: إن هذا الجبل منتهى علم البشر، وآخر ما وصل إليه آدمي قط، وإنه جبل لا يعلم أحد ما يقع وراءه إلا الله، ولم يقدر على الوصول إلى هذا الجبل، إلا الملك العربي اليماني المسلم ذو القرنين، الذي جمع تحت لواء العرب، ملك الدنيا كلها بقرنيها، المشرقي والمغربي، والرومي والفارسي، ولذلك لقب بتبع ذي القرنين

وقيل إن الملك ذا القرنين، تقابل عند جبل قاف، بالملك الموكل بالتحكم في كل جبال الدنيا، وفوق هذا الجبل، دار بينهما حوار طويل جدا، نقلت بعض الكتب القديمة تفاصيله

وقد بلغ جبل قاف من الشهرة حدا، جعل بعض المفسرين يزعم أن في القرآن الكريم، سورة كاملة باسم هذا الجبل، وهي سورة (ق والقرآن المجيد)، وهذا وهم واضح؛ لأن السورة الكريمة، إنما سميت بالحرف العربي (ق)، الذي بدأت به السورة

وما إن انتهى صاحبنا المعلم من عرض تقريره، عن جبل قاف العجيب، حتى ابتدته وعد بقولها: عجيب أمرك أيها المعلم، إذ كيف لك أن تقرأ كل هذه المؤلفات، وتصل بعلمك حتى حدود جبل قاف، كما وصل إليه ذو القرنين بفتوحاته، ثم تقول إنك لم تقرأ حرفا واحدا عن بلاد القيم، والمسافة بين جبل قاف وبلاد القيم، ليست بالاتساع الذي يمنعك من القراءة عنها، وقد أتعبتني كثيرا، حتى اقتنعت بحديثي عن بلاد القيم، وآمنت بوجودها

ابتسم صاحبنا المعلم لفراشته، وقال: أتعبتك لأنني لم أجد ذكرا لبلاد القيم، في كل المؤلفات التي قرأتها، ولعل أحدا من العالمين، لم يأت على ذكرها، بالتصريح ولا بالتلميح في أي كتاب

قالت وعد بثقة: بل إن الكثير من الكتب والمؤلفات، تحدثت عن بلاد القيم، ولقد حوت مكتبة بغداد الكبرى بالعراق، العشرات من تلك الكتب التي وصفت بلاد القيم، ولكن التتار دمروا المكتبة كلها، وأغرقوا الكتب في أنهار العراق؛ ليمحوا بالماء كل أثر لما كتب فيها، وقد علم التتار أن ما ذكر عن بلاد القيم، في تلك المؤلفات، كفيل بالحفاظ على الخلافة الإسلامية إلى يوم القيامة، وأن هذه المؤلفات لو توارثتها الأجيال من العرب والمسلمين، فسوف يعيدون مجد بلادهم، ويقيمون الخلافة الإسلامية من جديد، وكان هم هؤلاء الخبثاء الأكبر، القضاء على تلك الخلافة بلا عودة أبداً، ولذلك طمسوا ما ذكر عن بلاد القيم

قال صاحبنا المعلم، وقد أثار ذكر مكتبة بغداد شجونه: حسبنا الله ونعم الوكيل، فقد خطط التتار، لإعادة المسلمين إلى عصور الظلام الجاهلي؛ ولذلك جعلوا همهم الأكبر تدمير المكتبات، وإغراق الكتب، واغتيال العلماء في كل التخصصات، والتمثيل بجثثهم، وصدق من قال: إن الأمة الإسلامية لم تبتل بداهية، بعد موت رسول الله، أكبر من تدمير مكتبات بغداد

قالت وعد: واستكمالاً لما صنع التتار المتوحشون قديماً، في بغداد من مذابح للعلوم العربية، وكتبها، ومخطوطاتها، ما صنعه بعدهم بسبعمئة عام، والد الترك، بعد إسقاطه للخلافة الإسلامية العثمانية، مثلما أسقط التتار قبله الخلافة العباسية الإسلامية

ففي اليوم الأول من شهر نوفمبر عام ١٩٢٨م، أعلن والد الترك، ثورته على اللغة العربية، وعلومها، وكتبها، وحروفها، وأسمى ثورته بالثورة الحرفية، فألغى استخدام الحروف العربية في بلاده، بشكل كامل، وأمر باستخدام الحروف اللاتينية، لكتابة اللغة التركية، بدلاً من الحروف العربية، ومسح الكلمات العربية من قواميس اللغة التركية، وجعل عقوبة استخدام الحروف العربية بالكتابة أو النطق، الموت والإعدام، واستخدم اليد الحديدية لأجهزته الأمنية؛ لمراقبة الناس في كتاباتهم ونطقهم، ومن ضبط متلبساً بكتابة، أو نطق حرف عربي، كان التنكيل السريع به مصيره

قال حارس الأميرة المعلم: وأكثر من ذلك أن والد الترك، أصدر وثيقة رسمية، تنص على أن "الحروف العربية لن تستخدم إطلاقاً، في أي عملية كتابة للغة التركية، كما أنه لن تعلق حتى أي لوحة تحمل كلمات عربية، وأن الجمهورية التركية ستبذل قصارى جهدها؛ للتخلص من كتب ووثائق الخلافة العثمانية، وسيتم حرق بعضها، وبيع بعضها الآخر"

وبناء على هذا المرسوم الجمهوري من والد الترك، تم الإعلان رسمياً عام ١٩٣١م، عن طرح وثائق ومخطوطات، وكتب الخلافة العثمانية للبيع؛ لأنها كتبت بحروف اللغة العربية، فتولت الحكومة تقطيع هذه الكتب والوثائق، إلى قطع تضم كل قطعة أربعين سطراً عربياً، وبيعت هذه القطع في مزادات علنية، على أنها ورق قديم خردة، يمكن إعادة تدويره، وقد استغرقت عملية بيع هذه الكتب والوثائق والمخطوطات، عاماً كاملاً؛ لضخامة الكمية المعروضة للبيع

وفازت بلغاريا المجاورة لتركيا، بنصيب الأسد من صفقة البيع، فقد اشترت خمسين طناً من الأوراق، ومليون ونصف مليون وثيقة عربية، ولم يتجاوز سعر كيلو الورق والوثائق، عند شرائه، ثلاثة قروش

وبذلك تخلص والد الترك من وثائق الخلافة العثمانية، التي كانت تربط بين تركيا من جهة، والدول العربية في آسيا وأفريقيا، من جهة أخرى وتخلص كذلك مما جمعه الخلافة العثمانية، على مدى تاريخها من وثائق خاصة بتاريخ القدس، وتاريخ الحملات الصليبية على بلاد المشرق العربي والإسلامي، وقد اشترى بابا الفاتيكان، جزءاً كبيراً من هذه الوثائق من دولة بلغاريا، مقابل ملايين الدولارات، وبذلك تم طمس فصل آخر من فصول المذابح التي جرت للعرب والمسلمين على أيدي ملوك الحملات الصليبية الأوروبية

تابعت الأميرة حميدة مصغية، الحوار الدائر بين وعد وأستاذها حتى نهايته، وأفادت منه الكثير من المعلومات، ثم توجهت إلى أستاذها بالحديث، وطلبت منه مطلبين، الأول أن يخفض صوته بعض الشيء؛ لئلا يقلق الغزالة التي نامت وهي تحتضن ولدها، فقد غلبها النوم بعد أن وضعت ذراعيها على ابنها النائم لتحميه، حين دخل البساط الهلالي، في الهالة الخضراء الخاصة بجبل قاف

والمطلب الثاني، أن يحكي لها قليلا عن الملك ذي القرنين، فقد تفاجأت حين سمعت بأن الملك ذا القرنين، ملك يماني عربي مسلم، ولم يخطر بذهنها، وهي تردد اسم هذا الملك كل جمعة، حين تقرأ سورة الكهف، أن يكون عربيا

استجاب حارس الأميرة، لمطلب أميرته الأول، فخفض صوته، ثم شرع يحقق مطلبها الثاني، فقال: يعد الملك ذو القرنين، شخصية شهيرة جدا، فقد ورد ذكره في آداب الكثير من الشعوب، كما ذكر في القرآن الكريم، والسنة النبوية الشريفة، وذكر أيضا في اليهودية، فقد ورد في الكتاب المقدس، في سفر دانيال، اسم ملك صالح، لقب ب (لوقرانائيم) أي صاحب القرنين

وجاء ذكر ذي القرنين، في كتاب ألف ليلة وليلة، وسيرة الملك اليماني سيف بن ذي يزن، وغيرها من كتب الأدب الشعبي العربي

ومن الشعوب التي كتبت ملاحم شعبية، تجسد شخصية ذي القرنين، شعوب الملايو، وهي بلاد إندونيسيا وما حولها، فقد كتبت بلغة الملايو، ملحمة شعبية، بعنوان (حكايات اسكندر ذو القرنين)، وتصف هذه الملحمة، مآثر خيالية للإسكندر ذي القرنين، وتزعم تلك الملحمة، أن ذا القرنين حكم إندونيسيا، وأن حكام إندونيسيا وسومطرة، ينحدرون من صلبه

ويعيب تلك الملحمة، الخلط الخاطئ بين شخصية الملك ذي القرنين العربي، والملك الإسكندر المقدوني، حيث تعتقد الملحمة أن الإسكندر المقدوني، وذا القرنين هما شخص واحد

ولربما يكون الإسكندر المقدوني، هو نفسه من روج الإشاعات، القائلة بأنه ذو القرنين؛ ومن أجل تأكيد هذه الإشاعات، اتخذ لرأسه اليوناني قرني كبش، من النحاس، وزين بالقرنين مفرقه، ويبدو أنه قد سمع بأمجاد ذي القرنين اليمني، فأراد أن ينال شيئاً من شهرته وأمجاده، بتزييف بعض الحقائق

والحقيقة أن ذا القرنين، هو الملك التبعي الحميري اليمني، الصعب بن مرثد ابن الحارث، وهو أعظم فاتح في تاريخ العرب العاربة، من عهد جدهم الأكبر هود النبي عليه السلام

ومما يؤكد عروبة ذي القرنين، ويحدد اسمه ونسبه، ما جاء في خطبة قس ابن ساعدة الإيادي، حين نادى قومه فقال: (يا معشر إياد، أين الصعب ذو القرنين، الذي ملك الخافقين، وأذل الثقليين)

وقد ذكر الهمداني، في كتابه (صفة جزيرة العرب) أن قبر الملك الفاتح، ذي القرنين موجود، في مدينة أبها بأرض الحجاز، وبجوار قبره مسجد قديم الهيئة والطرز، يقال إن ذا القرنين هو من بناه

ومن الحقيقة أيضاً، أن الصعب ذا القرنين، هو الملك العربي الأشهر، من بين ملوك العرب والمسلمين، فهو الفاتح الأعظم الذي فتح بلاد الدنيا كلها، وأخضع العالم تحت راية العرب، وغزا أكثر مما غزا كورش الفرس ودارا، وأكثر مما غزا نابليون الغرب، والإسكندر المقدوني

وعلى حين نشر كورش ودارا، ونابليون والمقدوني القتل والظلم والتوحش في البلاد التي دخلوها، نشر الفاتح العربي ذو القرنين، السلام والأمان ودين الإسلام في الدنيا كلها، حتى غدا العالم كله قرية واحدة مطمئنة آمنة، تحكمها عدالة اجتماعية، تحت راية عربية واحدة موحدة

وقد بشر النبي الأعظم ﷺ أن العالم سيعود، كما كان قرية واحدة مطمئنة آمنة، تحكمها عدالة اجتماعية، تحت قيادة سلسلة من الخلفاء المهديين، يعيدون أمجاد الخلفاء الراشدين

وقد ذكر الله تعالى ذا القرنين، في سورة الكهف، وخصص لذكره، ست عشرة آية من آيات السورة، وقد تأملتُ في تلك الآيات فوجدتها، تشهد لذي القرنين بثلاثة أمور رئيسية، أولها ما كان يتميز به ذو القرنين، من خبرة واسعة، في العلوم العسكرية والحربية، وقيادة الجيوش، ويشهد له بذلك انتصاراته التي قاد فيها جنوده إلى مغرب الشمس، ثم إلى مطلع الشمس، وقد كتب الله له التمكين في الأرض بعد هذه الانتصارات المتتالية

وكذلك خبرته في علوم الاجتماع والتخطيط العمراني، وتنظيم الأمم والمدن، ويشهد له بذلك تنظيمه لكل الأمم والشعوب، التي وحدها وأخضعها تحت سلطانه وكذلك خبرته في علوم البناء والهندسة، والفيزياء والتعدين، والميكانيكا وتكنولوجيا زمانه، ويشهد له بذلك، السد الذي صنعه بهندسة عجيبة وبوحي رباني؛ ليحمي به ممالك العالم كلها، وليسجن به قبائل يأجوج ومأجوج الهمجية، ويمنعها من تمزيق العالم الذي وحده تحت إمرته

وبلغ هذا السد من قوة هندسته، أن ذا القرنين الذي أشرف على بنائه بنفسه، توقع له أن يصمد قائما، قريبا من يوم القيامة، وذلك من دون اللجوء إلى أعمال صيانة للسد، ودون الحاجة للكشف على التغييرات والأعطال التي يمكن أن تصيبه عبر الزمن، وقد استخدم ذو القرنين في بناء هذا السد، أحدث ما وصل إليه أهل عصره، من علوم ميكانيكية وتكنولوجية متطورة، تجعل السد كلما حفر قوم يأجوج ومأجوج، جزءا منه، تتمدد المعادن التي صنع منها السد، لتملأ الفراغ الذي حدث بالحفر فيه، وذلك إلى يوم القيامة، (فإذا جاء وعد ربي جعله دكاء وكان وعد ربي حقا)

والأمر الثاني الذي تشهد به الآيات، ما اتبعه ذو القرنين من سياسات اجتماعية، تقوم على العدل، وتهدف إلى رفع الظلم الاجتماعي، والقضاء على منظومات الفساد، واستغلال السلطة، ثم محاسبة الفاسدين والمفسدين، وقد لخص ذو القرنين سياساته الاجتماعية في قوله: (أما من ظلم فسوف نعذبه، ثم يرد إلى ربه فيعذبه

عذابا نكرا، وأما من آمن وعمل صالحا، فله جزاء الحسنى، وسنقول له من أمرنا
(يسرا)

والأمر الثالث الذي تشهد به الآيات لذي القرنين، انحيازه التام للمدنية والتحضر،
ووقوفه بكل حزم وقوة سدا منيعا، ضد هدم الحضارات، والهمجية، والفوضوية،
واللاعقلانية، التي تمثلها قبائل يأجوج ومأجوج؛ ولذلك حبسهم، وأراح أهل الأرض
جميعا، من ميلهم الغريزي للتوحش، والإفساد في الأرض

ولذلك كله، يمكننا اتخاذ الفاتح العربي ذا القرنين، رمزا للعلم والعدل الاجتماعي،
وبناء الحضارات، ورمزا لحبس الهمجية والتوحش والفوضوية، والرغبة في هدم
الحضارات

وبانتهاء التقرير، الذي قدمه حارس الأميرة لأميرته، بصوت خفيض، عن الفاتح
العربي ذي القرنين، خرج البساط الهلالي الأخضر، من هالة جبل قاف الخضراء،
وعاد إلى الجو الصافي، والشمس الساطعة

هنأت وعد الأميرة ذات الشيم، وحارسها المعلم، بعد خروج البساط الهلالي من
الهالة الخضراء لجبل قاف، وعبوره من فوق ظهر هذا الجبل الأسطوري وقمته،
وقالت: هنيئا لك يا مولاتي الأميرة حميدة، وهنيئا لك يا سيدي المعلم، فأنتما أول
عربيين، بل أول بشر على الإطلاق، يعبران جبل قاف، منذ خلق، ولعل في ذلك
بشارة كبرى، بأن أمجاد العرب التي أسسها الملك ذو القرنين، ستبعث من جديد،
وستدين الدنيا لأحفاد هود وإسماعيل، مثلما كانت في عهده

شكرت الأميرة وحارسها وعدا، على كلماتها وأمنياتها الطيبة، ثم قالت الأميرة
حميدة، وقد لاحظت شدة حرارة الشمس، بعد عبور هالة جبل قاف: هل بقيت مدة
طويلة على بلوغنا أرض القيم يا وعد؟

قالت وعد: لم يبق إلا ساعة واحدة بإذن الله تعالى، ونهبط سالمين في بلاد القيم،
قال حارس الأميرة المعلم: إذن نصلي الظهر في بلاد القيم، إن شاء الله تعالى

هلت أعراف بلاد القيم الجميلة، وزكت بأثوف أصحابنا عليل نسيمها، ورقة جوها،
فأنستهم جمال أعرافها ما وجدوه من جمال روائح جزر واق الواق، فإن روائح
العري والعهر، لا تقارن بأعراف وروائح الأخلاق والطهر
أعلنت وعد بنت الأمير تميم الأمجد رسميا، وبكل فرحة مرت يوما على الدنيا، عن
دخول بساطهم، المجال الجوي لبلاد القيم، وظهرت من الأعلى الدائرة الجبلية التي
تحيط بأرض القيم، وهي مجموعة من الجبال المتلاصقة، متعددة الألوان، فمنها
الأسود ومنها الأبيض، ومنها الأخضر، ومنها الأحمر القاني، والأحمر الغنابي

ولما وقعت أعين أهل البساط، على ألوان هذه الجبال المتداخلة، انعقدت في
رؤوسهم الخيالات تترى، وامتألت بالتفكير في مباحج هذه البلاد العجيبة، وازداد
تحفز شوقهم شغفا لرؤيتها، وما هي إلا بعض لحظات، حتى كانوا يقفون بأقدامهم
على أرضها، يحمدون الله على سلامة وصولهم، ويرددون كلمات الأذان خلف
صوت المؤذن، الذي بلغهم من جهات عدة، يعلن دخول وقت صلاة الظهر

أشارت وعد على الأميرة ذات الشيم، وحارسها المعلم، أن يتركا الحقائق حيث هي
في الحديقة، التي هبط على أرضها البساط، وأن يسرعا للوضوء والصلاة، في
مسجد صغير كان يقف في ناحية من نواحي الحديقة

استجابت الأميرة وحارسها المعلم لما قالته وعد، ومشيا حتى دخلا مسجد بلاد
القيم، فوجداه مسجدا بسيطا، يشبه تماما الوصف الذي سجله العلماء والمؤرخون،
لمسجد النبي الذي بناه حين هاجر إلى يثرب

كانت جدران المسجد من الأحجار والطوب اللبن، يربط بينها طين متماسك، وكانت
أعمدة المسجد من جذوع النخيل، وغطاؤه من سعف النخيل، وقد فرشت على
حصباء أرضه، أجزاء من الحصر العتيقة، وعلى يسار محراب القبلة، يقف جذع

نخلة قصير، يبدو أنه منبر الخطابة، وهو ما يذكر بجذع النخلة، الذي حن شوقاً لرسول الله، حين حرم من ملامسة أقدام النبي الشريفة

وكان المسجد بالجملة، صورة مصغرة للمسجد النبوي يوم بنائه، ولا يزيد عليه في شيء، سوى وجود نبع ماء رقيق، عند مدخل المسجد، مجهز للوضوء، وهذه الحصر الذي فرشت على الأرض

توضأت الأميرة ذات الشيم، وحارسها المعلم، من نبع الماء، ثم أعاد حارس الأميرة رفع أذان الظهر، وكانت هذه المرة الأولى، التي يسمع فيها صوت الأذان ينطلق من هذا المسجد، ويتهادى بين جنبات بلاد القيم وأركانها

وبعد الأذان مباشرة أقام الصلاة، ووقف حارس الأميرة في محراب القبلة، يصلي إماماً بأميرة بلاد القيم، وهي تقف خلفه، تأتم بفعله، وتردد خلفه التكبير

وبعد الصلاة والأذكار والتنفل، خرج حارس الأميرة المعلم، وإلى جانبه أميرته المصفاة المهندبة، عائدتين إلى حيث تركا الحقائق

ابتسمت وعد حين رأت الأميرة، وحارسها المعلم، عائدتين من المسجد، وقالت: لقد عمرتما مسجدنا، عمر الله قلوبكما بالإيمان، فقالت الأميرة وحارسها المعلم في صوت واحد: اللهم آمين

قالت وعد: سبحان الله، لقد خطر في ذهني الآن، لدى عودتكما من صلاة الظهر، أن أول صلاة صلاها رسول الله ﷺ بالمسلمين، بعد عودته من رحلة الإسراء والمعراج، هي صلاة الظهر أيضاً، فيا له من قدر عجيب، واتفاق غريب، قال حارس الأميرة المعلم: ذلك من فضل الله علينا

قالت وعد: والآن هيا بنا، ندخل إلى منزل الأميرة حميدة ذات الشيم لنستريح، ولكن علينا أن نطوي البساط الهلالي، ونخبئه في مكان آمن

قال حارس الأميرة المعلم: هذه مهمتي أنا، سأطوي البساط، وأخبئه في مكان سري، حتى لا يخرج أحد من هذه البلاد، من دون إذن مسبق مني

هبط أهل البساط، بفضل من الله، على أرض القيم سالمين، وكان الجميع سعيدا بهذا الوصول، فالغزالة قد خلصت إلى مكنن حصين لها ولابنها، وحارس الأميرة المعلم، قد فاز بفوزين، الفوز الأول منهما المساعدة في إصلاح، ما فسد من أخلاق البشر

والآخر منهما، الفوز بنعيم القرب من الأميرة حميدة خاتون، لتكتحل عيناه في كل وقت بروية أميرته التي يحبها، وذخيرته التي يحرسها، ولعله يظفر بفرصة تسنح له، يبيت فيها لأمرته، ما ألم به من تباريح الهوى، وما اضطرم واحتدم في فؤاده من نار الجوى

وأما الأميرة، فقد نالت غاية السعادة؛ لأنها ستؤدي دورا خلقت له، وخليقا بها، فستنقذ بجهودها، الأخلاق والقيم في نفوس البشر، وتحيي في دواخلهم إنسانيتهم وإيمانهم بربهم، ثم لأنها ستكون قريبا من زوجها المعلم، وفي كنف رعايته وحراسته

سعد الجميع لأسباب يراها جديرة بإسعاده، لكن وعدا بنت تميم الأمجد، كانت أشدهم سعادة فقد نجحت في مهمتها، وعادت إلى موطنها، ووفت بعهدا الذي قطعه على نفسها، أمام أبيها، قبل انطلاقه بشعبه، إلى الجهاد في رباط الشام ومن شدة فرحة وعد، بالعودة إلى وطنها، والوفاء بعهدا، جعلت تسأل أصحابها، عن آرائهم، فيما يرون وما يحيط بهم من آيات الجمال في موطنها

والحقيقة أن الجميع، قد شدهوا حقا بروعة جمال ما يرون، فأذاقهم هذا الجمال لباسا من شديد التعجب والإعجاب، وعقد ألسنهم، واستملك حواسهم، وخلق لبهم، واستغلق أفهامهم، فشغلوا عن الإجابة على سؤال وعد، وصرفهم عن الكلام صارف، إلا عن التسبيح والتمجيد للخالق على بديع صنعه، مما لا تحيط به ريشة ساحر، ولا قافية شاعر، ما بين حمرة أزهار، وخضرة أوراق، وزرقة جمام وغدران، وصفرة حصباء

وبعدما طافت عيون أصدقائنا، ونهلت من جمال هذا المكان، رغبوا في الاستراحة، والتخفف من وعثاء السفر، فمئذ وصلوا، وهم وقوف يتجولون
أرشدت وعد أصحابها، إلى منزل يتوسط تلك الحديقة تماما، وتحيط به أشجار الحديقة الكثيفة، من جميع الجهات، ماعدا الجهة الأمامية للمنزل، حيث يمتد ممشى يقود إلى باب المنزل، وعلى جانبي الممشى، تصطف بعض أشجار الحديقة في شموخ، عالية رؤوسها إلى السماء، وكأنها حراس شداد، قد وكلوا بحفظ المكان، وحماية قاطنيه

كانت جدران هذا المنزل، تتخذ من جذوع النخل القوية أعمدة وعضدا، ومن خشب الأشجار سقفا محفوظا، ولم تكن الروائح الزكية المنبعثة من أخشاب السقف هي أغرب ما في المنزل، فمن العجيب أيضا أن صنوف من الزهور الملونة، قد نمت فوق الجدران، وأهدت المكان عطرها بضاعة، يذوق بأرجائه، وهذا ما لاحظته أصدقائنا فور دخولهم هذا المنزل، الذي تناغمت وتزاوجت فيه وجوه الجمال، وتضافرت له أسباب الكمال

قطعت وعد ما جرف الأميرة وحارسها والغزالة من دهشة، بقولها: هذا المنزل قد شيد منذ خلقت هذه البلاد؛ لتقيم فيه الأميرة ذات الشيم، يوم يحين لها الحضور إلى هنا، وهذا أول يوم تفتح فيه أبواب هذا المنزل الكريم

وفور دخوله استكشف حارس الأميرة المعلم المكان، فلاحظ أن المنزل يتألف من غرفتين رئيسيتين، ويفصل بينهما متسع كبير، وبعد أن أجال حارس الأميرة نظره في جنبات المنزل، واطمأن إلى خلوه مما يخافه على الأميرة قال: لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا، فهلم لنخلد إلى النوم؛ لنستيقظ قبل صلاة العصر

استحسن الجميع ما قاله الحارس المعلم؛ فلقد قضوا نهارا طويلا متعبا في سفرهم، وما هي لحظات، حتى أدخل حارس الأميرة المعلم حقيبته في الغرفة التي إلى يمينه، وعاد ليدخل حقيبة الأميرة في الغرفة الأخرى، فوجدها قد حملتها إلى الغرفة التي إلى يمينها، واستأذنت الغزالة للراحة تحت ظلال أشجار الحديقة مع صغيرها، أمام باب المنزل

ورغم إصرار حارس الأميرة المعلم، وإلحاح الأميرة عليها أن تشارك أحدهما البقاء معه في غرفته، خرجت الغزالة إلى الحديقة مع ابنها؛ لتستريح أمام باب منزل الأميرة، وربما قد خطر في ذهنها البريء، أن تنال الشرف والخلود، بحراستها لمدخل منزل أميرة بلاد القيم، كما نال كلب أهل الكهف المكرم الشرف والخلود، بإقامته على مدخل باب الكهف، وحراسته للفتية الموحدين المهيدين الراشدين

خرجت الغزالة من المنزل، وجلست بجوار صغيرها على الأعشاب النضرة أمام باب المنزل، في ظلال بعض الأشجار، ومدت رقبتها على الأرض وألصقتها بها

لقد تنحت الغزالة المسكينة بنفسها وابنها جانبا، علها تجد في هواء الحديقة المنعش، ما يخفف من لواعج حشاها، ولقد وجدت في الحديقة خير منفرد؛ لتسبل الدمع من عينيها، رثاء لمن فقدته منذ ساعات قليلة

لقد تمكنت المسكينة، من تكميم صرخات دموع عينها طوال الرحلة، حتى إذا خلت بنفسها، أطلقت العنان لصاحبتها، فانهمل الدمع، وانهمر ساخنا يجري من عينيها، اللتين أنشد الشعراء آلاف الأبيات في الحديث عن جمالهما، وتشبيه عيون المحبوبات باتساعهما

يالشقاوة هذه البقرة الوحشية الجميلة، لقد وجد الالتياح خير سبيل إليها، فاستقر في نفسها، وفتك بعينيها، وبعد أن عاشت زمنا ترفل في أسباب النعيم مع محبتها وزوجها، إذا بيد الأيام، وقد نالت من قلبها، فأفقدتها أعز من ألفت، وخير من عرفت، فأصبحت الساعة وحشية حقا، ومن شدة وحشتها تشكو الوحشة

بكت المها العربية، على أنيسها الذي ضحى بنفسه، فأضحى في بطن ذئاب تكالبت عليه قتिला، وتركت لها في جوفها المذبوح، جرحا يشبه القلب، جرحا لن يندمل فيكون قلبا، ما مرت عليه الدهارير

وبالرغم من جوع جوفها المكلوم الشديد، إلا أن فقد الأحبة، لم يترك لها بقية من شهية، ولكنها تدرك في نفس الوقت أنها مضطرة للأكل البغيض إلى جوفها، حتى تدر على رضيعها شيئا من لبن

كفكت الغزاة دمعها، وابتلعت شيئا من آلامها، واعتذرت لزوجها بصوت مرتفع عدة مرات، ثم فتحت فمها بكل صعوبة، تريد أن تنال شيئا مما يحيط بها من أعشاب زكية الرائحة

تذوقت الغزاة، بعضا من الأعشاب المحيطة بها، وما إن امتزج طعم العشب بريقها، حتى شعرت بحلاوة هذا العشب، واختلاف طعمه عن كل عشب ذاقته يوما في حياتها، وشعرت بشعورين مختلفين صادقين، أولهما الرغبة في الاستزادة، من تناول هذا العشب اللذيذ، والآخر نسيان الحزن والهم، بالتوازي مع مضغ هذا العشب ودخوله جوفها، وكان الشعور الثاني سببا قويا، ومحفزا للشعور الأول، فأكلت الغزاة من العشب حتى تخمت، وامتلا ضرعها باللبن، فشرب منه صغيرها حتى تخم هو الآخر

وبعد أن شبع الغزاة من طعامها، ونسيت جميع همومها، وأرضعت صغيرها، ثم اطمأنت إلى نومه، نامت من جديد وهي تحتضنه، كما فعلت في الجو، فوق البساط الهاللي

وبين جدران المنزل الذي نامت الغزاة أمام بابه، والتحمت بابنها الجريح، كانت الأميرة تستعد للخلود إلى النوم في غرفتها، على سريرها الذي لا يختلف في شيء عن أي سرير آخر، سوى هذه الزهور الملونة التي تحيط بأخشابه، وتنبت فيها

وقد لاحظت الأميرة الزهور الكثيرة، التي تنمو في أرجاء كل مكان، فهي تتدلى من سقف منزلها، ومن سقف المسجد، وينمو بعضها على جدران المنزل والمسجد، وظنت حين رأتها أول مرة، أنها للزينة ولتعطير المكان، ولم تكتشف أنها وسيلة الإضاءة في هذه البلاد، إلا حين جن على بلاد القيم الليل، وصلت الأميرة مع حارسها الصلوات الليلية، على أضواء الزهور التي تتدلى من سقف المسجد

وبينما كانت الأميرة تستريح من السفر في غرفتها، كان حارسها المعلم في غرفته، قد أنهى للتو حديثه مع الفراشة وعد، عن أختيها رغد ورعد، اللتين ستصلان قريباً، من أداء المهمة التي كلفتهما بها وعد وما إن أوى حارس الأميرة إلى فراشه، حتى انتابه تفكير كبير في مصير الأميرة، فهي زوجته التي وعد أباهما بحمايتها من ناحية، وهو يعلم أن الأميرة تمثل أمل الكون كله، من ناحية أخرى، وقد أدرك حارس الأميرة المعلم بطبيعته الحذرة، وبذكائه الحاد، أن تمثيل الأميرة لآمال كل الكون، يعني أهمية دورها من ناحية، كما يعني تضاعف الأخطار التي قد تصيبها من ناحية أخرى، ولا يعني خلو الرحلة من الأخطار حتى الآن، أن الأمور ستجرى على تلك الوتيرة المطمئنة تلاعبت هذه الهواجس برأس حارس الأميرة المعلم، فقدر أن المخاطر قادمة لا محالة، لكنه كان يجهل مصدرها، فلم يكن يعلم أن المخاطر ستأتي إلى بلاد القيم طائفة مع رغد ورعد، ابنتي الأمير المجاهد تميم الأمجد

تجلى صباح اليوم التالي كامل الإشراق بأنواره، يبذر ذهبها بسخاء، في جوانب بلاد القيم، وفي هذا الصباح المنير، استيقظت الأميرة تغالب بنور وجهها نوره، ثم خرجت من منزلها تتهادى، فوجدت وعدا قد سبقتها إلى الحديقة؛ ترشف من رحيق زهورها الندي، فألقت الأميرة على وعد تحية الصباح، وحيثها وعد بقولها : صباح الخير يا مولاتي

أرادت وعد أن تطمئن على حال الأميرة، فسألتها إن كان نومها هائنا، فقالت الأميرة: الحمد لله، كان هائنا، وسألت الأميرة بدورها وعدا، بعد ذلك عن حارسها المعلم، فقالت وعد: إنه ما يزال نائما في غرفته، منذ عدتما سويا من المسجد، بعد صلاة الفجر

ظنت وعد أن الأميرة، تريد حارسها المعلم لأمر ما، فاقترحت أن توقظه، لكن الأميرة أمرتها، بأن تدعه يتم نومه، وبعدها عرضت وعد على الأميرة التجوال في أرجاء البلاد؛ للتعرف عليها، فوافقت الأميرة ممتنة

تعرفت الأميرة من وعد، التي تولت الشرح، على كل شيء في بلاد القيم تقريبا، وزارت مع وعد الحقل الذي تزرع فيه الأخلاق، ورأته خربا، إلا من حطام وهشيم تذروه الرياح، ورأت كذلك قنوات المياه، التي تنتشر في أماكن متفرقة من الأرض؛ لتغذي حقول الأخلاق، وقد تغير حالها، بعد موت زهور الأخلاق، فأسن ماؤها، وتغير لونها وريحها

سألت الأميرة وعدا، عن الجبال الشم المنيعة، والمرتفعات التي تحكم الإحاطة بالبلاد من كل جهة، فأخبرتها وعد عن فائدة تلك الجبال فقالت: إن الله تعالى قد أبدع في منعة هذا المكان، حفظا له من عبث العابثين، ذوي المرض في قلوبهم، فهذه الجبال تفصل أرض القيم عن الخارج، كما أنها تمنع وصول ما قد يضر، بزهور الأخلاق من ملوثات، أو أي شيء مؤذ، قد يجد طريقه إلي أخلاقنا وقيمنا، فيعبث بها

وسألت الأميرة كذلك، عن مسكن صغير بدا لها من بعيد، وحوله حديقة كمزحل
الأميرة، لكنها حديقة أصغر في المساحة، قالت وعد: إنه مسكن من سيقمن بخدمتك
يا سيدتي الأميرة، فقد أرسلت أختي رعدا ورعدا؛ لاستقدام من يتشرف بخدمتك
قالت الأميرة: ومن أخبرك عني، أني أحب أن يخدمني أحد، قالت وعد: هذا شأن
الأميرات أمثالك في كل زمان ومكان، يا سيدتي، فلا بد من وجود من يراعي
شئونهن، ويسهر لراحتهن، فتتفرغ الأميرات للأمور العظام

قالت الأميرة في شيء من الضيق: حسنا لست أحتاج، لمن أتعبه لأستريح، قالت
وعد: يا مولاتي أنت اليوم، أهم إنسان على وجه الأرض، وببيدك وحدك مفتاح
سعادة العالم، أفيضن عليك مليارات من البشر، الذين تتفضلين عليهم بإنقاذك
لأخلاقهم، ويخلون عن تقديم فتاة أو اثنتين، لخدمتك ولتسلية قلبك

شعرت الأميرة حميدة، ألا فائدة من محاجة وعد، فأثرت أن تنهمك في تطوافها،
وأن تستأنف وعد اطلاعها على المكان، وتراجعت الأميرة حميدة بعد هذا الحوار،
عما عازمت عليه من نهى وعد، عن مناداتها بلقب الأميرة، وبكلمات من مثل
سيدتي ومولاتي

كان حارس الأميرة المعلم، يجلس مع الغزالة في الحديقة، يراقب صغير الغزالة مع
أمه، وينتظر عودة الأميرة من تجوالها، وكان ظبي الوضيحي قد التأم قليلا جرحه،
غير أنه لم يصبر حتى يندمل، فانطلق يركض ويدور، وقد رضع الأمان حول أمه،
والعشب العجيب من ضرعها، غير مستجيب لندائها وتحذيرها المتكرر له، بأن
يكف عن الركض، حتى لا تتأذى قدمه، بل مضى فرحا، يحتفل بنواله حريته
الكاملة، في هذا المكان الجديد

نهض حارس الأميرة المعلم، مسرعا نحو الأميرة وهي مقبلة عليه، ونظراته عالقة
بها لا تفارقها، وأخذ يقترب منها يتأملها، وهي تبسم له، وهو يهمس لنفسه أنا
قتيل هذه البسمة الندية، وأسير صاحبها

وبعد التحيات، بادرت الأميرة حارسها قائلة: نوما هنيئا يا أبا الأبطال، قال حارس
الأميرة المعلم، رادا علي مزحتها: وأي بطولة حزتها؟ قالت الأميرة: لقد تفوقت

علينا فاستيقظنا قبلك، وصحوت بعدنا، قال حارس الأميرة المعلم: أنتم الأبطال إذا،
فأنتم السابقون ونحن اللاحقون

تبسم الجميع من هذا المزاح الصافي بين الزوجين، ثم إن وعدا قالت: فلندع
أحاديث البطولة جانباً، ولنذهب لتناول الطعام، فقال حارس الأميرة المعلم: أنا من
سيجهز الطعام، قالت الأميرة: هذه عقوبة ملائمة على تأخرك في النوم يا أستاذي،
قال حارس الأميرة المعلم: بل هي خير مكافأة، ولا أعدل بها شيئاً
قطف حارس الأميرة المعلم، بعض ثمار الفاكهة الطازجة، من أشجار الحديقة
الغناء، وغسلها في الغدير، وقدمها محنيا قائلاً: "تفضلي يا مولاتي الأميرة"
فابتسمت ذات الشيم من إطرانه، وشعرت بشيء من الخجل، لكنها أقبلت على
الطعام بكل أريحية

دار بين أصدقائنا حديث أثناء الطعام، عن تجوال الأميرة صباحاً في أرجاء المكان،
وقصت الأميرة على مسمع حارسها المعلم والغزالة، ما رأت، وأكملت وعد بالشرح
والتوضيح، ما لا يتم إلا به الواجب

وبينما هم يديرون راح الحديث بينهم، وتتناوب البسمات حلوة على شفاههم، إذ
لاح في السماء من بعيد، شيء جذب انتباه حارس الأميرة المعلم، فقال لمن حوله:
انظروا إلى السماء، إنه بساط هلالى، مثيل للذي ركبناه إلى هنا

فقالت وعد: إنهما أختاي قد حضرتا، قال حارس الأميرة المعلم: رغد ورعد، قالت
وعد: نعم، قالت الغزالة: يظهر هناك فراشتان وفتاتان على البساط، ردت وعد: لا بد
أنهما خادمتان جنن لخدمة الأميرة ذات الشيم، انتظروا قليلاً؛ لنعرف من هما هاتان
المحظوظتان المكرمتان، من بين مليارات البشر، بخدمة الأميرة

حاذى البساط أصدقاءنا، وهبط أرضاً، فنزل من فوقه فتاتان، قد اصطبغتاً بدل
الناعم المتنعم، يحلق فوق رأسيهما فراشتان، تشبهان كل الشبه لوعد، لكنهما
أصغر حجماً منها، ما يدل على أنهما أصغر منها عمراً، وما إن نزل أهل البساط من
عليه حتى اختفى كأن لم يكن

أسرعت وعد ترحب وتسلم على أختيها، وجعلن يتبادلن الأشواق وذم الفراق، ويتبادلن التهنة على النجاح في مهماتهن جميعا، ورحبت الأميرة وحارسها المعلم بالضيوف، ثم أن وعدا سألت أختيها عن شخصية الفتاتين، فقالت رعد: فلتعرب كل واحدة منهما عن نفسها

تقدمت فتاة تخجل البدر يوم افتخاره، وهي حاسرة الرأس، ممشوقة القوام، وتبدو العجمة في شقرتها، ولون عينيها وملابسها، وصوت لسانها، وكلها دلائل تحدد انتمائها إلى بلاد الغرب

سلمت الفتاة الأوروبية، على الأميرة ذات الشيم، وصرحت الفتاة عن نفسها قائلة: أنا الأميرة بياض الثلج، أميرة بلاد الغرب، قالت الأميرة ذات الشيم في دهشة وذ هول: هل أنت بياض الثلج التي يحفظ قصتها الأطفال في كل دور الأرض، فأومأت الفتاة أن نعم

قالت رعد: إنها نعم الاختيار يا مولاتي ذات الشيم، فهي ساحرة عقول شعوب الغرب، ومعبودة قلوبهم، وأعظم بطلة في بلاد حكاياتهم، والجميع هناك يجلبها ويركع لها، ولكنها آثرت خدمة مولاتي ذات الشيم، عن كل جاه وسلطان

ثم تقدمت الفتاة الأخرى، وكانت مخايل النعيم الشرقية تبدو عليها، فهي تضع على رأسها حجابا، تكاد نقوشه تنطق روعة وبهاء، وقد حسرت حجابها عن خصلات من شعر فاحم كالليل البهيم، وفي جيدها من الجواهر الكثير، وتفوح منها عطور شرقية لا تخطئها أنف

مدت الفتاة الشرقية، يدا إلى الأميرة ذات الشيم مسلمة، وهي تقول أنا الملكة شهرزاد، زوجة الملك شهریار، وبطلة كتاب ألف ليلة وليلة، قد جئت راجية أن أنتظم في سلك خدمة مولاتي أميرة بلاد القيم، فقالت الأميرة ذات الشيم: معاذ الله أن تخدمني، أو تخدمن أحدا غيري، أيتها الأميرات العظيمات، وما أنتن إلا أنيساتي مدة إقامتي هنا

شكرت الخادمتان للأميرة ذات الشيم تواضعها، وقلن ما معناه: إن خدمة مولاتي ذات الشيم شرف، ما يداني سموه شرف، وتاج يأتلق فوق جبيننا، نزدان به طوال العمر، ورضاك يا مولاتي عين المنى، وغاية المرام، فأنت السيدة ونحن الجواري، لا ننهض بأمر دونك، ولا نسعى ما حيينا إلا لمرضاتك

أعجب الجميع بإطراء الخادمتين على الأميرة ذات الشيم، وأعجبوا بتنميق بياض الثلج لكلماتها، وبفصاحة شهرزاد، ورشاقة لفظها، حاشا الأميرة ذات الشيم وحارسها، فقد كرهت الأميرة ذات الشيم أن يتملقها أحد، غير أنها لم تظهر ما يكدر الترحيب بالأميرتين

أما حارسنا المعلم، فقد شك في بواطن الأمور، ولم يطمئن قلبه للخادمتين، منذ علم أن إحداهن أميرة، والأخرى ملكة، وأنهما ذواتي أحساب وأنساب، قد خلفن وراء ظهورهن نعيما، وملكا كبيرا، وسافرن عبر الزمان والمكان، وجئن لخدمة من لم يعرفنها، أو حتى يبصرنها يوما

جال في خاطر حارس الأميرة، حول الخادمتين كل ما يريب، وقدر أن المخاطر قد أطلت برأسها، لكنه خشي من أن يكون ما اعتقده بشأنهما نوعا من الظلم، فقال لنفسه: فلنصبر ولنر ما يصير منهما، ثم نحكم على أغراضهما الحقيقية، فوحدها الأيام ستتكفل بسبر أغوار نفسيهما

وبناء على هذا خاطر الحذر، عزم حارس الأميرة من لحظتنا، أن يضاعف الحماية للأميرة ذات الشيم، خوفا عليها وعلى مهمتها، وأن يخفي البساط الهلالي الذي وضعه في غرفته، فهو الوسيلة الوحيدة للهروب من تلك البلاد، لمن يقدم على ارتكاب شر فيها، بعد أن اختفى البساط الهلالي، الذي حضرت به رغد ورعد والخادمتان

اقترحت الأميرة ذات الشيم، على الخادمتين اللجوء إلى منزلها؛ لنيل قسط من الراحة، غير أن الخادمتين أسرعتا في الاعتذار للأميرة ذات الشيم، وتحججتا بأنهما تريدان المضي إلى مسكنهما، حتى يرتبن أغراضهما اللاتي جاءتا بهما، وكانتا قد علمتا من رغد ورعد، خلال الرحلة أن لهما مسكنا خاصا بهما

سمحت الأميرة ذات الشيم للخادمتين بالانصراف، على أن يحضرا في المساء للتسامر والمؤانسة، فقبلتا شاكرات، واصطحبت وعد الخادمتين إلى مسكنهما؛ لتستريحا من وعثاء الترحل والسفر عبر البلاد والأزمنة

ظل حارس الأميرة المعلم، يلوذ بالصمت، وينصت جيدا لما دار بين الخادمتين والأميرة من حوار، وكان يراقب كلامهما وحركاتهما بعيني بصير، ويسجل عليهما أنفاسهما؛ يحاول أن يكشف ما وراءهما، فمنذ وقف على شخصية الخادمتين لم تتوقف الشكوك في صدره، ولم تنطل عليه أحاجيهما ولا حججهما، لكنه لم يشأ أن يُقلق الأميرة ذات الشيم بما يعتمل في عقله وقلبه، وعزم على أن يشحذ انتباهه؛ ليكون متيقظا جيدا لأفعال هاتين الخادمتين، وليقف لهما بالمرصاد وبسوط العذاب، لو جاءتا شيئا نكرا

قطع صوت الأميرة ذات الشيم، فكر حارسها المعلم، وهي تناديه وتسأله عن سبب جلوسه صامتا، فقال لها: لا شيء، كنت فقط أفكر كيف استطاعتا رعد ورغد إحضار الخادمتين إلى هنا، وكيف عبرتا حدود الزمان والمكان، حتى وصلتا زماننا ومكاننا

قالت الأميرة ذات الشيم: معذرة يا أستاذي القدير، لكني مستاءة بشدة، أن تلقب الأميرة بياض الثلج والملكة شهرزاد بالخادمتين، وإني أخشى أن تتأذيا من ذلك، فهما ربيبات قصور ملك وسلطان

ابتسم حارس الأميرة المعلم، في وجه أميرته ذات الشيم، ولم يجد شيئا يرد به على براءتها، وبدلا من أن يرد على أميرته، توجه بالحديث إلى رعد ورغد، وقال لهما: أخبراني كيف وصلتما إلى بياض الثلج وشهرزاد، وهما شخصيتان من نسج الخيال، ولا ينتميان إلى واقعنا أو زماننا، ولماذا لم تحضرا أحدا غيرهما

قالت رغد: لقد جننا بهما من بلاد الخيال والحكايات، وأنا صاحبة فكرة إحضار خادمتين من بلاد الخيال والحكايات، فلقد بحثت وأختي رعد حتى أضلنا البحث في زماننا، عن فتاة تصلح لأن تطوق جيدها، بشرف خدمة الأميرة ذات الشيم، ولعلك يا سيدي قد وقفت على أخلاق فتيات هذا الزمان، فهز صديقنا رأسه أن نعم

واستمرت رغد في حديثها، وهي تحاول أن تجيب عن أسئلة حارس الأميرة المعلم، فقالت: سافرنا إلى الماضي، وتجاوزنا حدود الزمان والمكان، وفتشنا طويلا، فلم نجد أليق ممن أحضرنا لخدمة أميرتنا ذات الشيم، فهما أميرتان من ذوات المجد المؤثل، ولهما كبير باع، وبعيد شأو في ذبوع الصيت والاشتهار، في مشارق الأرض ومغاربها

سأل حارس الأميرة المعلم: وكيف انتقلتما من الماضي إلى اليوم، فصمتت رغد، وتولت رعد الجوابا

قالت رعد: لقد سافرنا بهذا البساط الذي رأيتنا نركبه حين حضرنا، قال حارس الأميرة المعلم: وأي طريق سلكتما في ذهابكما وفي عودتكما، قالت رعد: كان بساطنا قادر على التنقل بين الأزمان، مثلما كان قادرا على التنقل بين الأماكن، وهذه خصيصة لهذا البساط، المخلوق لهذا الغرض

عن لحارس الأميرة هنا سؤال آخر، فقال: وهل كانت شهرزاد على معرفة سابقة ببياض الثلج؟ قالت رعد: لا يا سيدي، لم تر أي منهما الأخرى، إلا على ظهر البساط، ونحن في طريق العودة، فهذه من بلاد، وهذه من أخرى قالت رغد: يا سيدي، لقد مررنا بشهرزاد أولا، ثم عرجنا على بياض الثلج، وهي في غير بلاد وزمان شهرزاد، فشهرزاد من الشرق، وتلك من الغرب

هدأ قلب حارس الأميرة المعلم قليلا، لما عرف أن الخادمتين، لا تعرفان بعضهما البعض، وخفت الصوت الذي كان يحذره، من أن الخادمتين ستسعيان لتحكيكا مؤامرة، أو شيئا يُكره، للأميرة ذات الشيم

تدخلت الأميرة ذات الشيم في الحوار فقالت: وما الحكمة في إحضار أميرة من المشرق، وأخرى من المغرب؟

قالت رعد: لخدمة مولاتي الأميرة، قالت الأميرة ذات الشيم: لم أسأل عن الهدف من إحضارهما، بل أسأل لأي غرض تطوفين وأختك البلاد، ثم تأتين بأميرة من طرف الدنيا، وأخرى من الطرف الآخر؟

قالت رعد: ليعلم الجميع بأن جزءا من حق الأميرة ذات الشيم، أن تُخدم من أهل المشرق والمغرب جميعا، وأضافت رعد: لكن أميرة من المشرق، وأخرى من المغرب قد تفيان بالغرض، وتنوبان عن سكان العالم في الوفاء بهذا الجزء، من حق مولاتي أميرة بلاد القيم

وبعد استطالة، قصر الحديث بأصدقائنا، واستأذنت الأميرة ذات الشيم، لتدخل غرفتها، فانفرط عقد الحضور، وذهب حارس الأميرة إلى غرفته، وطار رعد ورعد إلى الحديقة، حيث الغزالة وصغيرها يلهوان، فقد رغبت الفراشتان الصغيرتان في زيادة التعارف، مع الصغير وأمه؛ ليزداد التآلف والأنس، وتقضيان وقتا في اللعب مع الطيبي الصغير

وصلت وعد مع الخادمتين إلى مسكنهما، وهناك هال منظر المسكن الخادمتين، وشعرتا بصدمة قوية، وخيبة أمل أشد قوة، لدى دخوله، فقد احتقرت كل منهما في نفسها ما وقع عليه بصرها، من أثاث خشبي غير مرصع بجواهر، ولا مصفح بذهب، ولا مزدان بنقوش، ومن بسط وفرش كلها زهيدة التزيين على قلتها، إلا أن كل خادمة منهما كتمت كمدّها عن وعد، وعن شريكها في لقب الخادمة

قالت وعد: ما رأي الأميرات في هذا المسكن الجميل؟ إنه مشابه تماما لمنزل الأميرة ذات الشيم، من حيث تصميم الغرف، وما تحويه من أثاث، فهو مكون من غرفتين، وكل غرفة بها دورة مياه مجهزة، ونظام الإضاءة هنا بالزهور المضئية، التي تتدلى من أرجاء السقف، وتعمل وتنطفئ بالأمر المباشر من ساكن الغرفة، والفرق الوحيد، بين هذا المسكن ومنزل الأميرة ذات الشيم، أن منزل الأميرة أكثر اتساعا، فهي أميرة البلاد بالطبع

قالت بياض الثلج: إنه بحق مسكن جميل، أضافت شهرزاد: المهم أن نكون على مقربة من الأميرة ذات الشيم، قالت بياض الثلج: نعم نكون قريبين منها؛ لنتمكن منها . . أقصد لنتمكن من خدمتها، ونسرع لنجدتها، إذا ألمت بها ملمة قالت وعد: لا تقلقي أيتها البطلة الشجاعة، فهذه البلاد مباركة، ومحفوظة بأمر الله، ولن يحدث بها سوء

قالت شهرزاد: لو لم نعلم أن الله يحفظ هذه البلاد، ما تجشمتنا عناء الرحيل إليها، قالت وعد: أعدكما أنكما لن تندما على ما ستقضيان هنا من أيام، قالت بياض الثلج: نعم لن نندم أبدا، قالت وعد: والآن استريحا قليلا؛ لنتقابل عند الأميرة ذات الشيم ليلا، لنسمر معها، ونتجهز لأعمال الغد

انصرفت وعد، وتركت الخادمتين تموج نفس كل منهما، بالتبرم والحنق، لكنهما سكبتا هذا التبرم والحنق، على ثغريهما بسمات مفتعلات

حاولت الملكة شهرزاد، التغلب على شعور المهانة الذي غصت به، عندما رأت نفسها، قد استبدلت بقصر مشمخر تعلو له شرفات، رفعت في رؤوس رضوى وقدس، بيتا من خشب لا يليق بأحقر وصيفة في قصرها، فقالت لبياض الثلج: لقد أخبرتك بقصتي في طريقنا إلى هنا، وجاء دورك لتحكي لي قصتك، كما وعدتني، يا بياض الثلج، فتشاءبت بياض الثلج، مخادعة تراوغ، وقالت: ليس الآن يا شهرزاد، سأذهب للنوم

أجالت بياض الثلج، نظرها سريعا في الغرفتين، اللتين يتألف منهما المسكن، ثم قالت بعد أن اختارت أحسنهما، وهولت نحوها، تسحب صندوق ملابسها الضخم: سأختار هذه الغرفة، التي إلى يميني، وأنت تختارين الغرفة التي إلى يسارك دلفت بياض الثلج إلى غرفتها، التي استأثرت بها، وأوصدت الباب، مخلفة شهرزاد في مكانها، يتزاحم العجب واستغرابها في رأسها، من حديث بياض الثلج، إذ كيف تفرض عليها بياض الثلج الغرفة، وتزعم أنها تركت لها حق الاختيار؟ بيد أنها لم تجد بدا من اختيار ما خلفت بياض الثلج، فقنعت به اختيارا

عادت وعد إلى حديقة منزل الأميرة ذات الشيم، وانفردت ناحية بأختيها رغد ورعد، وهنأتها من جديد على نجاحهما في مهمتهما، ثم طلبت أن تحكي كل واحدة منهما ما فعلته، وما حدث معها منذ رحلا عن بلاد القيم، وحتى عادا مع خادمتي الأميرة ذات الشيم

بدأت الأخت الوسطى رغد الحديث، فقالت: لقد خرجت طائرة في سماء الكون مع أختي رعد، حتى وصلنا إلى أرض الأرواح فافترقنا

وفي أرض الأرواح، بحثت عن مجمع أرواح المصريين خاصة، وفتشت بين أرواح المصريين قديما وحديثا؛ لاختيار لجنة تحكيم عادلة، تختبر بطلات الحكايات الشرقية، في بلاد الخيال الحكايات، فلم أجد بين أرواح المصريين خيرا من أعضاء الثالوث الفرعوني المقدس، ومنشأ حكايات الشرق القديم الملك أوزوريس وزوجته الملكة إيزيس، وابنه الملك حورس

ثم خرجت من بلاد الأرواح، وبصحبتى لجنة التحكيم الشرقية، وطرنا جميعا حتى وصلنا بلاد الخيال والحكايات، ودخلنا أرض الحكايات الشرقية، وهناك أعلنت لجنة التحكيم الملكية عن مسابقة لبطلات الحكايات الشرقية، لاختيار من تصلح منهن لخدمة الأميرة ذات الشيم، أميرة بلاد القيم

وضع الملوك الثلاثة ثلاث قوائم منفصلة، تشتمل كل واحدة من تلك القوائم على مواصفات، وشروط محددة، يجب توافرها فيمن ستنال شرف خدمة الأميرة ذات الشيم

كانت القائمة الأولى من وضع الملك أوزوريس، وهي قائمة دينية وعلمية، في نفس الوقت

والقائمة الثانية، من وضع الملكة إيزيس، وتشمل الطهارة والنظافة، وطريقة الملبس، وأدوات الزينة والإتيكيت الاجتماعي في المناسبات الاجتماعية المختلفة، الحزينة والسعيدة

والقائمة الثالثة، من وضع الملك حورس، وهي قائمة ثقافية سياسية، تشمل في جزئها الثقافي المعلومات العامة، واختبارات الذكاء والفراسة، وتشمل في جزئها السياسي، أسئلة عن أفضل الطرق للتعامل مع الشعوب ، سلما وحربا وكانت المنافسة شديدة بين الأميرة ذات الهمة، والملكة الزباء، والأميرة زرقاء اليمامة، وليلي الخيلية، والملكة منية النفوس الأمازونية، زوجة الملك سيف ابن ذي يزن، بالإضافة إلى أميرات حكايات الصين، والهند، وفارس، والترک، والکرد، والصقالبة

وفي النهاية وقع اختيار اللجنة على الملكة شهرزاد، بطلة كتاب (ألف ليلة وليلة) فقد حصلت تقريبا على أعلى الدرجات في جميع اختبارات القوائم الثلاثة، وتفوقت في نظر لجنة التحكيم على منافستها، الملكة منية النفوس بنت الملك العبوس، زوجة الملك سيف بن يزن اليماني التبعي، التي ورد ذكرها في سيرته الشعبية المشهورة

أكملت رغد قصتها فقالت: بعد اختيار لجنة التحكيم النهائي، والإعلان عنه رسميا في بلاد الخيال والحكايات الشرقية، عادت أرواح الملوك الثلاثة إلى حيث تنتمي، وانتظرت حتى انتهت الملكة شهرزاد من توديع زوجها وأولادها، وشعبها وأحبابها، ثم حملت أنا الملكة شهرزاد على بساط سحري، وفي الطريق إلى بلاد القيم، تقابلنا مع أختي رعد تطير ببساطها، ومعها الأميرة بياض الثلج، فانضمنا إلينا على بساطنا، وتلاشى بساطهما في الهواء، وجئنا إلى هنا، ولا تزال بقية من الدموع في عيني الملكة شهرزاد، حزنا على فراق أهلها وبلادها

قالت وعد: هنيئا لك النجاح، ونعم ما فعلت يا رعد، ثم توجهت وعد بالحديث إلى أختها الصغرى رعد، فقالت لها: وأنت يا رعد أخبرينا بما فعلت، وما جرى معك من أحداث

قالت الفراشة رعد: أما أنا فقد كانت مهمتي البحث عن أفضل بطلة في الحكايات الغربية، تصلح لخدمة مولاتي الأميرة ذات الشيم، وقد وصلت إلى أرض الأرواح مع أختي رعد، ثم افترقنا فذهبت هي إلى أرض الأرواح الشرقية، وبالتحديد أرواح

المصريين، وانطلقت أنا إلى أرض أرواح الغرب، وبحثت عن أفضل فريق، ليكون لجنة التحكيم في مسابقة (اختيار أفضل بطلة غربية لخدمة مولاتي ذات الشيم)

وكانت مهمني أكثر صعوبة، من مهمة أختي رغد، فقد يسرت رغد الأمر على نفسها حين اختارت لجنة التحكيم من بقعة واحدة، ومن بيت وأسرة واحدة، لكنني آثرت أن أكون أشد حذرا، وأردت أن أضمن نزاهة لجنة التحكيم التي أختارها، خوفا من التلاعب بنتيجة المسابقة، فقررت أن أختار أعضاء اللجنة، من أزمان وبلدان مختلفة

فاخترت العضو الأول من عصر اليونان القديم، وهو الشاعر هومريوس، مؤلف ملحمتي الإلياذة و الأوديسا، ومن العصر الروماني الشاعر فرجيل مؤلف ملحمة الإنيادة، ومن عصر النهضة الأوربي الشاعر الإنجليزي جون مليتون، مؤلف قصيدة الفردوس المفقود

وقد وضع كل شاعر من أعضاء لجنة التحكيم الثلاثة، قائمة تشمل مواصفات ومحددات خاصة، لاختيار من تمثل الغرب، في خدمة أميرة بلاد القيم، وكانت المنافسة حامية الوطيس بين الفارسة جان دارك، وذات الرداء الأحمر، وأليس، صاحبة العجائب، والأميرة جوليت محبوبة روميو، والأميرة هيلين، التي اشتعلت بسببها حرب طروادة، وآلاف الأميرات والملكات، اللاتي جاء ذكرهن في قصص وحكايات جميع الأقطار الغربية في مختلف الأزمان

وقد وصل إلى المرحلة النهائية للمسابقة، الأميرة بياض الثلج، والأميرة سندريلا، وتساوت نتائج ودرجات كل منهما، غير أن لجنة التحكيم، رأت اختيار الأميرة بياض الثلج، لتمثيل الغرب في خدمة الأميرة ذات الشيم، وتفضيلها على سندريلا

وقد ذكرت اللجنة في حيثيات حكمها، أن من سيمثل الغرب، وسينوب عن الشعوب الأوربية، في خدمة الأميرة ذات الشيم، يجب أن يحظى بأعلى درجات العظمة

والتشريف، وهو الشرط الذي ينطبق على الأميرة بياض الثلج دون سندريلا، فهي تنحدر من سلالة ملكية نبيلة الدم، فأبوها ملك، وأمها ملكة، وزوجها أمير

وأكدت اللجنة أن سندريلا، وإن كانت قد تساوت في الدرجات مع الأميرة بياض الثلج، إلا أنها وضعية النسب والأصل، فهي ابنة مزارع عادي، ورجل عامي من عامة الشعب، ولا يشفع لها زواجها من أحد الأمراء

ولذلك جاء حكم لجنة التحكيم النهائي، باتفاق جميع الأصوات، باستبعاد سندريلا من نهائيات سباق المنافسة على نيل شرف خدمة الأميرة ذات الشيم، وحرمانها من المساعدة في زراعة الأخلاق ببلاد القيم، واختيار الأميرة بياض الثلج، التي رأت اللجنة أنها ستمثل الغرب بحضارته ومعتقداته وسلوكياته خير تمثيل، وهو ما ستفشل فيه سندريلا لا محالة

قالت وعد: وماذا فعلت بعد إصدار الحكم النهائي للجنة التحكيم، قالت رعد: شكرت أعضاء اللجنة الشعراء الكرام، فانصرفوا إلى بلادهم وأزمانهم، وحملت الأميرة بياض الثلج على بساطي السحري، وجئنا إلى هنا راشدات

جددت وعد الشكر لأختيها على ما بذلتا من مجهود وباركتهما، ثم طلبت منهما الذهاب للنوم والراحة

سرت غيمة الليل تكتنف الوجود، وتلتهم أضواء الشمس، واحدا تلو الآخر، وجاء ميعاد اللقيا في منزل الأميرة ذات الشيم، فحضرت الأميرة بياض الثلج والملكة شهرزاد، تتهادى كل منهما في مشيتها، يكاد يقتلها لولا تشدها الكسل، والعطر من أردانهما شمل

هشت الأميرة ذات الشيم لرؤية الضيفتين، ورحبت بهما، وانعقد الشمل بحضور الجميع، وكانت الأميرة ذات الشيم أول متحدثة، فطلبت من بياض الثلج أن تقص على مسامع الجلوس قصتها، التي اشتهرت عنها، وغدت بها أسطورة تناقلتها إلى أقصى الدنا ألسن الركبان وكتبهم

بدأت بياض الثلج سرد قصتها، فحكّت في زهو عن دمها النبيل النقي، وأصلها الملكي الفاخر، ثم ذكرت أمها التي ماتت حين مولدها، وتحدثت عن أبيها الذي تزوج من امرأة متغطّسة بعد وفاة أمها، وعن زوجة أبيها التي ما إن علمت أن بياض الثلج تجملها حسنا، وتبرعها كمالا وبهاء ووضاعة، حتى احتالت لقتلها، فقررت إلقاءها في الغابة المظلمة، وابتعثت معها إلى الغابة من وكلته لقتلها، وانتزاع قلبها؛ لتطعمه والدها الملك في غفلة منه، لكن القاتل رق لحال الطفلة بياض الثلج فلم يقتلها

ثم انتقلت بياض الثلج، للحديث عن حالها مع الأقزام السبعة، إلى نهاية قصتها الجميلة، ومقابلتها للأمير الوسيم الذي أحبها، فاقتص من أجلها من زوجة أبيها الساحرة الشريرة، وحطم مرآتها السحرية

وأسرفت بياض الثلج، في وصف مظاهر البذخ والترّف، وصناديق الذهب التي أنفقت في حفل زفافها على الأمير الذي أنقذها وتزوجها، وأخضع الشعوب التي يحكمها تحت أقدامها، وأسرفت كذلك في وصف ما غمرها مع زوجها من بحور السعادة والنعيم، وقد استمرت هذه السعادة وذلك النعيم، حتى حضرت الفراشة رعد، إلى بلاد الخيال والحكايات، قسم الحكايات الغربية، وهي تحمل في جعبتها

عرضا تاريخيا أسطوريا، بخدمة الأميرة ذات الشيم، أميرة بلاد القيم، ويصحبها أعضاء لجنة التحكيم الثلاثة

ثم تطرقت بياض الثلج، وأطالت أحاديثها في منة، عما قدمت من تضحية بحبها للأمير والقرب منه، وتركها بلادها وزمانها، ومالها ونوالها، لتحضر إلى بلاد القيم، وقد اختارت فراق زوجها وأهلها وأحبابها؛ من أجل التشرف بخدمة أميرة القيم، والمساعدة في إنقاذ البشرية، وزراعة الأخلاق والقيم من جديد

قالت الأميرة ذات الشيم: هذا بالغ لطف، وعظيم تفضل منك، أيتها الأميرة، ونحن جميعا نشكرك على إخلاصك، والله كفيلا أن يعوضك، خير الجزاء، لصنيعك هذا المعروف

ثم توجهت الأميرة ذات الشيم بالحديث، إلى الملكة شهرزاد، وطلبت منها ما طلبته من بياض الثلج، فتهيات شهرزاد للدخول في طقوس السرد الذي تتقنه، وتشتهر به ويشتهر بها

أخذت الملكة شهرزاد، هي الأخرى تفخر بمثل ما فخرت به بياض الثلج قبلها، فحكت عن هناء عيشها في قصور أبيها، صاحب منصب الوزير الأول للبلاد، وتحدثت عن عشرات الملوك والأمراء، من العرب والفرس، والروم والهند، الذين سمعوا بجمالها وسحر بيانها، فتقدموا لخطبتها، ووصفت ما سيق من هؤلاء الملوك والأمراء من فنون الأموال، وما بذل تحت أقدامها من مهور وهدايا، لولا رفضها الزواج، وتمنعها عن الأزواج

ثم انتقلت الملكة شهرزاد، للحديث عن قصة زواجها بالملك شهريار، وتحدثت عن جهازها الضخم الذي أعده أبوها الوزير لزواجها، وهو جهاز لم يُر ولم يُرو أن له ندا، ولا قريبا من بعض نده

وتحدثت شهرزاد عن فتوة زوجها شهريار، وقوة جيوشه، ورباطة جأشه في الميدان، ثم وصفت كل أسباب النعيم التي خلفتها وراء ظهرها، لتؤثر على ذلك المثول بين يدي الأميرة ذات الشيم، جارية مطيعة، وخادمة للبشرية

كان الجميع ينصت في اهتمام بالغ، وتأثر مفرط لحديث الخادمتين، حاشا حارس الأميرة المعلم، الذي اغتاز من كل كلمة جاءت على لسان الخادمتين

وقد خيل إلى حارس الأميرة المعلم، أن الملكة شهرزاد، كانت تمعن النظر إليه، لحظة ذكرها لأموال أبيها وزوجها وذهبهما، ووصف ما يملكانه، وما يتحكمان فيه من ممتلكات وبلاد وعبيد وقصور، وكأنها تبلو وقع حديث المال علي مسامعه، لكنها لم تظفر سوى بتقطيب وجهه الغضوب دائما، وشذر لحظه الذي يوشك أن يتساوى مع قوة البرق

أما باقي الحاضرين، فكان يروقههم الحديث جدا، حتى غزالة الوضيحي، قد أعجبت بأدب الخادمتين الجم، وأخلاقهما التي استنبطتها من خلال سماع قصتهما، التي لم تسمعها من قبل، وقالت الغزالة في اقتناع تام: نعم من أحضرت رعد ورغد لخدمة الأميرة ذات الشيم، إنهما لأميرتان كاملتان، وإنهما حسان من خيار الحسان

لم يستطع حارس الأميرة المعلم، أن يبتلع سؤالا كان مريرا جدا في حلقه، ومريرا جدا جرى على لسانه، فقد تفاجأ الجميع، بعد طول صمت منه، يقول بلهجته الصعيدية المغضبة للخادمتين: أرى أن كل منكما أميرة بلادها وزمانها، فما يحملكما على ترك كل ذلك وراء الظهر، والسفر إلي بلاد لم تألفاها، لخدمة أميرة لم تعرفاها؟؟!!

أثارت عبارات حارس الأميرة المعلم، موجة من مختلف المشاعر في نفوس الخادمتين، أما بياض الثلج، فقد لمعت عيناها، وقد رأت في حارس الأميرة ذات الشيم حذرا لا يستهان به، ويجب الحرص منه؛ لأنه كفيل بقلب سحرها عليها، وتعطيل خططها، إن لم تتدارك أمرها، خاصة أن صمته المطبق زرع في قلبها الخشية من أن تؤتى على غفلة، من قبل هذا الشاب كبير الرأس مرتفع الأنف،

لكنها لم تنطق بكلمة واحدة للرد على سؤال حارس الأميرة، وآثرت أن تحسب كلماتها قبل كل شيء، وأن تسمع من رفيقتها الخادمة الشرقية أولا

أما شهرزاد فقد رمقت حارس الأميرة المعلم بنظرة واسعة، وحاجب مزجج، وابتسامة عريضة، وكادت تنطق قائلة: لقد ازددت إعجابا بك، فوق إعجابي، أيها الحارس الغضوب اليقظ، لكنها لم تنطق بكلمة واحدة أيضا

وسريعا استدركت الأميرة ذات الشيم بلباقتها الأمر، فنطقت بكلمات مجاملات، حاولت بها أن تدير بها دفعة الحديث، وتعالج حرجه، فقاطعتها بياض الثلج بقولها: عذرا يا مولاتي ذات الشيم، لكني أحب أن أجيب عن سؤال أستاذك، عن سبب تركنا لأوطاننا وأهلنا، والسفر إلي هنا، فقالت لها الأميرة ذات الشيم: تفضلي

توجهت بياض الثلج، إلى حارس الأميرة المعلم، بوجهها الأوروبي الأشقر، وقالت: لقد سافرنا إلى هنا يا سيدي المعلم، علما وإيمانا منا بأهمية الأخلاق، وبواجبنا نحو رعايتها، حتى يتبدل حال ما فسد من أخلاق الناس، وتعود البشرية إلى طبيعتها الإنسانية، فقالت الأميرة ذات الشيم لبياض الثلج: نحن نثق في ذلك تمام الثقة أيتها الأميرة

آثرت الأميرة ذات الشيم، أن تغير موضوع المناقشة، حتي لا يحتدم النقاش، فيتأزم الموقف، واقتрحت ذات الشيم، طرح قضية علمية للمناقشة، على أن يدلوا كل واحد من الحاضرين بدلوه في هذه القضية، فوافق جميع الجلوس على هذه الفكرة، وطلبوا من الأميرة ذات الشيم، أن تختار هي القضية التي تراها مناسبة، فقالت الأميرة ذات الشيم: أريد منكم جميعا الإجابة عن السؤال الآتي ما أخطر شيء في الحياة؟

أومأت الأميرة ذات الشيم إلى حارسها المعلم، الذي كان يجلس إلى يمينها أن يفتح الإجابات عن سؤالها، لكنه اعتذر عن الحديث، فأشارت الأميرة ذات الشيم إلى

الغزاة، فأجابت على الفور بقولها: أعتقد أن أخطر ما في الحياة هو الحب، وهو أجمل ما في الحياة في نفس الوقت، إذ هو عاطفة يستحيل بها المخلوق من النقيض إلى نقيضه، فربما كان أحدهم غضوبا بطئ الفيء، فإذا ما خالط الحب شغاف قلبه، أصبح لين الجانب، سهل العريكة، حنين الفؤاد

ثم تكلمت وعد، فقالت: أخطر ما في الحياة، هو الهم والحزن، فهما كفيلا بنقض بنيان الجبابرة والعتاة، فإذا تمكن الحزن من أحد، قض مضجعه، ولوث فكره، فإذا أخو الحزن كجذع النخلة الخاوية، أو كريشة في مهب العواصف تتقاذفها، أو تهوي بها الريح في مكان سحيق

واتفقت رغد ورعد، على أن الظلم هو أخطر ما في الحياة، لأنه متى وقع على إنسان، يهدم حياته من أساسها، ويدفعه دفعا، لأن يملأ قلبه بالكراهية والحقد، والرغبة في الانتقام، وإلى إزاحة هذا الظلم، لكائن أضعف منه في بعض الأحيان وكذلك اتفقت رغد ورعد، على أن خير رد على الظلم، هو الجهاد والمقاومة ضد الظالم الباغي، ولو تكلف المظلوم في سبيل رد الظلم حياته وروحه، وذكرنا أن والدهما الأمير تميم الأمجد، قد وهب حياته وحياة شعبه؛ لرد الظلم ومقاومته بالجهاد والاستشهاد، ولذلك خرج بشعبه في سبيل الله تعالى، قاصدا أرض الرباط بالشام، وقد استجاب لدعوته جميع أفراد شعبه بلا استثناء، ثقة في قيادته، وإيمانا بشرف الموت في مواجهة الباطل

ثم جاء دور شهرزاد، فقالت: أرى أن اللسان هو أخطر وأقوى الأشياء جميعا، فمتى سلط على أحد أهلكه، ومتى حفظه صاحبه، وتمكن منه، كانت به نجاته، وكيف يدخل المرء الجنة - وهي سلعة الله الغالية - دون أن يتقي مهاوي اللسان ومزالقه، والمرء بأصغريه قلبه ولسانه

أضافت شهرزاد: والكلمة أخطر وأقوى سلاح على وجه الأرض؛ لأنها تخرج من اللسان الذي هو أخطر وأقوى الأشياء على وجه الأرض، والكلمة إذا انطلقت من اللسان تجري عليه كالماء من فم السقاء، وإذا استدارت لتعود - وهيئات لها

العودة - تغدو كجمل السفينة الضخم المفتول، إن أراد أن يلج في سم الخياط،
فالكلمة قد تجرح جرحا لا يندمل، وقد تداوى جرحا لا يندمل

أما بياض الثلج: فقد كان رأيها أن العقل هو الأخطر؛ لأنه المسيطر على
الموجودات، وإليه المحتكم من الأنام في جلها وجليها، وقضها وقضيضها، وبه
تقوم الحضارات، وعليه التكلان في تحقيق الغايات، والعقل فقط ما يستحق أن
يحترم ويكرم، الإنسان من أجله؛ لأنه منبع التفكير والحيلة، وبالحيلة تبلغ ما تريد،
وبالحيلة يلين لك الحديد

توجهت أنظار الجميع إلى الأميرة ذات الشيم، بعد أن أدلوا بدلائهم، وسألوها عما
تعتقد، فأجابت بأنها تستصوب رأي غزالة المها العربية؛ لأن القلب إنما خلقه الله
للحب، فيجب استخدامه فيما خلقه الله، وبالحب تتداوى أخبات قلوب، ما وسع ابن
كلدة، ولا أبقرط حيلة لها ولا دواء، وقد تعلمت ذلك من حكمة هذه الغزالة البيضاء
الجميلة التي تجلس أمامكم

استمر الجلوس في سمرهم هذا، حتى منتصف الليل، وكان حارس الأميرة المعلم،
قد اعتزل جمعهم مبكرا، وذهب لينام، ولكنه رقد على فراشه ولم ينام، وسمع عبر
جدار غرفته كلام الجميع، فأثارت عبارات زوجته الأميرة، ما في أكبادها من لواعج
العشق والهوى

وخيل إليه أنه ينظر صورة أميرته المصفاة، لا يحجبه عنها مصمت الجدران،
وتمنى لو أنه كان أمام الأميرة ذات الشيم، وهي تنطق بهذه الكلمات؛ ليختلس النظر
إلى عينيها، يفتش فيهما عن تعنيه بهذه الكلمات، لكنه يعرف خجلها وحياءها
الشديد، وأنها ما كانت لتنبس ببنت شفة من هذه الكلمات، لو كان يقف أمامها، أو
يجلس إلى جوارها

ابتسم حارس الأميرة المعلم، وهو يتقلب في فراشه؛ لأنه أدرك أن الأميرة لم تنطق
بهذه الكلمات، إلا بعد انصرافه من أمامها، ولعلها قد مدت صوتها بما خجلت أن
تقوله أمامه؛ ليتمكن صوتها من اختراق جدران المنزل، فيبلغ مسامع معلمها،
وزوجها وحبيبها الحارس

ونام حارس الأميرة المعلم مبتسما، ولم يدر ما جرى في نهر حديث السمر، فبعد كلمات ذات الشيم، التي رسمت البسمة على وجهه قبل نومه بلحظات، لم تبلغه كلمة واحدة أخرى، فلم يسمع جواب الخادمتين على سؤال الأميرة ذات الشيم، عندما سألتهما: هل سمعتما عن بلاد القيم شيئا من قبل مقابلة رغد ورعد؟

وقد أجابت بياض الثلج بالنفي، لكن شهرزاد أجابت بالإثبات، وقالت: لقد قرأت في كتب الأقدمين من روم وفرنس وهنود وحبشان ما يبشر بميلاد فتاة، تملك بلادا تزرع فيها القيم، وأن للفتاة في هذه الأرض الحكم والأمر، ومن سيكون من رعية هذه الفتاة، فقد أسعفه القدر بحظ عظيم، وقد قرأت أيضا عن بلاد الرذائل، التي يزرع في أرضها الشيطان أقبح الصفات وشرها

قالت وعد: نعم هذه البلاد تنافس بلادنا، على نفوس الخلائق، وقد استولت بعد موت زهور القيم، على نفوس المليارات من بني الإنسان، فحري بنا السرعة في إعادة غرس أخلاق وقيم بلادنا، حتى نعود بالخلق متآلفين متحابين، كمثّل الجسد الواحد

قالت الأميرة ذات الشيم: ومتى يكون ذلك؟ قالت وعد: في صباح الغد إن شاء الله تعالى، قالت الأميرة ذات الشيم: قد حري بنا إذا أن نستريح ما بقي من عمر هذه الليلة، حتى نتفرغ للعمل الجليل غدا، وكان هذا إعلان عن فض اللقاء، فعاد الجميع إلى مكان نومه؛ استعدادا لعمل الغد

جاء الصباح بشيرا بخير يوم، يوم تعود للأخلاق سدتها وسيادتها، كم كان يوما بهيجا حقا، ومبهجا حقا !! فالشمس مشرقة، والطير صادحة، والجو صحو، والكون مزدان بثوب جمال جميل، كأنه قد ادخره لهذا اليوم، وهذه المناسبة، ولم لا يكون كذلك، وهو يوم الفتح الأعظم الذي ينتظره أهل السموات والأرضين

استيقظت الأميرة ذات الشيم، مبكرا في هذا اليوم الاستثنائي، لكنها قد وجدت أن حارسها المعلم، قد بكر عن تبكيرها، وسبقها إلى الحديقة؛ لأنه لم ينم منذ صلي الفجر معها، لكنها غفت قليلا بعد الصلاة، ثم خرجت من غرفتها تسابق الطير في بكورها

كان حارس الأميرة المعلم، يجلس إلى جوار الغزالة، وكان الحديث شيقا يبدو بينهما، فحارس الأميرة المعلم، يتكئ على ذراعه، وينصت في اهتمام لمحدثته الغزالة الحكيمة

قالت الأميرة ذات الشيم: صباح الخير، رد حارس الأميرة المعلم والغزالة في صوت واحد: صباح الخير يا مولاتي، وغير حارس الأميرة من هيئته، واعتدل احتراما للأميرة

وما إن لمح ولد الغزالة الأميرة تخطو في الحديقة، حتى جرى نحوها في خفة ورشاقة، فلما وصل عند أقدام الأميرة ذات الشيم رفعته عاليا، وقبلته بين عينيه، وقالت: صباح الخير أيها الجميل، واحتضنته وهي تربت عليه

ثم نظرت الأميرة إلى الفراشات، اللاتي أقبلن من داخل المنزل، يتصايحن صيحات ممزوجة بالضحكات، وبعد أن ألقين تحية الصباح على الجميع، قالت وعد: هذا هو اليوم الذي عشنا طويلا ننتظره، اليوم سنقوم بزراعة الأخلاق من جديد، ونعيد الرونق لبلاد القيم، بعد أن درست، واندثرت آياتها، فهل أنت مستعدة يا سيدتي الأميرة، قالت الأميرة ذات الشيم بكل شغف: أنا على أتم الاستعداد يا صديقتي وعد

قالت رعد: علينا أن نصلح أرض الزراعة، أولاً وقبل كل شيء، قال حارس الأميرة المعلم: بحماس شديد مشمرا عن ساعديه: لا تقلقي يا رعد، فهذه مهمتي، وسأقوم بها خير قيام، فأنا رجل مزارع ابن مزارع، قالت وعد: بعد الإفطار نذهب جميعا إن شاء الله تعالى

قالت رعد: أين شهرزاد وبياض الثلج؟ قالت وعد: حقا أين هما؟ لما لم تحضرا حتى الآن؟ قالت الأميرة ذات الشيم: وماذا تريدان منهما؟ قالت وعد: لقد جاءتا لخدمة مولاتي الأميرة، ولا يحق لهما التخلف عن واجبهما، أو التراخي عما جاءتا من أجله، قالت الأميرة ذات الشيم: اتركيهما لتستريحا، فلعل النصب قد حط رحاله في أجسادهما، من طول السهر ليلة أمس

قالت رعد: ومن سيقوم بتجهيز الطعام الآن؟ قالت الأميرة ذات الشيم: أنا سأقوم بذلك، قال حارس الأميرة لأميرته: أنا طوع بنانك يا مولاتي الأميرة، ردت الأميرة في خجل شديد: العفو يا أستاذي، إن هذا كرم خلق أشكرك عليه، لكنني قد ضقت ذرعا بهذه الهالة من التقديس، التي تضعونها ربقة في رقبتني، أشعر أنني لم أعد حميدة الفتاة البسيطة، التي تعودت على خدمة نفسها

قالت وعد: لكن يا سيدتي أنت الأميرة في بلاد القيم، وما هما إلا خادمتان، ومن شأنهما وواجبهما خدمتك، قطعت الغزاة كل قول بقولها: لا داعي للتخاصم، فها هما قد أقبلتا

نظر الجميع، فرأوا شهرزاد كأنها تهرول في مشيتها، وتتبعها في ببطء بياض الثلج، وهي تمسك ذيل ثوبها بيدها؛ خوفا عليه من أن يمس الأرض تحدثت شهرزاد لدى وصولها، فاعتذرت عن التأخير، لكن الأميرة ذات الشيم قالت لها، وهي تبش في وجهها: لا داعي للاعتذار، أيتها الملكة، وهيا بنا معا نجمع بعض الفاكهة طعاما للإفطار

تقدمت الأميرة ذات الشيم زميلتيها، إلى بعض أشجار الفاكهة بالحديقة، ومكث حارسها المعلم مكانه؛ ليزف أميرته بنظره، فقالت وعد: أرى عينيك تخرجان من

مقلتيك، أيها المعلم، فلما لا تمنحها إياهما، وتستريح من مطاردتها ببصرك أينما ذهبت

كان حارس الأميرة المعلم، خائفا على أميرته من توغلها بين أشجار الحديقة، مع الخادمتين، اللتين لم يرتح لأي منهما قلبه، منذ وطأتا أرض القيم، ولكنه أخفى قلقه عليها، وقال لوعده: يا سليطة اللسان، كفي عن إثارتي ومضايقتي، قالت وعده: لا أقصد شيئا يغضبك، لكني أسألك هل تقبل أن تذهب الأميرة بنفسها لإحضار الطعام؟ قال حارس الأميرة المعلم: لا والله، ولكم وددت لو أنها تجلس غير أنها تأمرني فأطيع

بعد قليل ظهرت الفتيات الثلاث، يحملن الفاكهة الناضجة في أيديهن، فأسرع حارس الأميرة المعلم إليهن بإناء، وضعن فيه ما في أيديهن، ثم قال: سأذهب لغسلها، قالت شهرزاد: انتظر فسأذهب معك لأساعدك، فرماها حارس الأميرة بنظرة ضجرة، وقال: ولكني لم أشك إليك عجزا حتى تساعدني

كسا الحرج وجه الملكة شهرزاد فأطرقت، غير أن الأميرة ذات الشيم، حاولت كعادتها، أن تعالج الأمر بدبلوماسية، فقالت وهي تمسك بيد الملكة شهرزاد: لنا أن نجلس هنا أيتها الملكة، ونترك هذا الشاب ليتم دوره، فقد انتهينا من جمع الفاكهة، وسيكون عليه غسلها

هدأت شهرزاد بعض الشيء، وأجلستها الأميرة ذات الشيم عن يمينها، وجلست بياض الثلج عن شمال الأميرة ذات الشيم

وبالرغم من نجاحها في التخفيف من حدة هذا الموقف، إلا أن الأميرة ذات الشيم لم تقدر على فهم أو تفسير موقف أستاذها الغاضب من الخادمتين دائما، لكنها قدرت أن يكون في الأمر سر، فهي تعرف ذكاء أستاذها وتثق في حكمته

وبعد تناول الطعام، وبعض أحاديث قصيرة، وابتسامات كثيرة، أحضر حارس الأميرة المعلم، بعض أدوات الزراعة، من منزل الأميرة ذات الشيم، أخبرته وعد

بمكانها، فحمل فأسا ومكتلا، ووزع باقي الأدوات على الفتيات الثلاث، ثم توجه مع الجميع لتقاء مزرع الأخلاق، تقودهم وعد

وفي الطريق شرحت لهم وعد، كيف توارثت عائلتها حراسة هذه البلاد من الزمن القديم، منذ خلقت هذه الأرض، وأخبرتهم أن كل جد من أجدادها تمنى أن يسعفه القدر، ويتسنى له رؤية الأميرة التي تعيد زراعة الأخلاق، وتعمر بلاد القيم، لكن الله الذي يوتي فضله من يشاء، من على وعد وأختيها أن نلن هذا القدر، بعد أن توسد لهن الأمر بحراسة بلاد القيم، عقب رحيل شعب بلاد القيم، للجهاد في بلاد العرب

وصلت فرقة إنقاذ الأخلاق مقصدها، وكانت الأرض المخصصة لزراعة الأخلاق، على مقربة من حديقة منزل الأميرة ذات الشيم، وقد شغلت قطعة أرض محاطة بسيج مربع الشكل، متوسط الارتفاع عن وجه الأرض، وينمو في تلك الأرض الكثير من الحشائش والأعشاب بمختلف أنواعها، ويتخللها بعض الأشجار، وبقع صغيرة خالية من النباتات

قالت وعد: هذه البقعة المربعة المباركة، هي مزرع الأخلاق والقيم، الذي يغذي العالم كله، بما يحتاجه سكانه من الأخلاق والقيم، ومساحة تلك البقعة بالضبط مائة وتسعة عشر مترا مربعا، وهي نفس مساحة الكعبة المشرفة، زادها الله تشريفا وتعظيما

قال حارس الأميرة المعلم: علينا أن نشمر عن ساعد الجد، ونبدأ الآن في العمل، سنقوم أول شيء باقتلاع هذه الحشائش الغريبة المنتشرة في أرجاء المكان، والتخلص منها، قبل تسوية الأرض وتهيتها، وتقسيمها إلى أحواض، ثم نقوم بإصلاح مسارات المياه، وقنوات الري

أسرع الجميع في اقتلاع الحشائش وتنحيتها بعيدا، تمهيدا لإحراقها، وكان الجميع يعمل بكل همته ونشاطه، ما بين راع يقتلع النباتات الغريبة الشاذة عن هذه البلاد، وآخر يحملها بعيدا، وثالث يضرم فيها النيران

حتى ظبي الوضيحي الصغير، كان يحاول أن يقدم ما وسعه من العون، فكان يقلد أمه، وهي تقتلع النباتات بقمها، ولكنه كلما سعى لقضم نبتة ليقطعها لم يقدر، وسقط على ظهره، فيقوم ويحاول من جديد، وأمه تنهأ؛ خوفاً على فمه الصغير، وجرح رجله، فلا ينزجر

والفراشات الثلاث كن يطفن حول الجميع، يشجعن العمل، ويبثن روح الهمة في العاملات، ويشحذن القوى، ولم يكن ثمة من يتلأأ في عمله، سوى بياض الثلج، التي كانت تخشى على ثوبها المزركش، وعلى زينتها المبهرة من الأوساخ أن تعلق بها، وعلى يديها الناعمتين من الخشونة، فكأنها تقرب النباتات الشاذة، وتقول لها لا مساس، بدلا من اقتلاعها

أما شهرزاد، فبالرغم من كونها المرة الأولى لها في حياتها أن تعمل بيدها، والمرة الأولى لها أن تعمل في أرض زراعية، والمرة الأولى التي تعرض يديها اللينتين إلى مثل هذه المشاق المضنية بالنسبة لأمثالها من ربيبات القصور، إلا أنها كانت مستمتعة بعملها، فلأول مرة أيضا تنتقل من قيامها بدور الحكيم وسرد الكلمات، والأحاديث النظرية التي ما أحييت ولا قتلت ذبابة، إلى عالم الإصلاح العملي والانخراط بالذهن واليد معا في عمليات هذا الإصلاح

على أن جهود الجميع، لم تكن تقترب من معشار ما قدمته الأميرة ذات الشيم، وحارسها المعلم الهمام، فكانت أيديهم الأربعة تعمل بكل همة ودقة، وكفاءة وسرعة، وهو ما ينم عن خبراتهما العالية في مجال زراعة الأرضي، وإصلاحها للغرس والإنبات

ولا عجب في ذلك فقد حازا تلك الخبرة الزراعية والإصلاحية، من كثرة ما تعلماه من دروس عملية في حقول أهليهما، وعلى أيدي والديهما، وهي ذات المعارف والدروس، التي ورثها والداهما، عن طابور يمتد إلى آلاف الكيلو مترات، يقف فيه المزارعون المصريون الأوائل، ابتداءً بالمزارع المصري الأول، نبي الله إدريس عليه السلام، مروراً بالمزارع المصري، الذي أغاث الناس، وأعصرهم في زمن

نبي الله يوسف، ثم ملأ سلال العالم بالغذاء والدواء في زمان الدولة الرومانية وما بعدها

وانتهى أمر الحشائش الضارة والنباتات الشاذة جميعها، بعد جمعها، بطول كد وعناء من الجميع إلى كومة كبيرة، تتلففها السنة النيران، وتبتلعها في جوفها الذي لا يمتلئ ولا يشبع

وبعد ذلك جاء دور حارس الأميرة المعلم، ليعزف بالفأس عزفا منفردا، فلم تكن الأميرات الثلاث، ولا الغزالة ولا صغيرها، من أهل استخدام الفأس، وما يتطلبه ذلك من جهد ومشاق

أخذ حارس الأميرة المعلم في تسوية الأرض، والجميع يرقبونه في ظل شجرة عالية، وقد ظفر الإعياء بهم، ونال منهم أيما نيل

بدا نشاط حارس الأميرة المعلم، كأنه لا ينضب، بل بدا وكأنه يزداد قوة كلما طرق الأرض بفأسه، وكانت حركته المتناغمة في رفع الفأس والنزول بها على بشرة وجه الأرض الرقيقة، مثار إعجاب جميع المراقبين، وقد ظنوا أن به قوة وفتوة، لم يروا مثلها أبدا

اندهشت الفتيات الثلاثة مما أظهره حارس الأميرة المعلم، من قوة تحمل للعمل الشاق، ولم يعلمن أن سبب نشاطه المتضاعف أمر لا يخطر ببالهن أبدا، فلقد كان محموما بهم كبير، وأراد أن يشغل نفسه عنه بكثرة الجهد والتعب، وأن يذيبه في بحر العرق المالح الخارج من كل خلية في جسده

وكان حارس الأميرة المعلم، يريح نفسه من العناء لحیظات، لا بالتقاط الأنفاس، بل باختلاس النظرات إلى زوجته الأميرة، وربما شفع نظراته المتكررة بابتسامة رقيقة، كلما اعتدل واقفا ليريح ظهره، وكانت هي الأخرى تبعث إليه نظرات إعجاب، وتشجيع لتفانيه في العمل

غير أن الأميرة ذات الشيم، لم تكن وحدها التي ترسل النظرات إلى حارسها وزوجها المعلم، فقد كانت إلى جوارها عينا فتاة هائمة ولهى، لا تكاد تطرف بعيدا

عن هذا الحارس، وكانت هاتان العينان في رأس الملكة شهرزاد، متعددة الأصول والجنسيات

فقد أغرمت، زوجة شهريار، قاتل النساء والزوجات، بزواج الأميرة ذات الشيم، مذ رأته أول مرة، وآلت ألا تألو جهدا للوصول إلى قلبه، للترجيع على عرشه، وأن يكون البديل الذي طال عمرها، تنتظر مقابله، وهي في ملكية السفاح شهريار

لقد شعرت شهرزاد أن قلبها، ينبض لأول مرة، بنغم صحيح، سليم النغمات، فقررت أن تبدأ في تنفيذ خطة رسمتها؛ للإيقاع بحارس الأميرة المعلم في شباك شركها، وكانت غرة خطواتها في هذه الخطة، هي جمع المعلومات عنه، ومعرفة أحواله، وكل ما يخصه

طفقت الملكة شهرزاد، تسأل كل من حولها، عن حارس الأميرة المعلم، وعن بلدته وعائلته، ثم عن حالته المادية، وكثير من الأسئلة التي أجابت وعد عن بعضها الأول، وأعرضت عن الآخر

كانت الملكة شهرزاد تسأل بإلحاح غريب، وأسلوب شغوف مريب، فلفت ذلك نظر الأميرة ذات الشيم، فارتابت في أمر شهرزاد، وخطر في خاطرها أن شهرزاد، ربما تعلق قلبها بزوجها وحارسها المعلم، فلم تشعر ذات الشيم بنفسها بعد هذا الخاطر، إذ انبرت وانتفضت واقفة، وسارت بضعة أمتار، وقلبها حادياها، ناحية حديقة منزلها، ثم عادت؛ لتجلس مكانها في الظل تحت الشجرة العالية

رأى الجلوس جميعا، ما فعلته الأميرة ذات الشيم، ولاحظوا حارس الأميرة المعلم، وهو يتوقف عن العمل، ويعتدل معلقا بصره بخطو الأميرة، وهي ذاهبة بعيدا عن مكانها، ولم يعد إلى عمله، سوي برويته لها، عائدة للجلوس حيث كانت

جلست ذات الشيم في ظل الشجرة العالية، وقد لاحت على محياها ابتسامة مظفرة، فهتمت منها بياض الثلج كل شيء، وسعدت بما فهمت، وتأكدت أنها قد حازت الدنيا

بحذافيرها، لما تواتر على رأسها من أفكار وخطط وخواطر، تسوق لها الفرص سوقا، لاستغلالها في تحقيق هدفها الأكبر

بيد أن شهرزاد لم تفهم فحوى الرسالة، التي بعثتها الأميرة ذات الشيم، وأرادت لها أن تستقر في يقين الجميع، وهي أن حارس الأميرة مغلق باب قلبه على الأميرة ذات الشيم، وليس فيه من سعة لغيرها، ولا موضعا لسواها، ومن لم يصدق، فلينظر ردة فعله، فور تحركها من مكانها

عادت شهرزاد لأسئلتها، عن تفاصيل حياة حارس الأميرة المعلم من جديد، فاحتدت عليها وعد بقولها: ولم كل هذه الأسئلة يا شهرزاد؟ فشعرت شهرزاد بالارتباك والحرص الشديد، وهي تقول: لا شيء لا شيء

تداركت بياض الثلج الموقف، ودافعت عن شهرزاد: بقولها لا تظني بها السوء يا وعد، فهي لا تقصد شيئا، من وراء ذلك كله

نظرت شهرزاد إلي بياض الثلج، ولم تقرأ ما في عينيها من صفحات مكر، لكن ما قالته دفاعا عنها أعجبها، وأكسبها شعورا بأنها قريبة منها، أو ما إحداها شقيقة للأخرى في خدمة الأميرة ذات الشيم؟ أو هكذا يقال عنهما

ربت الفتاة الغربية بياض الثلج، عدة مرات على كتف شريكها الشرق أوسطية شهرزاد، وقد رسمت على فمها بسمه يصعب إزالتها، أو حتى التخفيف منها، وقد رأت أن خطتها التي احتارت في كيفية تنفيذها، قد بدأت تلتئم خطوطها وتتشابك خيوطها، بدون أي جهد منها

حل صمت مطرق بعد ذلك على الجلوس جميعا، ولم يقطعه إلا صوت وعد التي انطلقت، دون سؤال من أحد، تحكي قصصا عن آبائها وتفانيهم في حراسة هذا المكان، ثم عن الأخلاق وأنواعها وأقسامها من جاهلية وأساسية وإسلامية، لكن أحدا لم ينتبه لقولها، فقد غرق الجميع من جديد، في متابعة ما يعزفه حارس الأميرة المعلم، بفأسه على وجه الأرض

وبعد ساعات طوال من العمل المضني، سمع الجميع صوت حارس الأميرة المعلم، ينادي عليهم، قائلاً: أقبلوا الآن، فأسرعوا إليه، ولما وصلوا إليه، قال لهم: لقد انتهيت من العمل، فقد سويت وقسمت الأرض، وأصلحت مسارات الماء، والأرض جاهزة لاستقبال البذور الآن

أسرعت وعد مع الخادمتين؛ لإحضار بذور الأخلاق، التي خزنها أجدادها الأوائل بحرص وعناية، في مكان سحري سري، في منزل الأميرة ذات الشيم، ثم عادت وعد ومن خلفها، تحمل كل واحدة من الخادمتين كيساً كبيراً من القماش، لم تطلع على محتوياته

وضعت كل خادمة حملها، بين يدي الأميرة ذات الشيم، وحارسها المعلم، وفتح حارس الأميرة المعلم أحد الكيسين، ليجد فيه مجموعة من الأكياس الصغيرة، وقد امتلأ كل كيس صغير، بحبوب تشبه حبوب القمح من حيث الشكل والحجم، لكنها تختلف عن حبوب القمح بما يغلفها من ألوان زاهية مختلفة

فتح حارس الأميرة المعلم أحد الأكياس الصغيرة، وملاً حفنة يده بما يحفظه الكيس من حبوب الأخلاق، ثم قال: إذا فهذه بذور الأخلاق؟ قالت وعد: نعم إنها هي، وهي كما ترى متفقة في الشكل والحجم، مختلفة في الألوان، وكل لون منها، يمثل نوعاً منفرداً من الأخلاق

أوماً حارس الأميرة المعلم لأميرته، أن تفتح كفيها، ثم وضع ما في يده من الحبوب بين كفيها، وهو يقول: أسمع مهجتها تشتاق للمس كفيك، يا مولاتي ذات الشيم، فأطلقني سراح أرواحها، وهبها الحياة الآن

ردت الأميرة ذات الشيم على حارسها في عزم، فقالت: بسم الله الواحد نبداً، وطفقت تنثر بذور الأخلاق في حقولها

عرضت الخادمتان في لهفة، أن تساعد الأميرة في عملها؛ لتنال كل واحدة منهما، عملاً تخلد به مكرمة إلى أبد الأبد، وخوفاً من أن تستأثر تلك الصبية العربية السمراء بهذا الفضل والشرف دونهما، لكن حارس الأميرة المعلم، رفض عرض

الخدمتين رفضا باتا، وحذرهما تحذيرا لا لبس فيه، من أن تحاول واحدة منهما
مس كيس من أكياس الأخلاق، ولا حبة من حبوبها
شرع حارس الأميرة المعلم يفتح الأكياس، واحدا بعد الآخر، وهو يسبح ويكبر
ويهلل ويحوقل، ويقدم الكيس لأمرته المصفاة، لتنتثر بذور كل خلق في حوض على
حده، والخدمتان ما بين غيرة وحسد تصطليان، والفراشات والغزاة، ما بين حمد
الله وشكره، غير قادرات على حبس دموعهن، غير مصدقات أنهن يوثقن بأعينهن
الضعيفة هذه اللحظة الكونية الاستثنائية، لحظة الميلاد الأخلاقي الجديد للبشرية

(٢٣)

بعد الانتهاء من الزراعة، وسقيا الأرض، وتبادل التهاني والمباركات، وأداء الصلوات، وتناول الطعام، ودخول الليل أوى الكل إلي مضجعه، سوى حارس الأميرة المعلم، الذي طارده أرق شديد، فطرده من موضع نومه إلى الحديقة، عل نسيم هوائها، يخفف ما التهاب من بركان صدره

وجد حارس الأميرة المعلم، غزالة الوضيحي، قد أرقت هي الأخرى، تنظر إلى القمر الذي كاد يكتمل، وقد سحرها منظره البديع، وشغلته استعادة ذكرياتها مع محبوبها الشهيد، عن أن تشعر بخطو حارس الأميرة المعلم مقتربا منها اقترب حارس الأميرة المعلم من المها البيضاء، وقال بصوت خفيض: إنه جميل جدا أليس كذلك!!؟

ارتعدت مفاصل الغزالة، وهمت بغريزتها لتنتطلق تعدو، ولكنها عرفت أنه حارس الأميرة المعلم فتوقفت، وقالت: لقد أفزعني يا سيدي المعلم، فقال حارس الأميرة المعلم: أعتذر لك بشدة، أيتها الغزالة الحكيمة الطيبة، فقالت الغزالة: لا عليك يا سيدي، فقد كنت مشغولة البال شاردة الذهن، فقال حارس الأميرة المعلم على الفور: فيم كنت مشغولة الخاطر؟

قالت: لقد تذكرت زوجي، وترحمت عليه، وأنت ما الذي أخرجك من غرفتك؟ وقد حققت لك الراحة بعد التعب الطويل اليوم، قال: هم ثقيل أيتها الغزالة الوفية، أخذ بمجامع عيني، فلم أستطع إقفالا لها، وكأن هذا الهم لم يسمع بتوسل لمفاصلي ترجوه، أن يعفيها من حكمه الدائم عليها بالأرق، وأن يسمح لها بالنوم ولو لساعات، قالت الغزالة الحكيمة: إن كان لا يضايقك، فلتخبرني بما ألم بك

تأوه حارس الأميرة المعلم، وهو يجلس ليستند إلى جذع شجرة، وقال في صوت متهدج: كثير ما بي أيتها الغزالة، ولقد يعي دون بعضه الجبل الأشم، قالت الغزالة: أخبرني ببعضه، لينزاح هذا الهم عن صدرك، ولعلك لا تعدم مشاركا لك فيه، أو ناصحا يمدك بخير نصيحة، أو داعيا لك بزول همك

صمت حارس الأميرة المعلم، ولم يحر جواباً، وبدا كأنه يغالب عبء، تود أن تفتق عيني، أو زفرة تذهب أضلاعه، وتزهق أنفاسه، فقالت الغزالة: لعل حبك للأميرة ذات الشيم هو الذي يشغلك، ويقض مضجعتك ؟

انتفض حارس الأميرة المعلم، مما سمع متعجباً، وقال: وكيف عرفت أنني محبها؟ هل أخبرتك وعد بذلك؟ قالت الغزالة مبتسمة: أرى عينيك تنمّان صادحتين، صباح مساء، عن حبها الذي تتأجج نيرانه في قلبك

قال حارس الأميرة المعلم، لمها الوضيحي، وقد شعر ألا فائدة من الكتمان: بل قل لي، وأنت صادقة مصدقة، قل لي: إن عيني تحكيان عن حبها الذي أورث قلبي جنة ونعيماً، وملكا كبيراً، يرفل فيه، ويترقى في درجاته العلى، وفي فردوس حبها يتعبد، وفي محرابه يتهدج

قالت الغزالة الحكيمة: لكني أرى شبح الحزن ماثلاً في عينيك، يخالط حبك للأميرة ذات الشيم، ولقد عجبت لحزنك وسقمك ونحول جسدك، هلا تركت الحزن يعصف بقلب من فقد إلفه، وباعدت بينهما ظلوم الأيام والليالي

فقال حارس الأميرة المعلم، وهو يغالب بسمة: تعجبين من سقمي، صحتي هي العجب، فقالت الغزالة الحكيمة: اعلم يا سيدي المعلم، أن الحزن شقيق الغضب، والغضب نفث من الشيطان، والحب رحمة من الرحمن، وهما لا يجتمعان حتى يأتي أحدهما على عدوه

قال حارس الأميرة المعلم: يورقني حزناً، أنني لم أقو حتى الآن على مصارحتها بحبي لها، فقالت الغزالة الحكيمة: وما الذي يؤخرك؟! قال أخشى أن يبعتها أهلها عني، وأفقدتها للأبد، فأعود سيد الأشقياء، بعدما عدت نفسي إمام المتنعمين، وأخاف هجرها، ولم أنهل بعد من قربها

قالت الغزالة الحكيمة: وما الضير أن نحب ونتحاب؟ إنني لا أرى لك عذراً، فلا يحل لك أن تترك قلباً أنت له محب، وفي هواه وامق لظنون هي عين الإثم، وأكذب الحديث، لا تتردد أيها المعلم، وأعلن لها عن حبك، فبعض الهوى لا يقبل التأجيلاً

قال حارس الأميرة المعلم: لقد عزمت على ذلك، لكنني أعود فأخور عزمًا، قالت الغزالة الحكيمة: اعلم يا سيدي أن الحب يورثنا الشجاعة، ألم ترني قد فررت مع زوجي، لما خفت قومي، فوهب لي ربي ظبياً زكياً، ولا أظن أن زوجي كان على هذا النحو من الشجاعة، قبل معرفته بي، وحبه لي، نصيحتي لك يا سيدي التعجيل في الأمر، ومن يدري لعلك تجد قلبها، قد خفق محبا لك

نظر حارس الأميرة المعلم، إلى الغزالة البيضاء ذات القرون المسيفة طويلاً، كأنه يسترجع في عقله كلمات، وحركات، وأفعال الأميرة معه، ويتمنى أن يظفر بشيء يستدل به على صدق قول الغزالة، ثم قال لها: لو كان الأمر كما تقولين، فلماذا لم تصرح لي بحبها؟

قالت الغزالة الحكيمة: وهل رأيت أبداً أنثى تحكي حبها لمن تحب، أو تصرح بما في قلبها له ؟ لقد طبعت الأنثى على الخجل، وجبلت على الحياء، فما ظنك بأميرة الأخلاق والقيم، كيف يكون حياؤها؟ وما ظنك بها وهي تلميذتك، وأنت معلمها وأستاذها، وها أنت ذا تتكأ في إخبارها بمضمون قلبك، وتستحي من محادثتها، فما بالك بموقفها، وهي الفتاة الرقيقة الخجولة !

فكر حارس الأميرة المعلم بهذه الكلمات، وتعجب كيف تعلّمه الغزالة، وتعطيه الدروس، وهو الذي يعلم الأجيال، لكنها الحكمة يضعها الله حيث يشاء، ويؤتيها من يشاء، فأنى وجدها العاقل فهو أحق الناس بها

لم يرق حارس الأميرة المعلم من جلسته تلك، إلا وقد أحكم عقد عزمه، على البوح بمكنون فؤاده غداً صباحاً للأميرة، ثم دخل غرفته فوضع رأسه على الوسادة، فلم يشعر بالكرى، يتسلل خفياً بين عينيه، حتى استباح الكرى حماها، وغط صاحبها في نوم عميق

نام حارس الأميرة المعلم العاشق، ولم يكن يدري أن حديثاً طويلاً عنه وعن أميرته، دار في مسكن الخادمتين، وكانت بياض الثلج هي البادئة لهذا الحديث الطويل، فقد بدأت كلماتها لشهرزاد، بإعلان التأفف والضجر، مبدية تمعضها لرداءة هذا المسكن، الذي استبدلته بالقصور، ومواطن الحبور

وردت عليها شهرزاد بقولها: لكن ذلك كله يهون من أجل سعادة البشر، فقالت بياض الثلج: في خبث باد، ومكر يصرخ بعينيها، وهل حقا تجشمت المشاق من أجل سعادة البشر يا جلالة الملكة ؟

صمتت شهرزاد هنيهة، ثم قالت محتدة: ماذا تقصدين أيتها الأميرة؟ قالت بياض الثلج: لا داعي للمراوغة، فقد برح الخفاء، وانجلي الأمر، وأنا وأنت في قارب واحد، وجمعنا هدف واحد، فلما لا نتفق ونتعاون معا

قالت الملكة شهرزاد تتصنع الدهشة والغفلة، عن أي هدف تتحدثين؟ وما الأمر الذي انجلي ؟

قالت بياض الثلج: أتحدث عن الهدف الذي جعلني وجلالتك نترك ملكنا وديارنا وأحبائنا من أجله، ولا تخافي فأنا أسعى لعين ما تسعين

قالت شهرزاد في خوف وريبة: أنا لا أسعى لأهداف، لقد جئت لخدمة الأميرة ذات الشيم، وأنا على ذلك مقيمة حتى تتم زراعة الأخلاق، وما أسعى إليه حقا أن يذكرني الناس والتاريخ بعد قرون طويلة، أنني كنت خادمة للفتاة التي استطاعت إنقاذهم من براثن الشيطان، بزراعتها للأخلاق

قالت بياض الثلج: وما يمنع أن يذكرك الناس، على أنك الفتاة التي أنقذت بنفسها البشر؟ أجابت شهرزاد: قلت لك لقد جئت لأخدم ذات الشيم، والآن اتركيني لأنام فأنا متعبة جدا

همت شهرزاد بالانصراف، بيد أن بياض الثلج أمسكت بيدها، مستوقفة لها، وقالت: هذا ليس بوقت النوم، أيتها الملكة، بل وقت النشاط والعمل، فاجلسي قليلا؛ لأشرح لك الأمر، وغاية ما أسعى إليه

اعتدلت بياض الثلج في جلستها، وأكملت شرحها قائلة: لقد جئت وأنت كذلك للتخلص من ذات الشيم، والحصول على لقب أميرة بلاد القيم، بدلا منها، ولقد علمت أنا وأنت أن هذا اللقب يستحق أن نضحى من أجله، بكل ما نملك من سبل النعيم، وهناء المعيشة؛ لأنه خير وأفخم وأبقى، من كل الألقاب والرتب التي

نحوزها، ولأنه يكفل لحامله دوام الذكر، إلى آخر يوم في هذه الحياة، وقد جاء
الأوان لنتفق للوصول إلى ما نريد

رأت شهرزاد أنه لا داعي للإنكار، فاعتدلت في جلستها هي الأخرى، وبدا الاهتمام
يلوح في عينيها، فتصيخ به مسامعها، وأكملت بياض الثلج حديثها قائلة: الأميرة
ذات الشيم إذا، هي عدونا الأول في هذه البلاد، وعلينا أن نتخلص منها، وهذا ما
عزمت عليه

قالت شهرزاد: هب أننا تخلصنا من الأميرة ذات الشيم، فمن منا ستكون الأميرة
على بلاد القيم؟ قالت بياض الثلج: أنا بالطبع، لكنك ستحصلين على ما يرضيك من
مقابل، قالت شهرزاد: أنت واهمة، أتحسبين أنني في عوز للمال، لأتخلى لك عن
هذا اللقب؟ أتريدين شراء خلود الذكرى، والاشتهار بين العرب والعجم، وجميع
الأمم قاطبة، ولأبد الآباد، بحفنة دنانير؟ لا والله لن يكون هذا أبدا

قالت بياض الثلج: ومن ذكر المال أيتها الملكة المبجلة، جلالتك ستحصلين على من
تحبينه، قالت شهرزاد متلهفة: من تقصدين؟ قالت بياض الثلج: أقصد هذا الشاب
المصري الأسمر الذي تيمك، منذ رأيته، ولم يحفل بك، ولا بتقربك إليه
قالت شهرزاد: أراك تجيدين الرجم بالغيب، قالت بياض الثلج: ليس رجما بالغيب،
إنما هو كبد الحقيقة والواقع، فأنا أراك لا تصرفين بصرك إلا نحوه، ولا تبغين عنه
حولا ولا متحولا

كادت شهرزاد أن تصرخ: صدقت في زعمك يا فتاة، إني متيمة به وتعتريني
لرويته، رعدة كالعصفور بلله القطر، لكنها أرادت أن تبدو متماسكة أمام بياض
الثلج؛ حتى لا تمكنها منها

قالت شهرزاد: لو كان ظنك هذا صادقا، فماذا تملكين من أمره حتى تعطيني قلبه؟

قالت بياض الثلج: أملك الكثير، وأستطيع الأكثر، شريطة أن تتعاوني معي وتطيعي
كلامي، قالت شهرزاد: حسنا اتفقنا، قد قنعت بنصيبي، سأترك لك أمر اللقب؛
لأحصل على أمر القلب، وأحوز هذا الساحر الفرعوني الأسمر لي وحدي، وأستمتع

بالحب الذي عشت عمري أبحث عنه، ولما أصل إليه، وسأختبر بنفسي كل قصص
الحب التي رويتها على مسامع شهريار، وسأرحل مع هذا الشاب المصري إلى
بلاده، حيث نعيش معا في مصر أم الدنيا ومهد الحضارات
قالت بياض الثلج بلهجة المظفر: وأنا أعدك أن أجعله خاتما في يدك، طوعا لبنانك،
وربما جعلته، يبني لك هرما رابعا في مصر، يخلد به ذكرك، فقلت شهرزاد: رغم
أنني لا أعرفك سوى من أيام قلائل، إلا أنني سأثق بك؛ حتى أصل إلى ما أصبو
إليه، قالت بياض الثلج: وعدا علي ألا تندمي على هذه الثقة
وبعد أن اتفقت الخادمتان، على التعاون على الإثم والعدوان، أوت كل منهما إلى
فراشها، إحداهما تمنى نفسها بتخليد على صفحات التاريخ، بعد أن يقال عنها إنها
منقذة بني الإنسان، بما أعادته للناس من فقيده الأخلاق، وشريد القيم، والأخرى
تمنى نفسها بجلسة تنعم فيها بجوار حبيبها الشاب، يتغازلان ويتسامران

انبلج الصبح وفصح بيانه، واستيقظت الأميرة ذات الشيم، وخرجت من غرفتها، فوجدت الطعام معدا على المنضدة، في المتسع الذي يفصل غرفتها عن غرفة حارسها المعلم، فظنت الأميرة أن إحدى الخادمتين، أو هما معا، من صنع الطعام، فبحثت عنهما الأميرة لتشكرهما، ولم تجد لهما أثرا

دخل حارس الأميرة المعلم من باب المنزل، فابتسم للأميرة وحيها تحية الصباح، فردت عليه التحية بأحسن منها، وهنا خطر ببالها أن زوجها وأستاذها، هو المعد المجهز لهذا الطعام، وتيقنت من ذلك، برويته يحمل كوب ماء، يضعه على المنضدة

شكرت الأميرة معلمها الحارس على صنيعه، مع ابتسامة ساحرة، فأوشك أن ينحل ما كان معقودا بلسانه، فيصارحها بما في قلبه، من حب مطهر، وأن يشكو إليها ما يجد من وجد، ومن شوق على قلبه منها، غير أن الفراشات أقبلن على غفلة من غرفة حارس الأميرة المعلم، يتوعدن الخادمتين؛ لأنهما لم تحضرا حتى الآن

قال حارس الأميرة المعلم في غضب شديد: هاتان الفتاتان شر من أحضرتن، فلم نر منهما ما يحمدان عليه أبدا، قالت الأميرة ذات الشيم: علينا الحذر من التجني على هاتين الأميرتين، وأن نلتمس لهما الأعذار

أراد حارس الأميرة المعلم أن يصرح بشعوره حيال الخادمتين، فما راعه إلا بياض الثلج قد حضرت، ممسكة بيد شريكها شهرزاد، فصمت الجميع واجمين، ففهمت بياض الثلج أن الحديث الذي فاتهما، وكان دائرا بين أصدقائنا منذ قليل، كان في مذمتها وزميلتها

وبينما كانت بياض الثلج ترمق الجميع بنظرة إحصائية فاحصة، وكأنها تتوعدهم جميعا، وتصوب فوهة عيونها إليهم؛ لتفتك بهم في الوقت الذي يناسبها، كانت شهرزاد تنظر هائمة لحارس الأميرة المعلم، وتبتسم له؛ لأنها قد أوشكت، كما زعمت لها بياض الثلج، أن تستحوذ على قلبه

قالت وعد للخادمتين في لهجة غاضبة، لا تناسب حجمها ولا جمالها كفراشة: ما الذي أحركما إلى الآن؟ أتركما قد نسيتما أنكما خادمتان للأميرة ذات الشيم؟!!

لم يرغب صديقنا الحارس المعلم، في سماع ما سينشب بين الفراشات والخادمتين، فانسحب إلى حقل الأخلاق؛ ليطمئن عليه، وعلى نسبة الإنبات، وتبعته في ذلك الأميرة ذات الشيم، مصطحبة معها الغزالة وصغيرها، وبيدها بعض ثمار الفاكهة، التي جهزها حارسها على طاولة الإفطار، ولم يذق شيئا منها

أسرفت بنات تميم الأمجد الثلاث طويلا، في معاتبة الخادمتين على التقاعس، في خدمة الأميرة ذات الشيم، حتى قالت بياض الثلج، تدفع عن نفسها وشريكها تهمة التقصير في العمل: نحن لم ننس أننا جننا لخدمة الأميرة ذات الشيم، لكننا لم نقصر في شيء، قالت رعد: هذا لأنكما لم تفعلنا شيئا، حتى تقصرا فيه

قالت شهرزاد: لا داعي لهذه الجلبة، وانظري ماذا تطلبين منا حتى نقوم به، قالت وعد: عليكم تنظيف منزل الأميرة، وترتيب أثاثه، فتميزت الملكة شهرزاد من الغيظ، من هذه الإهانة، وكادت تنفجر، لولا رؤيتها وسماعها بياض الثلج ببرود تتكلم فتقول: حسنا أيتها الفراشة وعد، سنفعل كل ما تريدين وأكثر، اذهبي لتلحقي بالأميرة ذات الشيم، وسنبقى هنا حتى ننهي عملنا

ذهبت وعد وأختها إلى حقل الأخلاق، وبقيت شهرزاد تسب وعدا وأختها، بأقذع السباب، حتى هدأت بياض الثلج من روعها، وأخبرتها أنها لن تنظف أو ترتب شيئا، إنما هي فرصة سانحة لنا فلنقتصها، ولنسرع لنفتش المنزل، لننظر ما يحتويه، لعلنا نعث على ما يفيدنا في تنفيذ خطتنا

رفضت شهرزاد أن تشارك في عمليات تنظيف المنزل، التي أوصت بها وعد، أو في عمليات البحث والتفتيش التي اقترحتها بياض الثلج، وأقسمت شهرزاد أن تجلس مكانها على الأريكة في وسط المنزل، وألا تبرحها حتى تنتهي بياض الثلج من عملياتها

وعلى الفور انتهزت بياض الثلج الفرصة، ودخلت غرفة الأميرة، بحثت طويلا، لكنها لم تحظ بشيء ذي بال، ثم وقعت عيونها الزائغة في المكان، على حقيبة الأميرة ذات الشيم، فظنت أن بها ما ينفعها، وحين فتحت الحقيبة، وجدت أنها قد ملئت كتباً أحضرتها الأميرة؛ لتطالعها إذا ما ساحت لها الفرصة لذلك، وإلى جوارها بعض ملابس الأميرة، وبين الملابس مصحف صغير الحجم

ولما لم تعثر بياض الثلج على شيء، عضت أناملها من الغيظ، وأعدت كل شيء إلى موضعه، وكأنها عاشرت خبراء اللصوص، فأخذت عنهم، أو أن آبائها وأجدادها كانوا من خبراء اللصوص، فورثت عنهم خبراتهم

ثم انصرفت بياض الثلج، إلى غرفة حارس الأميرة المعلم، فوجدت على بابها قفلاً، حاولت فتحه، لكنها لم تفلح، ثم بحثت في سائر المنزل، فوجدت صندوقاً صغيراً، يختبئ وتغطيه زهيرات، نمت في ركن المنزل، وقد وصلهن ضوء الشمس من شرخ غير جسيم في الجدار

كانت النباتات ملتفة على الصندوق، فلم يره أحد من قبل، إلا أن عيني بياض الثلج وقعت عليه، فأسرعت إليه متلهفة، وقد شعرت أنها وجدت بغيتها، فخلصت الصندوق بحرص مما علق به من الزهور، وأطراف النباتات

كان الصندوق صغيراً، قد نقشت عليه بعض الزهور أيضاً، فتحت بياض الثلج الصندوق، فلم تجد سوى ثلاثة أوراق، الأولى قد خط فيها بخط حسن هذا النص: يأتي زمان تهلك فيه الأخلاق، وتخرب بلاد القيم، لكن هذا ليس مدعاة للتحزن، بل بشارة كبرى، بقرب ظهور الأميرة ذات الشيم، التي ترحل من بلادها في أم الدنيا، إلى بلاد القيم تحت حراسة أستاذها المعلم؛ لتعيد كل شيء أحسن مما كان

وجاء في الورقة الثانية: أن الأميرة ذات الشيم، هي الوحيدة المقدر لها تجديد بلاد القيم وحقولها، فلا تنمو بذرة خلق إلا بعد أن تلامس كفها، ولا تزهر نبتة إلا إذا غرستها بيمينها

وقد احتوت الورقة الأخيرة على وصف مفصل لوجه الأميرة ذات الشيم، وكأن كاتب هذه الورقة، قد رآها من قبل أن يكتب وصفها

أدركت بياض الثلج، بعيد قراءتها لما حواه الصندوق، أن حلمها بأن تصبح الأميرة على بلاد القيم، قد تبدد وغدا سرابا بقيعة، حسبته ماء، وأن خطتها للتخلص من الأميرة، والأخلاق التي زرعتها، حتى تقوم هي بزراعة الأخلاق من جديد، قد انهارت، لأنها قد تيقنت الآن، من خلال هذه الأوراق، أن الأخلاق لا تنمو إلا على يد الأميرة ذات الشيم فقط، ونباتات القيم لا تنمو إلا بأمر ذات الشيم وحدها، ولذلك فلا مناص من أن ينسب الفضل إلى ذات الشيم حصرا، وأن لقب الإمارة لن يتعدها إلى غيرها أبدا، فمهما حاول غيرها الوصول إلى مكانتها، فلن يتسنى له ما يرغب فيه، أو يطمح إليه

سألت بياض الثلج نفسها: ما الفائدة إذا من السعي وراء لقب، لن يعدو ذات الشيم، وهو أبدا لصيق بها ؟

لكن بياض الثلج، لا تياس قريحتها، ولا يتعطل شيطانها، فرأت أن لا بد من تعديل الخطة لتلاءم الوضع الجديد، وأنها لن يجديها البكاء على خمرها المسكوب، فقالت لنفسها: ما دام هذا اللقب قد حرم علي، فلا بد من أن تحرم منه ذات الشيم كذلك، ولن أسمح لغيري بالظفر به، فإما أن يكون لي، أو لا يكون لغيري

طوت بياض الثلج الأوراق، وأعادتها مكانها، وانصرفت وشهرزاد إلى حقل الأخلاق، وهناك كان المنظر جد مفرح لكل ذي قلب سليم، وفطرة نقية

لقد نمت الأخلاق بين ليلة وضحاها، وأزهرت وأينعت وأنتجت عطر الأخلاق المميز، وأخذ عطرها ينتشر في الجو، مخترقا الآفاق إلى بلاد البشر، يتوق إلى أول صدر يستنشقه، ليتغلغل فيه، ويضفي على جوارحه صفات الملائكة المقربين، ألا أجمل بالأخلاق، وما أركى أصحابها!

وصلت بياض الثلج وشهرزاد، فوجدتا أصدقاءنا في غامر من الفرحة، وموفور من السعادة، فقد نجحت جهودهم، وكان سعيهم مشكورا، وزاد ذلك من حنق بياض الثلج وحقدتها، وأجج روح الغيرة في نفسها، وشد من عزمها في نفس اللحظة، فقد ساءها أن ترى غريمتها ذات الشيم، تلوح بوجهها أمارات السعادة، وأقسمت بياض الثلج بكل ما تؤمن به، أن تنغص عليها فرحتها، وأن تكدر بهجتها، وأن تسلبها حياتها، وأن تنتهي من أمرها قبل أن تعود إلى زمانها وبلادها

أخذت الأميرة ذات الشيم، تنادي على بياض الثلج، وشهرزاد بكل براءة؛ لتشاركا في الفرحة، لكن قلب بياض الثلج الأسود، أبى أن يتركها لتجيب النداء، أو حتى تبسم للأميرة ذات الشيم، بعض ابتسامة

بيد أن الملكة الشرقية شهرزاد، التي لم يخلق مثلها في البلاد، أنساها ما رأت من سعادة، تحلق مرفرفة فوق أصدقائنا كل شيء، فلمس الفرحة قلبها، وانساقا لتشاركهم احتفالهم، سعيدة بعودة الأخلاق من جديد، أو لعلها فرحة لفرح معشوقها الحارس المعلم

لم تملك شهرزاد نفسها من الفرحة، فهنأت الأميرة ذات الشيم على نجاحها، وقبلت خديها، ثم توجهت بالتهنئة إلى حارس الأميرة المعلم، فرد عليها شاكرا لها طيب شعورها

لكن شهرزاد ما لبثت أن أفاقت لنفسها، وعادت إلى رشدها، أول أن رمقتها بياض الثلج بعين اللظى، مستنكرة عليها ما تفعله

تذكرت شهرزاد بهذه النظرة أن الأميرة ذات الشيم، هي الحائل بينها وبين حبيبها المعلم، كما أخبرتها بياض الثلج، وأنها لكي تصل إلى قلبه، يجب أن تتخطى هذا الحاجز، فقلب حارس الأميرة المعلم، رهين بيد ذات الشيم، كما وسوست لها بياض الثلج، وعليها أولا إزاحتها من طريقها، حتى تصل إلى فؤاد من تحب

قالت وعد بصوت السعادة: بعد أن أكمل الله لنا عملنا، وأتم علينا نعمته، ورضيت أعيننا بما رأت وقرت، ونجحنا في استعادة الأخلاق، ليعود لها مجدها ورونقها، الذي افتقدته فالتقته اليوم، فما الواجب علينا الآن ؟

قالت رعد: علينا أن نكافئ أصحاب الفضل، قالت الغزالة: نعم علينا أن نجزي خيرا، سيدي المعلم، وسيدتي الأميرة ذات الشيم على صنيعهما، قالت رعد: وبما يكون الجزاء؟؟!!

قالت وعد: قد أخبرني أبي عن والده، عن أبيه، عن أجداده، أن الأميرة بعد أن تفرغ من إعادة الأخلاق كما كانت، تذهب مع حارسها إلى رحلة علوية، تصعد فيها إلى السماء، وترى فيها من ملكوت الله، وتتمتع بجمال النجوم والكواكب ونظامها، وتنعم برؤية الأكوان وفضائها، وتقابل وفودا وشخصيات من جميع الأمم السابقة، قالت الغزالة بصوت يجمع بين الحث والتوسل: فلتذهبي يا مولاتي الأميرة، في صحبة سيدي المعلم، في هذه الرحلة

أخذ الجميع يرغب الأميرة ذات الشيم في الموافقة، حتى بياض الثلج، فقد سعت الشقية لدفع الأميرة إلى النطق بالموافقة؛ لتترك بلاد القيم، فيخلو المكان عليها، وتسرح الفرصة لها لتنفيذ خطتها المعدلة، في أثناء غياب الأميرة وحارسها اليقظ معا

اشتراطت الأميرة ذات الشيم للموافقة، على الذهاب في هذه الرحلة، على وعد أن تصاحبها، لتكون المرشد الأمين لها في رحلة السماء، كما كانت المرشد الأمين في الرحلة من أم الدنيا إلى بلاد القيم، لكن وعدا اعتذرت بشدة وأكدت للأميرة، أنها ستقابل من يرشدها في رحلتها السماوية، فلا داعي للقلق

رضيت الأميرة وحارسها المعلم، بخوض غمار هذه الرحلة الشيقة لاستكناه الكون، والتعرف على شيء من أسرارهِ، ورضي الجميع بهذه الموافقة، خلا شهرزاد التي حزنّت بشدة؛ لأنها كانت تتمنى أن تكون هي ذات الشيم، وأن يكون حبيبها المعلم، هو حارسها المرافق لها في هذه الرحلة، فيخلوان معا بعيد عن أعين الرقباء، لكن

جاءتها رياح الأقدار، بما لا تشتهي سفنها، وأثار ذلك حفيظتها، فأظهر حقيقتها،
وبدا الشر في عينيها، وما أخفته كان أكبر بصرها
والحق أنه لم يكن، هذا الذي تشعر شهرزاد به، تجاه صديقنا حارس الأميرة المعلم
حبا كما يتظن لها، فلم يعد الأمر عندها رغبة التملك والاستحواذ على هذا الشاب،
فقد رآته فاستحسنته وأعجبها، فودت لو ينضم تحت لوائها، وينضوي تحت
جناحها، مثل مئات العبيد الذين تمتلكهم، أو قناطير الجواهر التي تكتنرها

فلما رأت شهرزاد غيرها حازه، عبث بعقلها شيطانها، ونفخ في أعطافها روحه
المستكبرة، وتملكتها رغبة الانتقام، وقرأت بياض الثلج في عينيها التصميم، على
محاربة الأميرة ذات الشيم، فازدادت غبطتها، وتأكدت ساعتها أن شهرزاد، قد
أضحت طوع أمرها، فباستغلال حنقها على الأميرة ذات الشيم، تضع ربة متينة في
رقبة شهرزاد، وقيدا محكما في قدمها، تجرهما بهما إلى حيث تقع مصلحتها، وأين
تخدم أغراضها

أقبل الليل يلف بثيابه السود، جسد الدنيا المستدير، وحان الموعد الذي حدده حارس الأميرة المعلم، للقيام بالرحلة المباركة، رحلة الصعود إلى ملكوت السماء استعدت الأميرة ذات الشيم وحارسها المعلم، ومن بعد أداء صلاة العشاء، ومن فوق البساط الهلالي الأخضر، ودعا أصدقاءهما، وانطلقا راشدين إلى السماء، ولم يدر بخلدهما، أن أعينهما لن تقع على جمال هذا المكان، ابتداء من هذه اللحظة

وما إن ارتفع البساط عن أرض القيم، حتى انصرفت بياض الثلج، وشهرزاد دون استئذان من أحد، فلم تعيرا وعدا بالا، والتي ظلت تنادي عليهما بلا طائل وبقي أصدقاؤنا الفراشات والغزالة وابنها، واقفين في مكانهم، يشيعون بنظرهم البساط، حتى توارى بالحجاب عن أعينهم، فعادوا إلى منزل الأميرة يستريحون قليلا، قبل استقبال الأميرة وحارسها المعلم، لدى عودتهما عند الفجر

ظلت بياض الثلج طوال الطريق إلى المسكن، تطلق ضحكاتها، أعيرة نارية في الجو، فاستاءت شهرزاد منها، وحاولت أن تسكت عنها الضحك، لكن بلا فائدة، وأخيرا سألتها عن سبب سعادتها، فقالت: لقد أخطأت الأميرة ذات الشيم، عندما استجابت لنصيحتي، ووافقت على الذهاب بهذه الرحلة، الآن فقط وفي غيابها، وغياب هذا الذي يحسب نفسه حارسها، ستمضي خطتي إلى النجاح، قالت شهرزاد: بالمناسبة ما هي خطتك؟ حتى أتبين دوري، وأعرف حالي

تغيرت لهجة بياض الثلج، وتوقفت عن الضحك، وهي تقول: ليس لك أن تعرفي الخطة، لكن لك أن تثقي أن من تحبين، قد صار في يدك، شريطة أن تطيعي أوامري دون نقاش، كما اتفقنا، قالت شهرزاد: حسنا، ولكني أريد أن أنتقم من هذه الحشرات الثلاث، اللاني ذقنا منهن الأمرين، قالت بياض الثلج: لا تقلقي أيتها الملكة، فالكل سينال جزاءه، أعدك أن تشاهدي عذابهن بعينيك

وصلت الخادمتان إلى مسكنهما، وفتحت بياض الثلج الباب، وهي تقول: الآن نستريح، حتى نتأكد أن الجميع قد ناموا، وغرقوا في آخر السبات العميق، وعندها نبدأ العمل

وبعد ما يقرب من ساعتين، نهضت بياض الثلج، من مقعدها، الذي جلست عليه، في خفة تقول: الآن لحظة التحرك قد حانت، هيا أيتها الملكة شهرزاد اتبعيني، فتبعتها شهرزاد كما تتبع قطعان النعاج قائدها، دون أن تعرف إلام تقودها، وإلى أين تسوقها

وسارت الملكة الشرقية، خلف خطوات الأميرة الغربية، كأنها مسلوقة الإرادة والقرار، وهي لا تعرف ما الخطوة التالية لها أو لقائدها الغربية، لكنها عرفت فقط نزوتها الذاتية التي تسميها حبا، وعرفت أن تضحي بكل شيء، وصولا إلى قلب حارس الأميرة المعلم، والسيطرة عليه، رغم أنها لا تظن تماما إلى بياض الثلج، ولا تأمن غدرها، لكنها لم تجد جسرا أو سبيلا غيرها، يوصلها لغرضها، ويشبع لها نزوتها

وصلت بياض الثلج وشهرزاد في خفاء، إلى أطراف حديقة منزل الأميرة، وكان الجو صامتا، والهدوء مطبقا على المكان، واستدلت بياض الثلج من ذلك على نوم الجميع، ثم نظرت بياض الثلج لخلفها، لتأمر شهرزاد بأن تتسلل إلى داخل الحديقة، وتخطف صغير الغزالة، وأن تعود به إلى المسكن، وأن تنتظرها هناك ريثما تعود إليها

سألت شهرزاد: وما دخل الطبي الصغير في هذا الأمر؟ ردت عليها بعنف: افعلي ما أقوله لك، دون سؤال، وحاذري أن يراك، أو يشعر بك أحد، الآن سنفترق، ونتقابل بعد قليل في المسكن

سلكت بياض الثلج، طريقا بعيدا عن الحديقة قليلا، واتجهت صوب حقل الأخلاق، وتيبست قدما شهرزاد حيث وقفت، وفكرت في التراجع، وإخبار حارس الأميرة المعلم بالأمر كله، فور رجوعه فجرا؛ لأنها شعرت الآن بخطر الشر الذي تحمله

بياض الثلج، بين جنباتها، وتضمن إخفاء ثعابينه بين أثناء بنات أفكارها، لكنها لم تضمن نتائج معاداتها لبياض الثلج، فقد استقر في ظنها أنها الأقوى، وأنها ستفوز في صراعها مع الأميرة ذات الشيم، وتهيمن على مقاليد كل شيء كما أن ذاتها الملكية، لم تتعود أن تتمنى الحصول على شيء، أو تشتتبه، فتسعى إليه، ثم لا تصل إليه، أو يمتنع عنها

قررت شهرزاد كملكة، الحصول على حارس الأميرة المعلم، ويجب أن تفعل، وقد شجعت شهرزاد نفسها وحفزتها، وتذكرت أنها الملكة شهرزاد، التي لم يخلق مثلها في البلاد، فلا ينبغي لها الخوف من هؤلاء الدهماء، أن يمنعوها ما تريد

كان لون القمر حائلا، رغم أنه في يوم اكتماله، همست شهرزاد لنفسها: فليسأمحني الله، ثم انطلقت والظلام يكتنف المكان، ويصفر بين جنباته، تسالت الملكة حتى اختلطت بأشجار الحديقة، ووجدت الطبي الصغير ينام على بعد خطوات من أمه، فحددت هدفها، وبسرعة خاطفة، كانت إحدى يديها على فم الصغير، تحجب صرخاته، والأخرى تحمله، وقدهاها تسابق الريح، غير عابئة بركلات الصغير، الذي يحاول التملص من قبضة الملكة القاسية

جاءت شهرزاد المسكن تحمل فريستها، ووضعت الصغير أرضا، وهي تربت على كتفه وتسترضيه، حتى يسكن روعه، وكأنها تعتذر له، لكنه لم يهدأ، أو يكف عن الصراخ، فلم تجد بدا من حبسه في غرفتها، فأغلقت الباب عليه، وجلست بالخارج، تنتظر بياض الثلج؛ لتملي عليها الخطوة التالية

كانت بياض الثلج تراقب شهرزاد من بعيد، حتى إذا اطمأنت إلى نجاحها في اختطاف الطبي الصغير، وعلمت أن أحدا لم يرها، أسرع إلى حقل الأخلاق والقيم، حيث جمعت بقايا الحشائش الجافة، ووزعتها في جنبات الحقل، وأضرمت النيران فيها، فانطلقت السنة الذهب تلعن من أيقظها، وتعلن نهاية حقل الأخلاق، وتنعي حلم الأميرة ذات الشيم، وجهد حارسها المعلم، وتعب بنات تميم الأمجد معا

لم تكتف بياض الثلج بما فعلت، بل أشعلت النيران في مسجد بلاد القيم، ثم في حديقة منزل الأميرة ذات الشيم أيضا، ثم عادت تتبخر إلى مسكن الخادمت، كأنها لم تصنع شيئا

سألتها شهرزاد أول ما رأتها: ماذا سنفعل بهذا الظبي المسكين؟ قالت بياض الثلج: ما المسكينة إلا أنا، إذ اعتمدت على فتاة مثلك، قد تجبن في خضم الحرب، قالت شهرزاد: هذه ليست حربا، بل هو غدر وغيلة

قالت بياض الثلج: هل تريدين الوصول إلى قلب هذا الشاب المصري أم لا؟ قالت شهرزاد: نعم أريد بالطبع، قالت بياض الثلج: إذا فأطفني عقلك ولسانك، ولتعملي يدك فقط، حتى تصلي أنت إلى هدفك، وأبلغ أنا مرامي

قالت شهرزاد: حسنا وماذا سنفعل الآن، قالت بياض: لن نفعل شيئا سوى الانتظار، والنار ستتكفل بكل شيء، قال شهرزاد مذعورة: أية نار؟! قالت بياض الثلج: النار التي شبت لتلهم حقول الأخلاق والمسجد والحديقة، وهي في طريقها أيضا لمنزل ذات الشيم؛ لتحيله عن قريب كوما من تراب

قالت شهرزاد: هل جننت يا بياض الثلج؟ أتحرقين حقول الأخلاق غير عابئة بمصائر ملايين البشر، ومنهم قومك في بلاد الغرب؟

قالت بياض الثلج: لا ضير في ذلك، فأنا لم أتكلف عناء زراعتها بنفسي، ثم إن قومي لا يفتقرون إلى هذه الأخلاق، حتى أسعى لأن تصل إليهم، أو أحزن حين يحرمون منها، فنحن من نمنع ما نحتاجه من الأخلاق، ونحدد ما يلزمنا من القيم، وهي ليست جامدة كأخلاقكم وقيمكم، بل هي في غاية المرونة، وتملك القدرة على التعديل والتأقلم، حسب ما تقتضيه مصالحنا السامية

شعرت شهرزاد الآن، بأنها أمام وحش متجسد في جسم فتاة، وهمست بصوت ضعيف، وقد أدركت حقيقة الأميرة الغربية: أنت وحش كبير مغرور، ولا تهتمين سوى بنفسك إذا يا بياض الثلج، فسمعتها بياض الثلج، وردت عليها بكل صلف وغلظة: نعم أنا كما تصفين

وحين شعرت بياض الثلج، أن شهرزاد ستظن بها السوء، وقد تخرج من تحت سيطرتها، بسبب هذه التصريحات، عدلت عن أقوالها بقولها: أنا أهتم بنفسي وبك يا جلالة الملكة، فأنت صديقتي وحليفتي الوحيدة هنا، وأنت معاونتي في كل أمري، قالت شهرزاد في نفسها بصوت غير مسموع: بئس الأمر أمرك أمرا قالت بياض الثلج: والآن تعال يا جلالة الملكة؛ لنحتفل قليلا بموت أعدائنا دفعة واحدة، قالت شهرزاد: لكن ماذا لو خاب ظنك، وهربت الفراشات، والغزالة من النار؟

بصوت بارد قالت بياض الثلج: عندها يضاف مشهد آخر في الخطة، لهم فيه مصرع جديد، وسيكون مشهدا مروعا ورائعا أيضا دخلت شهرزاد غرفتها، وحاولت أن تطعم الطبي الصغير، قطعا صغيرة من الفاكهة، كانت قد جلبتها في وقت سابق، من حديقة منزل الأميرة ذات الشيم، فرفض الطبي الرضيع أن يذوق شيئا، فجلست بجواره، وهي تفكر مجددا في التراجع عن هذا كله، وأن تنفض يدها من الحلف المعقود بينها وبين بياض الثلج، لكن هاجسا سمعته يقول لها: إن وقت التراجع قد فات، وصوت بياض الثلج كأنها سمعته، يخبرها بأن من ليس مع الأميرة الغربية، فهو ضدها، ومن كان ضدها فالويل له، وعليه لعنة الغرب أجمعين

ملأ هذا الصوت الأخير الذي لم تسمعه شهرزاد، قلبها وجوارحها بالرعب من هذه المتوحشة الغربية الجاحدة، التي لا قلب لديها، ولا شعور

وأمام هذه الهواجس، بررت شهرزاد لنفسها، المشاركة في الإثم والعدوان الذي تقوم به بياض الثلج، وتسعى إلي المزيد منه بعد قليل، بأنها لا تملك السلاح اللازم لمواجهة غطرسة بياض الثلج، أو مقاومة هيمنتها، وبأن عليها بعد أن ورطت نفسها، أن تنقذ روحها، وإن مات الناس جميعا

وبينما كانت شهرزاد غارقة في بحر هواجسها، وقفت بياض الثلج لدى باب مسكنها، تنظر النار، وقد ابتلعت نباتات الأخلاق الغضة، وتنظرها هي تبتلع أشجار

حديقة منزل الأميرة ذات الشيم، فتتهاوى الواحدة تلو الأخرى، فتيقن بهذا المرأى
ظن كان لديها، بأن الجميع قد مات حقا محترقا

اطمأنت بياض الثلج، إلى احتراق الفراشات الثلاثة والغزالة؛ لأنها طوال مراقبتها
لنمو السنة النار، لم تلحظ أحدا يخرج هاربا من منزل الأميرة ذات الشيم، وأخذت
بياض الثلج عند ذلك، تمنى نفسها بالخلاص، من السمكة الكبرى بالنسبة لها،
وهي الأميرة ذات الشيم، قبل أن تقفل راجعة إلى أوروبا، حيث زوجها الأمير، الذي
أنقذها من كيد زوجة أبيها الساحرة الشريرة

وبينما هي سابعة في خيالاتها الشريرة، فوجئت وبهتت لما رأت بعينيها
الفراشتين، رعدا ورغدا تحلقان أمامها، فدخلت المسكن مسرعة وجلست على
الأريكة ذاهلة، ودخلت الفراشتان في إثرها، في صياح وعويل، وبياض الثلج
تتصنع الدهشة وتقول: ماذا حدث؟؟

ردت الفراشتان معا: النار، الحريق لقد التهم كل شيء، أين شهرزاد؟ قالت بياض
الثلج: أنا لا افهم شيئا مما تقولانه، قالت رعد: هيا بنا أولا، وفي الطريق سأحكي
لك كل شيء، قالت بياض الثلج في برودها المعهود: أنا الآن متعبة، ولن أتحرك
من هنا، قبل أن أقف على كل الأمر، قالت رعد: قومي فانظري من هذا الباب،
لتعرفي كل الأمر

وقفت بياض الثلج، لكنها لم تتجه إلى الباب، بل دخلت إلى غرفتها، فلحقت بها رعد
ورعد، وهما تستغيثان الله، ويلك بياض الثلج هلم معنا، لكن بياض الثلج بحركة
خاطفة أغلقت الباب، ثم استدارت وهي تقول: بل الويل كل الويل لكما، أيتها
الحشرات الملونة، هنيئا لكما، فقد سعيتما إلى حتفكما، وها أنتما قد وصلتما

أمسكت بياض الثلج بالفراشتين بسرعة وبكل سهولة؛ لأنهما كانتا تطيران بصعوبة
بسبب ما أصاب أجنحتهما من الحريق، وبسبب معاناة الدخان الذي يملأ صدورهما
الصغيرة، وفي صندوق خشبي صغير زجت بهما، وأغلقت بإحكام عليهما، وطفقت
تكيل لهما الشتائم، وتهيل عليهما الكثير من اللعنات والتعاويز السحرية، ولم يخل

الأمر من تذكير بفضلها، وبأنها الأميرة بياض الثلج، أميرة بلاد الغرب، ورمز فتياتها، وحلم فتياتها

وبينما تنهمك بياض الثلج في الافتخار بنفسها، طرقت الغزالة الباب غاضبة، بقرونها الطويلة المسيفة، لم تسمع بياض الثلج الباب؛ فحديثها عن نفسها، قد صم آذانها عن كل ما حولها، فمن يومها والفخر شيمتها والكبر إزرتها

طرقت الغزالة الباب بعنف، ففتحت لها شهرزاد، كان منظر الغزالة الملطخ بالسواد يفتت الأكباد، فقد ملأت الحروق جسدها، وحطمت نيران الحطمة روحها، لقد بحثت المسكينة طويلا عن صغيرها، وسط الركام والحريق، فلم تظفر به حيا ولا ميتا، ولم تظفر بأي أثر له، فطار عقلها وقلبها معا دفعة واحدة، وأصبحت كالبو الفارغ من داخله، من القلب والروح، وتزيد على البو بما يغطي جسدها من الجلد المحترق، ولو كانت المسكينة في حالتها الطبيعية، لشمّت رائحة صغيرها في يدي شهرزاد، ولقطعتها بقرونها، لكن الحريق الأثيم عطل جميع مراكز الشعور والإحساس عندها، وحولها إلى جثة متحركة على أربعة أقدام

رقت شهرزاد لحال الغزالة المسكينة، وكادت أن تخبرها بمكان وليدها، عندما سألتها في لهجة بانسة، هل رأيت صغيري الرضيع؟ لكنها قست قلبها، وأمسكت لسانها، وحجبت معرفتها بشيء من أمره، ولم تزد على تحريك رأسها بدلالة النفي، ولم تشفع عندها لا أمومتها، ولا أمومة هذه الغزالة الولهى

وقبل أن تنصرف الغزالة البانسة، التي تكالبت عليها مصائب الزمان، وصلت الفراشة وعد، وقد أتى الحريق على جزء كبير من جناحها الأيسر، فغدت تطير بأصعب صعوبة مرت بها، من يوم أن خرجت من شرنقتها

سألت وعد بدورها شهرزاد، عن أختيها وعد ورغد، قائلة: ألم تري رغدا ورعدا؟ لقد أرسلت بهما إلى هنا منذ قليل، في طلبك وبياض الثلج؛ لإطفاء الحريق، ريثما نبحت عن صغير الغزالة، فردت شهرزاد بصوت عال هذه المرة، وقد كانت صادقة في قولها: لم أر أحدا منهما، لابد أنهما في الجوار، سأخبر بياض الثلج، ونذهب

معا، لمحاولة إطفاء الحريق، فقالت وعد في أسف بليغ: لا داعي لذلك، فقد أتى الحريق على كل شيء، وانتهى كل شيء

قالت شهرزاد في لؤم: هل كان صغير الغزالة قريبا من الحريق، قالت الغزالة بصوتها الضعيف: لقد كان ينام بعيدا عني، وقد استيقظت على رائحة الدخان، فبحثت عنه في أرجاء المكان، وراء كل شجرة، وتحت كل نبتة، فلم أجد له أثرا، ولكني متأكدة أنه لن يجرؤ على الاقتراب من الحريق، فإنه يفرع ذعرا من كل شيء، منذ حادثة الذئاب

أنهت شهرزاد الحوار بقولها: كنت أود الذهاب معكم للبحث عن فقدانكم، لكنني متعبة جدا، وكذلك بياض الثلج، وسنذهب للنوم الآن، قالت وعد لا عليك سنذهب للبحث عنهم حول هذا الجبل القريب، عسى الله يجمعنا بهم جميعا، لكن إذا رأيت أحدا منهم فاستبقيه هنا لديك، حتى حين عودتنا من الجبل

انصرفت الغزالة ووعد، وهما تفكران أين تراهم ذهبوا؟ وأي طريق سلكوا؟ قالت وعد: لقد بحثنا في كل مكان، ولو كانت الأميرة ذات الشيم هنا الساعة، ولو أن سيدي المعلم معنا الآن، لما حدث ذلك

قالت الغزالة بما بقي من سؤر حكمتها في موضع عقلها: قضاء الله لا راد له يا وعد، هيا بنا إلى الجبل، فلم يبق أمامنا إلا هو، فقد فتشنا في كل مكان سواه، قالت وعد: إنه آخر أمل لدينا في العثور عليهم

(اللهم لطفك وعونك لنا) دعت الغزالة بهذه الكلمات، وكأن دعواتها قد اخترقت حجب السموات، فما لبث القمر من بعد إظلامه أن توهج ضوءه، فعاد سراجا منيرا، فاستبشرت الغزالة ووعد خيرا، بعودة القمر إلى نوره، وعدتا ذلك فألا طيبا

قالت وعد: وكأن الله تعالى يبعث إلينا برسالة: أنه معنا ولن يتركنا في بحثنا، عن فقداننا، قالت الغزالة: فلنسرع إلى الجبل إذا

خرجت بياض الثلج من غرفتها، منشرحة الصدر تبتسم؛ لأن بعض أعدائها قد بات رهناء عندها، رقابهم في يديها، وصيدا لديها، قصت عليها شهرزاد خبر الغزالة

ووعده، وذهابهما إلى الجبل، فعضت بياض الثلج أناملها من الغيظ، وصرخت في وجه شهرزاد، التي كانت تلقبها بالملكة منذ قليل، وقالت لها: يا غبية، لماذا تركتيهما تذهبان، ولم تنادي علي لأتخلص منهما ؟

صرخت شهرزاد بصوت أعلى من صوت بياض الثلج: لماذا تتحامقين علي هكذا، أنسيت من أنا ؟ أنا الملكة شهرزاد التي لم يخلق مثلها في البلاد، أنا ملكة العرب والفرس والكرد والهند، ولست إحدى جواريك فأفيقي من غفلتك وغطرستك أيها الأميرة الغربية

شعرت بياض الثلج أنها قد تخسر حليفتها؛ لأنها أخطأت في حقها إذ شتمتها، فاعتذرت آسفة عما بدر منها، وهذأت من روع حليفتها الشرقية، وأوضحت لها الأمر قائلة: لقد ضاعت فرصة الإمساك بالغزالة ووعده، وقد أردت الإمساك بهماح لمساومة الأميرة ذات الشيم عليهما

قالت شهرزاد في ضيق: لا تشغلي بالك، فقد أخبرتني وعد أنهما عائدتان بعد قليل، فانتظري لتفعلي بهما ما بدا لك

قالت بياض الثلج: إني لأعجب، كيف نجا هؤلاء الأوغاد من الحريق، لقد أوصدت باب المنزل عليهم جيدا، قبل أن يصله الحريق، وها هم يتنقلون أحياء دون خوف، وما أخشاه الآن حضور ذات الشيم، وحببيك المصري، قبل أن أتخلص من خطر الغزالة ووعده

قالت شهرزاد: اسمعي يا بياض الثلج، لقد ضقت ذرعا بخطتك اللعينة، وما زلت أتبع أوامرك عمياء دون معرفتي بشيء، فهل ستخبريني كيف ستساعديني في الوصول إلى قلب من أهوى وأحب، أم ننهي الآن هذا العبث ؟

قالت بياض الثلج: نعم سأخبرك، اذهبي الآن وأحضري صغير الغزالة، والحقي بي خلف المسكن، وفعلت شهرزاد ما أملتة عليها بياض الثلج

وخارج المسكن، رأت شهرزاد بياض الثلج، تشمر عن ذراعيها، وتمسك بيدها سكيناً، فهاها منظر السكين، ووقع شيء من الرعب في قلبها، فخشيت على الظبي الصغير فجذبتة إليها، وأشاحت عن بياض الثلج، لكن بياض الثلج أخذته منها وهي

تضحك، وطرحته أرضاً، وأعملت فيه السكين طعناً، حتى بردت أطرافه، وتثقب جسده الهزيل البريء

ثم انتزعت بياض الثلج قلبه الصغير، ورفعته في وجه شهرزاد، قائلة: هذا سبيلك إلى قلب صاحبك الفرعون الشاب، قالت شهرزاد: قلب هذا الصغير البريء؟! قالت بياض الثلج: نعم، سنقوم بشواء هذا القلب الصغير، وسألقي عليه تعويذة سحرية، تعلمتها من زوجة أبي الساحرة الشريرة، ثم تجتهدين ليأكله صاحبك، وبعدها يتحول عن حب الأميرة ذات الشيم، إلى حب الملكة شهرزاد

قالت شهرزاد، وقد أثارتها العبارة الأخيرة، وسلبت عقلها: وكيف ذلك؟ ردت بياض الثلج: هذا القلب الصغير الفارغ الخالي، سيفي بتخليص قلب صاحبك من حب الأميرة ذات الشيم، ثم إن تعويذتي السحرية ستجعل حبك ينعقد بأحشائه، ويختلط بدمه، فتملكي روحه وقلبه، ولا يبرح حبك فؤاده ما حيي أبداً، وعندما يتحول قلبه بحبك عن الأميرة ذات الشيم، ينقلب عدواً لها، فأظفر أنا بها وأفترسها، دونما مانع، ولا مقاوم، ولا حارس يحرسها

شعرت شهرزاد بالرضا، بعدما عرفت، كيف ستصل لقلب حبيبها المصري، وشعرت بالسعادة؛ لأن قلبها قد وجد أخيراً من سيحبه، وسيتحاب إليه، بعد وأد لمشاعرها سنين عجاف، غير أن صورة صغير الغزالة، وهو منطرح على الأرض والسكين في صدره، نغصت عليها رضاها وسعادتها

حاولت بياض الثلج، تبرير الفتك بالطبي الرضيع، وإقناع شهرزاد بأن قتل الصغير كان صواباً، وذلك بقولها: "إنما خلقت هذه الحيوانات، أداة نستعين بها على قضاء حوائجنا، أو لنأكلها، فهي ملك لنا، ومن أجل خدمتنا، وجدت لتتصرف فيها كيف نشاء، وقد فعلنا بالصغير ما خلق من أجله، فلا تهتمي، واعلمي أنني أشتهي أكل هذا الصغير، وذوق لحمه الغض الطري، لكني لن أفعل؛ حتى لا تظني أنني قاسية القلب، قالت شهرزاد في نفسها: ومتى ملك أمثالك قلباً ليقسو أو يرق؟!!!

قالت شهرزاد: سأذهب لأواري جسد هذا الصغير التراب، وأجعله في قبر خاص به، حتى أعرف موضعه، قالت بياض الثلج: ولا تنسي تنظيف هذا المكان، وأن تزيل آثار الدم منه، حتى لا ينكشف أمرنا، والآن اذهبي ريثما أقوم بشواء هذا القلب، وأتلو عليه التعويذة السحرية، من أجل حبك أيتها الملكة الجميلة

وحملت شهرزاد مثقلة جسد الصغير البريء، ومشيت يروح قلبها تحت كلل الحزن، ونير الندم، ثم قامت بحفر قبر للمسكين المراق دمه دون جريرة، غير براءته، ودفنته ثم أهالت عليه التراب، وعادت إلى موضع اغتياله تجر أذيال اللعنات

عادت شهرزاد إلى موقع الجريمة، فرأت عجا مريباً، إذ رأت بياض الثلج عارية تماماً من ملابسها، وهي ثائرة الشعر شعناء، تجحظ مقتل عينيها في احمرار الجمر، وقد أوقدت ناراً وهي تطوف بها، وتتراقص حولها، وفي استمتاع تتلو مترنمة تعويذتها السحرية، وتتفوه بكلمات شيطانية وطلاسم سفلية، وصوتها كفحيح أفعى تتغنى بوسوسة شيطان

ارتعبت شهرزاد من أهوال ما رأت، ولم تجد تفسيراً واحداً لما ترى عيونها، وتمنت في هذه اللحظة فقط أن تعود إلى بلادها، وإلى أولادها وزوجها السفاح

هربت شهرزاد إلى غرفتها، وأغلقت على نفسها الباب بإحكام، واستلقت على سريرها تبكي، وهي لا تعرف ماذا تفعل، وشعرت بأنها قد أصبحت في قلة الحيلة، كمثّل صغير الغزالة الضعيف، وظنت بأن بياض الثلج ستفعل بها، كما فعلت بالطبي الغزالة، من قتل واستخراج قلب، وتمزيق جسد

وبعد ساعة طويلة مريرة، استعادت شهرزاد شيئاً من قوتها، وتمالكت نفسها، وفتحت نافذة غرفتها، التي تطل على ما يقع خلف المنزل، فرأت بياض الثلج، لا تزال تحمل قلب الطبي الصغير في يدها اليسرى، وترفعه عالياً، وتطوف حول النار في دوائر بطيئة، ثم تغمس السبابة من أصابع يدها اليمنى، في قلب الطبي الصغير،

وترسم بما علق في سبابتها من دم، رمزا غريبا على جسدها العاري، عبارة عن هرم، كأهرامات مصر، وفي أعلاه عين واحدة

استمرت بياض الثلج ترسم بسبابتها، من دماء قلب الطبي رسما مكررا على جسدها العاري، حتى لم يبق في جسدها موضعا إلا وقد نقشت عليه هذا الرمز الغريب

ثم ألقت قلب الطبي الصغير في النار، فتضاعف حجم القلب ضعفين، وانطفأت النار وقد شوته من جميع جهاته، وما هي إلا لحظات، حتى ارتدت بياض الثلج ثيابها، وأصلحت شيئا من شعرها، وأبقت ما بقي منه أشعث أغبر كما هو، وحملت القلب المشوي في يدها، وقصدت باب المسكن

ارتعبت شهرزاد مما رأت رعبا شديدا، وأغلقت النافذة، واستلقت على سريرها من جديد، وما هي إلا لحظات حتى سمعت بياض الثلج، تطرق عليها باب غرفتها طرقا عنيفا

فتحت شهرزاد الباب، وفرائصها ترتعد، ورأت بياض الثلج، وقد هدا عنها قبحها نذرا يسيرا، وهي تمسك قلب الطبي مسودا ناضجا، في يمينها وبيديها الملطخة بالوشم والدم، قدمت بياض الثلج القلب، فتناولته شهرزاد، وهي تبتلع غصة في حلقها من الخوف والارتباك، وأدركت بياض الثلج أن شهرزاد، قد رأت وشومها الدموية، التي تظهر في كفيها وساعديها، لكنها لم تلق بالا للأمر؛ لأنها واثقة أن شهرزاد تخضع لها، خضوع جارية مازوخية، لسيدها السادي النازي النزق

قالت بياض الثلج لها: والآن جاءت ساعتك، وحن حينها أيتها الملكة، فترقبني حتى يصل من تحبين، واجتهدي لياكل من هذا القلب، وكلما أغرق في طعمه، زاد في ومقه لك، وشبقه بك

أمسكت شهرزاد القلب، كمن فقد الدنيا بأجمعها، فذل ووقع، بعدما عز وارتفع، ثم جمعت له بأجمعها، فدفعت إليه مرة واحدة

نظرت شهرزاد إلى القلب طويلا تتأمله وتتبينه، كأنها تسأله: هل تنجح أيها القلب الصغير المحترق في إنقاذ قلبي الصغير المحترق؟ أو لعلها تعتذر له وتفكر في مآل فعلها به

انصرفت بياض الثلج إلى غرفتها، وخلفت شهرزاد تعالج عاصفة من الخواطر المخيفة، سألت شهرزاد نفسها، وهي لا تزال تمسك بالقلب وتتأمله: أحقا ما تقوله بياض الثلج؟ أم أنها خدعة سامية، قد انطلت عليها، هل سيحييها هذا القلب المحترق؟ أم سيقتل من تحب، ويقتلها بقتله؟

ارتعبت شهرزاد من هذه الخواطر، وخشيت أن تكتب بيدها شقاءها، إن القلب منظره جد غريب، فهو مغطى بطبقة من السواد فيها شيء من الصلابة، ولم تدر شهرزاد هل سواد القلب من الشواء، أم من التعويذة، أم منهما معا، ثم إن التعويذة السحرية نفسها موضع شك كبير بالنسبة إلى شهرزاد، فمن يديرها، فلربما تكون لعنة قاتلة، تصيب من يأكل من هذا القلب بالموت أو الجنون، فتفقد شهرزاد بذلك حبيبها قد أنست في قربه، على الرغم من بعدها من قلبه، بدلا من أن تجلب لنفسها عاشقا يتيم بها

ماجت كل هذه الخواطر برأس شهرزاد، ثم خرجت منها بنتيجة واحدة، مؤداها أن ليس من سبيل لمعرفة ضرر أو نفع هذا القلب، إلا عند الأكل منه، فعندها ستظهر التعويذة أو اللعنة، وعادت شهرزاد على نفسها فقالت لها: "وما يضير لو أنها لعنة، إن لم أحصل أنا على هذا الشاب المصري، فلن يحوزه غيري أبدا "

لم تستطع شهرزاد أن تغمض عينا واحدة من عينيها لتنام، وقبيل الفجر ذهبت إلى غرفة بياض الثلج، وهي تقدم رجلا، وتؤخر الأخرى؛ لتذكرها بأنه باقى سويغات معدودة، على وصول الأميرة ذات الشيم من رحلتها السماوية، وتسألها عن الخطوات التالية في خطتها، ولتحذرها من احتمال عودة الغزالة ووعد، من الجبل في أي لحظة

طرقت شهرزاد على بياض الثلج باب غرفتها، ففتحت لها بياض الثلج، وهي منشرحة الصدر، بادية الابتسام، فتعجبت شهرزاد من هيئتها الضاحكة، وقد ظنت أنها سترها في غاية الغضب والقهر

قالت بياض الثلج، وابتسامتها تختلط بحروف كلماتها: تفضلي يا جلالة الملكة بالدخول، لتشرفي هذه الغرفة شديدة التواضع، تبذت مخاوف شهرزاد بعض الشيء، وتضاعفت ريبتها، ولكنها جلست على كل حال، حيث أشارت لها بياض الثلج بالجلوس

قالت بياض الثلج: تذكرى يا شهرزاد، ما أخبرتك به عن قلب الظبي الصغير، وطريقة استعماله في استمالة قلب محبوبك، ولا تنسى منه شيئا

قالت شهرزاد بكلمات ثقيلة: لا تخافى أيتها الأميرة، فلن أنسى شيئا من وصاياك أبدا، ازدادت بسمة بياض الثلج اتساعا، وشعرت بالرضا يغمرها، لكنها لاحظت وجوم شهرزاد، واصفرار وجهها، فقالت لها: لماذا تبدين واجمة وخائفة يا جلالة الملكة وقد اقترب تحقيق حلمك؟

ابتلعت شهرزاد ريقها بصعوبة، وترددت كثيرا، ثم تغلبت على مخاوفها قبل أن تقول: أريد أن أسألك أيتها الأميرة عن هذا الوشم الدموي المرسوم على ذراعيك، وما يبدو من رجلك

أطلقت بياض الثلج ضحكة صارخة، وقالت: هل تشعرين بالخوف مني بسبب هذا الوشم يا جلالة الملكة، قالت شهرزاد: نعم فقد رأيتك تطوفين حول النار، وترددتين كلاما غريبا، وترسمين على كل جزء من جسدك العاري هذا الوشم المخيف

اختفت الضحكة وآثارها جميعا، من وجه بياض الثلج، حين علمت أن شهرزاد شاهدتها، وهي تمارس طقوس دينها الشيطاني، وكانت تظن أن شهرزاد لم تلاحظ، سوى ما يبدو على ذراعيها وأرجلها من ظاهر الوشم

قطبت بياض الثلج جبينها، وسرحت بعقلها قليلا، ثم قالت: لا عليك يا جلالة الملكة، فسأخبرك بحقيقة هذا الوشم، إنه وشم جميل يرمز للبناء والتشييد، عبر الزمان والمكان

قالت شهرزاد: أنا لا أفهم ما علاقة البناء والتعمير، بالرسم بالدم المسفوح، قالت بياض الثلج: أنا لم أذكر التعمير في كلامي، بل قلت إن هذا الوشم رمز للبناء والتشييد، ومن يحترفون هذه المهنة من قديم الزمان، وفي كل مكان

قالت شهرزاد: هل يمكنك شرح الأمر لي بطريقة أكثر وضوحا، قالت بياض الثلج نعم على الرحب والسعة، أنا أنتمي إلى جماعة البنائين الأحرار المقدسة، ونحن نمثل السبط الثالث عشر من أسباط بني إسرائيل، رغم أننا لم ننحدر من دم إسرائيل، وهذه العين التي ترينها مرسومة فوق هذا الهرم المنقوش على ذراعي، ترمز لقائدنا وربنا ذي العين الواحدة، ولو كنت أملك السلطة، لساعدتك للانضمام معي إلى جماعتنا، فأنت صديقتي المخلصة، وحليفتي وشريكتي في كل شيء

وعقب سماعهما هذا الشرح، والاعتراف الصادم من بياض الثلج، اضطربت رعد ورعد من داخل محبسهما الخشبي، وصرختا بكلمات كثيرة، مفادها توجيه شتائم للخادمتين ولنفسيهما في نفس الوقت، فشتائم للخادمتين؛ لأنهما خائنتان مخادعتان، وشتائم لنفسيهما؛ لأنهما كانا السبب في وصول هاتين الخادمتين الخائنتين المخادعتين إلى بلاد القيم، والعبث بها وتدميرها، والتآمر على أميرتها

اشتد غضب الخادمتين؛ لما انهال على آذانهم الملكية النبيلة من شتائم واتهامات، بالخداع والخيانة والتآمر، وبينما تمالكت الملكة الشرقية نفسها وأعصابها، وآثرت الصبر الاستراتيجي، اختارت الأميرة الغربية التصعيد والعنف المفرط غير المبرر، رداً على كلمات رعد ورعد، فأخذت تركز الصندوق الخشبي بكلتا قدميهما، بالتبادل بينهما، حتى أصابها الإعياء، وشعرت أنها نفذت حكم الإعدام ركلا بالأقدام، في هاتين الحشرتين الملونتين

كان توقف بياض الثلج عن ركل جدران الصندوق؛ بسبب تعبها، وكان قد سبقه بفترة طويلة توقف صوت رعد ورعد، وحركتهما المضطربة داخل جدران هذا الصندوق، وهو ما طمأنها إلى نجاحها في قتل الفراشتين

ساد الصمت المكان لحظات طويلة، ثم رفعت بياض الثلج الصندوق بيديها حتى آذانها، وأخذت تتسمع للتأكد من موت الفراشتين، وحين تأكدت من ذلك فتحت الصندوق، وأفرغت ما حواه على الأرض، فسقطت الفراشتان شهيدتين، وبياض الثلج تصيح معبرة عن سعادتها بما فعلت قدماها، وهي تهتف في حبور وخشوع: تقبل مني وارض عني، يا سيدي الأعور

نظرت شهرزاد إلى الفراشتين الشهيديتين فرقت ل حالهما، وانطلقت دموعها تجري في مجاريها، فقد تذكرت تفاصيل ومراحل المسابقة التي جرت في بلاد الحكايات الشرقية، وتذكرت تهنئة رعد المخلصة لها بتفضيلها على بطلات الحكايات الشرقية كلها، واختيارها من قبل لجنة التحكيم بأغلبية صوتين لصالحها، مقابل صوت واحد لصالح منافستها في الجولة النهائية من المسابقة، الملكة منية النفوس بنت الملك العبوس، زوجة الملك سيف بن ذي يزن

أرادت شهرزاد أن تحمل الفراشتين بين يديها، لتدفنهما بنفسها، غير أن بياض الثلج منعها في شدة، وقالت لها: اتركيهما فأنا أحتاجهما، للإيقاع بأختهما الثالثة وسحقها، وأحتاج ثلاثتهم لأداء طقوس تعبدية لسيدي المسيح الأعور المحبوب

قالت شهرزاد وقد تملكها الغيظ والجنون، ومن يكون سيدك المسيح الأعور المحبوب هذا ؟

قالت بياض الثلج بكل عزة وفخر، إنه سيدي وإلهي المسيح الجميل الأعور، الذي سيحكم الأرض كلها في زمانه، قالت شهرزاد بسذاجة الفتاة الشرقية: إذا أنت مسيحية؟ قالت بياض الثلج: أنا لست مسيحية بالمعنى الذي تفهمونه في بلادكم الشرقية، فأنا لا أعبد المسيح الذي تعرفونه في بلادكم، بل أعبد المسيح الأخير الجميل الأعور، وهو العدو اللدود لمسيحكم الشرقي، وكلاهما سيسعى لقتل الآخر

قالت شهرزاد في عجب: وكيف تعرفت على هذا الأعور؟ قالت بياض الثلج: أنا لم أتل شرف رؤيته حتى الآن، لكنني درست تاريخه على يد رؤساء جمعيتنا البناة، وعلمت أنه قد ولد وظهر، في نفس وقت ظهور نبي العرب، وكان يحمل اسم صافي بن صياد، وأن نبي العرب قد ارتعب منه ومن قواه، وحاول التجسس عليه وقتله فلم ينجح

فلما علم سيدي المسيح، بهذه المؤامرات العربية عليه، قرر الاحتجاب عن العيون، فركب البحار البعيدة، حتى ظفر بجزيرة يقيم فيها، ولسوف يعود إلى أحبائه وعباده من هذه الجزيرة، قبيل ظهور مسيحكم الشرقي بمدة قصيرة، وسيحكم العالم كله، وتدخل جميع شعوب الأرض في عبادته، ويومها سيكافئ المبشرين به، والمخلصين في عبادته من أمثالي، وأنا أتلهف لمعرفة ما يخبئه لي من مكافآت وهدايا، ولذلك أجتهد في عبادته بإخلاص، وأؤدي طقوس عبادته التي تعلمتها من أنبيائه بكل خشوع وسعادة

أرادت شهرزاد أن تستنكر، وأن تبدي اعتراضها على ما سمعت، وأن تدافع عن عقيدتها الإسلامية، وعن السيد المسيح المعلم، فلم تمنحها بياض الثلج الفرصة، بل انطلقت تتغزل في وصف ربها الأعور، وتقارن بينه وبين المسيح عيسى ابن مريم عليه السلام، فذكرت أن مسيحها غضوب، شديد الغضب، يحب الغضب ويجازي عليه، ويحب سفك الدماء وخاصة دماء أعدائه، وعلى العكس من ذلك،

عدوه المسيح الشرقي، فهو حليم شديد الحلم، ومحب للرحمة والسلام، وفي حين يفخر ربها بتجبره على العباد، وامتلاكه مصائرهم، وقهره لجميع الشعوب بسيفه، يتواضع المسيح الشرقي، ويصف نفسه بأنه في ضعف الدودة

فهمت شهرزاد، من كلام بياض الثلج عن معبودها، أنها تعبد المسيح الدجال الذي حذر منه الأنبياء جميعا، وأن هذه الأميرة الغربية تعمل مع جمعيتها التي تنتمي إليها، على تمهيد الأرض، وتهينة العالم، لاستقبال دعوة المسيح الدجال، والتبشير بقرب ظهوره

وتيقنت شهرزاد أنها أمام وحش شيطاني حقيقي، وأن عليها بذل المزيد من الطاعة لاسترضاء هذا الشيطان؛ خوفا منه بدلا من مقاومته وكف أذاه عن العالم، أو حتى التبليغ عنه وإفشاء مخططاته

لقد كبلت الملكة الشرقية نفسها وروحها، بقيود الخوف من بياض الثلج من ناحية، ومن ناحية أخرى اطمأنت بياض الثلج إلى تبعية شهرزاد لها؛ لما خلقتة بينهما من مصالح مشتركة

ومن أجل تلك المصالح، قررت شهرزاد طواعية الاستمرار في تنفيذ بنود خطة بياض الثلج، حتى تفوز بقلب أميرها المصري، وتعود معه إلى مصر حيث يعيشان على ضفاف النيل الساحرة

نهضت شهرزاد من مجلسها فجأة، وبكل عزم قالت: سأذهب الآن خلف هذا المسكن؛ لأنظف آثار دماء الطبي، وبقايا النيران، فهل تطلبين مني شيئا آخر يا سيدتي الأميرة ؟

قالت بياض الثلج، وقد أغرمت بانسحاق شهرزاد لقراراتها: لا شيء آخر أيتها الملكة، اذهبي ونظفي المكان، وأنا سأنظف هذا المكان من آثار هذه الحشرات، وسأفكر في حيلة لاصطياد الفراشة الثالثة

انصرفت كل خادمة من الخادمتين؛ لتنظيف آثار جرائمهما، وكلتاها تمنى نفسها
بما ستحصل عليه في نهاية هذا الصراع الذي بدأ، منذ صعدت الأميرة ذات الشيم
في رحلتها السماوية

استغل حارس الأميرة المعلم، فرصة الانفراد بزوجته الأميرة حميدة، فوق البساط الهلالي لدى صعوده للسماء، وأعلن لها عن حبه، وأخبرها أنه عاشق متيم بها، وأنه يرغب بعد عودتهما إلى بلادهما، توثيق عقد زواجهما، ثم سألها عن رأيها فيما سمعت

طربت الأميرة وخجلت مما سمعت، وصمتت طويلا، ثم عالجت خجلها، وأخبرت زوجها بأنها تبادله حبا بحب، لكنها لا تستطيع مناقشة أي أمر يخص مستقبلها إلا في وجود أهلها

قنع حارس الأميرة المعلم، بما سمع قلبه من قلب محبوبته الأميرة، وأخذ يفكر في نفسه في الطريقة المناسبة لإقناع الحاج حماد، بالتراجع عما اشترطه عليه من تطلق ابنته، فور عودته من بلاد القيم

تذكر حارس الأميرة المعلم، أنه قد قطع على نفسه وعدا وعهدا، أن يطلق الأميرة بعد العودة من بلاد القيم، فسيطر على نفسه وقلبه الهم الشديد، وظهر هذا الهم في وجهه وسكوته

فطنت الأميرة بذكائها لما أحزن زوجها، وأرادت أن تصرفه عن همه وتفكيره، وأن تخرجه من سكوته، وتشغل باله ولسانه بالحديث، فسألته عن سبب كراهيته للخادمتين شهرزاد وبياض الثلج

وجاءت إجابة حارس الأميرة المعلم، على عكس رغبة الأميرة ذات الشيم، فبدلا من أن ينخرط في كلام طويل، لم يزد في رده على جملتين لا ثالث لهما، فقال : لا أدري، هناك شيء داخلي يحذرني منهما على الدوام، ثم عاد لصمته الحزين

لم تياس الأميرة من دفع زوجها المعلم، للتخفيف عن نفسه بالانطلاق في الحديث، فقالت له: هذه أول مرة أراك على هذه الصورة من الحزن، فهل حملت قبل اليوم مقدارا من الحزن، كالذي أراك تحمله اليوم؟

نظر حارس الأميرة المعلم، إلى وجه زوجته الأميرة، وقد فهم هدفها النبيل، فلم يرد أن يخيب مسعاها، واستسلمت نفسه للانخراط في الحديث فقال، نعم حزنت أضعاف حزني هذا في يومين مختلفين من أيام حياتي، أولهما يوم الأول من ديسمبر عام ٢٠١١ ميلادي

ففي صباح هذا اليوم، أبلغني مدير المدرسة الإعدادية، التي كنت أعمل فيها، قبل انتقالي إلى المدرسة الثانوية، بقرار مديرية التربية والتعليم بقنا بفصلي عن العمل، بعد توصية من الجهات الأمنية بفصلي؛ لاتهامي لديهم بالانضمام إلى جماعة إسلامية محظورة، تشكلت على خلاف القانون، وسعت لقلب نظام الحكم، وتهديد السلم الاجتماعي، ونشر الفوضى في البلاد

أصبحت بعد فصلي من العمل، كالطائر الذبيح الذي يتلوى من الألم، ولا مفر له من الموت المحقق، وضافت أمام عيني كل السبل، وشتت في أزمتي تلك، كل عدو ومبغض

لقد قاومت يأسى ورغبتى في الموت كثيرا، ولجأت إلى باب الدعاء أحمل عجزى وتجردى من كل أسباب الدنيا، وألححت على الله في الدعاء، أن يفرج كربى، ولم أكن أدري كيف يكون الخلاص، والتفريج لكربى

طرقت باب ربى أكثر من خمسين يوما وليلة، وفي صباح اليوم الخامس والخمسين، الموافق الخامس والعشرين من يناير عام ٢٠١١ ميلادي، حدثت معجزة لم أكن، ولم يكن أحد على وجه الأرض يتوقعها، وثارت جماهير الشعب المصري، تطالب بالعدل والحرية، وفوجئت باتصال هاتفى من مسئول كبير في مديرية التربية والتعليم بقنا، يخبرنى بأن مسئولى المديرية، يبحثون عني بكل الطرق، لأنهم إجهت الإجراءات الإدارية المطلوبة، لإلغاء فصلي من الوظيفة، وعودتي لمباشرة عملي في مدرستي

لقد رأيت في تلك الأزمة قدرة الله حقا، وانحيازه التام للضعفاء والفقراء والعاجزين، وشاهدت بعيني من أراد أن يحرمني من مصدر رزقى، محروما من

عمله ووظيفته، وشاهدت بعيني من أراد أن يسجنني، مسجوناً وراء القضبان
السوداء، يلبس ثوب الذل والعار

قالت الأميرة ذات الشيم: سبحان الله اللطيف الخبير، صدق من قال: إن الدعاء هو
السلح والدواء، للصابرين والعاجزين والمكلومين
قال حارس الأميرة المعلم: نعم صدقت يا أميرتي الحبيبة، فإن الدعاء لله يغير من
قضاء الله

قالت الأميرة ذات الشيم: أخبرني يا أستاذي عن يوم حزنك الثاني، قال حارس
الأميرة المعلم: إنه يوم أن قرأت اسمك، في أبيات قصيدة الربيع لأبي تمام، قالت
الأميرة ذات الشيم: أظن أن هذه القصيدة مقررة علينا في منهج الصف الثاني
الثانوي، وسوف ندرسها بعد أن ننتهي من دراسة، قصيدة مدح المتنبي لسيف
الدولة الحمداني

قال حارس الأميرة المعلم: بالضبط يا أميرتي الحبيبة، فقالت الأميرة: وما الذي
أحزنك حين قرأت اسمي في قصيدة أبي تمام ؟

تنهد حارس الأميرة المعلم، ثم قال في شيء من الحياء: لقد كنت يا أميرتي
الحبيبة، أحلم بأن يجمعني الله بفتاة صالحة أحبها، منذ كنت في الصف الأول
الثانوي، وقد جهزت قلبي لاستقبال تلك الفتاة الصالحة، وأقسمت بيني وبين نفسي
على الإخلاص التام في حبها، وأقمت سنوات طويلة أدعو الله أن يجمعني بتلك
الفتاة المجهولة، وانتظرت منه الإجابة لدعواتي اللحوة، فلما مرت سنوات
المرحلة الثانوية، وانتقلت إلى الجامعة، يأس قلبي من إجابة ربي لدعائي، فتوقفت
عن الدعاء، وأقنعت نفسي بأنه لا توجد فتاة صالحة في هذه الدنيا، تصلح لأن
يحبها قلبي، ومن هنا بدأت كراهيتي لكل بنات آدم

قالت الأميرة: وماذا حدث بعد ذلك ؟ قال حارس الأميرة المعلم: فلما قابلتك وتعرفت
على اسمك، وأحببتك يا أميرتي الحبيبة، وطالعت عيني قول أبي تمام في قصيدة
الربيع:

نزلت مقدمة المصيف (حميدة) ويد الشتاء جديدة لا تنكر

تذكرت أنني قد حفظت أبيات هذه القصيدة، حين كنت في مثل سنك، في منهج الصف الثاني الثانوي، وأن اسمك كان طوال الوقت، منذ عشرة أعوام كاملة، أمام عيني، وفي عقلي وذاكرتي، وعلمت بأن الله تعالى قد استجاب لدعواتي اللوحية، ووضع أمام بصري، اسم الفتاة الصالحة التي سيحبها قلبي، وأنني أسأت الظن بربي، فحزنت وبكيت لذلك كثيرا

ابتسمت الأميرة وقالت في حياء: الحمد لله الذي أغلق عينيك وقلبك، عن كل فتاة غيري، فقال حارس الأميرة المعلم وهو يضحك: نعم الحمد لله، وسبحان من جعلك ربيعا لفؤادي، وحفر اسمك المميز في عقلي، قبل أن تراك عيوني بعقد من الزمان

استمر البساط بعد إقلاعه من أرض بلاد القيم، يصعد بالأميرة وحارسها المعلم مخترقا السحب، وكاشفا الحجب، حتى خرج بهما إلى الفضاء الخارجي الأرحب، وهو يتبع بدقة أوامر حارس الأميرة، في مقدار سرعة طيرانه، وفي الاتجاه يمنة ويسرة

وهنا في الفضاء البعيد بدا للأميرة وحارسها، حقيقة حجم ومقدار الإنسان الحقيقي في هذا الكون العملاق، ورأيا هنالك من آيات ربهما الكبرى، مما قد جمل الله به هذا الكون، وشهدا بأعينهما عظمة تكريم الله تعالى للإنسان، فقد سخر الله تعالى كل هذا الكون الفسيح لخدمة الإنسان، وهو المخلوق الخصيم العجول الجهول الأكثر جدلا

في هذا الفضاء كل شيء بدا رهيبا ومختلفا من أعلى، فالأرض والكواكب بسرعة ترجف لها القلوب تدور حول الشمس، وحول نفسها، كل في فلك يسبحون، والمجرة كلها تمضي في طريق، لا يعلم منتهاه إلا الله

رأت الأميرة وحارسها المعلم، النجوم التي تنتثر في السماء؛ لتثير ظلماءها وتزين صدرها، وكأنها معلقة فيها بأحبال لا ترى، ورأيا نجوما تولد وتتكون، ونجوما تحترق وتموت، ورأيا نيازك وشهباً تطير في مسارها، وتنقض على أهدافها التي لا يعلمها إلا الله

تخطت الأميرة وحارسها المعلم، خط التعجب والدهشة بأشواط بعيدة، فقد وصلا لحالة لم يصفها من قبل إنسان، ولن يحيط بوصفها لسان ولا بنان، ولن يسجلها شاعر أو فنان

كان شعورهما خليط شعور من العجب والإعجاب، يمتزج بالرهبة والارتعاب من كل جرم سماوي، ويغلفه الفضول والرغبة الشديدة في رؤية المزيد، والتعرف على الأكثر، والوقوف على خبر كل سالك، أو ساعي في هذه السماء، من كواكب ونجوم تسبح خالقها

قضت الأميرة وحارسها المعلم، في التنقل بين مدارات تلك الأجرام السماوية شوطا من الليل، وكان شيقا ومشوقا الحديث الذي دار بينهما، عما يريا من النجوم وألوانها وأنواعها، وعن الكواكب وأحجامها وأقمارها، فكل منهما يدلي بما لديه من دلاء المعارف الفائقة الغزيرة، ولما لا وكلاهما يأتدّم بالكتب إداما، ويتخذ منها قميصا وإزارا، ويلتحف بها التحاف، ويود لو أن يغلق عليه باب في مكتبة لا ينفتح، ولا يفتح أبدا

ومن أعجب ما جرى في هذه الرحلة العلوية، أن الأميرة ذات الشيم وحارسها المعلم، كانا يسمعان كلما اقتربا من جرم سماوي، صوت هذا الجرم، وهو يتكلم بلسان عربي مبين، يسلم على الأميرة ذات الشيم، ويناديها باسمها ولقبها، فيقول بصوت مدو وفصيح: السلام عليك أيتها الأميرة العربية، مرحبا بالأميرة حميدة ذات الشيم وحارسها المعلم

ارتعبت الأميرة عند سماعها، لصوت أول جرم سماوي سلم عليها، ثم فهمت الأمر واطمأنت، وأسبغت على من حولها تحياتها، ولم تحرم أحدا من سلامها بصوتها وبإشارة يدها

وكذلك شعر حارس الأميرة المعلم بشيء من الخوف، ثم أدرك الأمر وفهمه، وسعد كثيرا بما نال من مكانة عظمى، من انتسابه إلى أميرة الأخلاق والقيم، وقيامه بمهمة حراستها وحمايتها والدفاع عنها، وتبصيرها بما قد يحيط بها من أخطار،

ومن جراء إخلاصه في مهمته، بلغ المراتب العلا، حتى غدت نجوم السماء ترسل إليه تحياتها

لقد كان الكون حقاً، في شوق لرؤية الأميرة ذات الشيم، وكانت السماء أشد أجزاء الكون حملاً لهذا الشوق، وها قد قدر للكون وسمائه أن تغمرهما الأميرة ذات الشيم، بفضلها العميم

انشغلت الأميرة العربية الكريمة، برد التحيات بأفضل منها على ما حولها من الأجرام السماوية، مهما كان حجمها أو نوعها، ولاحظت الأميرة وحارسها المعلم أن الأجرام السماوية، التي ترد عليها الأميرة التحية والسلام تزداد توهجاً، ويتضاعف ضوءها على الفور، ومن أجل ذلك ينطلق صوت هذه الأجرام من جديد، يشكر الأميرة العربية، على ما جادت به عليه من حل الأنوار الجديدة

لكن أشد ما جذب انتباه الأميرة ذات الشيم، وسط هذا الضجيج، الذي يلهج بإلقاء التحية والسلام عليها، أو يقدم الشكر والامتنان لها، أن ضوء القمر أخذ فجأة في التضاؤل والخفوت، رغم أنه قد أعطى الأميرة حقها في التحية والسلام، وأهدت إليه الأميرة صدقتها من حل الأنوار الجديدة

لقد خالف القمر، جميع عاداته المعهودة منذ خلق في هذه الدنيا، ومنذ أسكنه الله في هذا الموضع من السماء، وكتب عليه أن يسبح في هذا المدار، فرغم أن هذه الليلة ليلة اكتماله بدراً، إلا أن ضوءه يضمحل وينزوي بسرعة شديدة، وكأن مكروها كريها أصابه، وصرفه عن إتمام أنواره، أو منع منه أنوار التمام

اندهشت الأميرة ذات الشيم لما رأت من حال القمر، وتساءلت في نفسها عن هذه الظاهرة الغريبة، وحاولت أن تجد تفسيراً لها، فلم تستطع، ثم سألت حارسها المعلم فلم تجد عنده جواباً يغني، فطلبت منه أن يتجه بالبساط ناحية القمر، للوقوف على حاله

اقترب البساط بمن عليه، من القمر المحروم من أنواره، كان القمر يئن في ألم، ويبكي كرضيع فطمته أمه، ولا يزال يحلم بطعم لبنها في فمه، قالت الأميرة ذات

الشيم: السلام عليك أيها السراج المنير، قال القمر، تزاوّل حلقة غصة شديدة المرارة: عليك وعلى حارسك المعلم السلام يا سيدتي الأميرة، إن من أسباب سعادتي أن تهتمّي لأمرّي يا سيدتي الأميرة، ولكنّي يا مولاتي، ما عدت سراجاً ولا منيراً

قال حارس الأميرة المعلم: فهلا أخبرتنا بما أصابك، وما سبب ارتعاش صوتك، كأنك في آخر سكرات الموت، قال القمر بصوت متحشرج: صدقت يا سيدي الحارس المعلم، فأنا في نزعي الأخير، في سكرات موتي، ولن يقوى أحد على غوثي، قالت الأميرة ذات الشيم بكل لطف ورقة: ألا تخبرنا بما أصابك لعلك لا تعدم مساعدة قال القمر، وقد جرى بعض الرجاء في جنباته، لا يقدر على مساعدتي في العالمين سواك يا مولاتي الأميرة، قالت الأميرة ذات الشيم: قل لي كيف أساعدك، وسأكون في خدمتك على الفور

قال القمر النازف، لآخر قطرات نوره، وهو يشرح حاله للأميرة: قد تعودت يا مولاتي الأميرة منذ خلقتني الله تعالى، أن أستمد أضوائي من الشمس، وعشت طوال عمري عاكساً لضوئها، وحييت متحملاً تجريحها القاسي، ومعايرتها الشديدة لي بسبب تبعيتي لها، وقد تحملت كثيراً منها، وسط هذا الكون لأؤدي رسالتي، وأضيء لأهل الأرض ليلهم، لكن قد بلغ الماء الزبي، فقد وصفتني اليوم بأنني عبد إحسانها، وأخرجتني أمام جميع الأجرام السماوية، فتصدت لطعنها وتفحشها في أقوالها، فغضبت علي، وقطعت عني ضوءها، وحبست عن مرآتي شعاعها، فأخذ نوري في الاضمحلال، وأصبح انطفائي إلى غير عودة، أمراً حتمياً لا مفر منه، ما لم تساعدني يا مولاتي أيتها الأميرة العربية الكريمة

قالت الأميرة ذات الشيم: وماذا تطلب مني أساعدك به، قال القمر: أن تمنّي علي وعلى هذا الكون، وعلى أهل الأرض أجمعين، فتسمحي لي أن أقبس قبساً من فيوض نور وجهك، كما حلمت طوال عمري، فيرويني نور وجهك، فأمثلاً وأمثلاً الكون نوراً

قالت الأميرة ذات الشيم، وقد أخلجها إطراء القمر عليها: إن كان ذلك يجديك نفعاً، ويرضيك، فلك ما تطلب، وأكثر منه، ومزيداً عليه، فرد القمر في لهفة من بشر بالجنة، بعد قنوط منها، أشكرك يا مولاتي الأميرة، شكراً لا يحد بحد، باسم كل سار في ليله مسترشداً بنوري في البر والبحر والجو، وباسم كل الشعراء وجميع العاشقين المتيمين الذين ينظرون إلى وجهي، فيتذكرون محبوباتهم، أو يشبهونهن بوجهي، لقد أسريت عني وعنهم يا مولاتي، وقد طوقت بجميل فضلك جيد الأكوان ومن فيها كلها، شكراً أيتها الأميرة العربية الجوادة، فنعم الجود جودك وفي الحال تزايدت أنوار القمر، وتضاعفت بسرعة ضوئية، وتكاملت حتى امتلأ وجه القمر بدراً، وعاد كأحسن ما يكون، وخيراً مما كان

ملأ القمر لسانه بالكلمات، وأفرغه شكراً من جديد للأميرة العربية، التي اعتقته من تبعيته للشمس، ثم جعل القمر يهتف صارخاً من فرحته ويقول: الحمد لله، فمن الآن وحتى يوم القيامة، سيثبت بداخلي نور بدر مكتمل على الدوام، حتى وإن رددت هلالاً أو محاقاً، فسأكون هلالاً أو محاقاً يحمل أنوار بدر التمام، وستكون كل أيامي أيام التمام، ولن يلحقني بها أبداً نقصان

ومن اليوم سأعكس هذا النور العربي المبين، ومن اليوم لن أخضع لغطرسة الشمس، فقد بدأ تاريخ عزتي من هذه الساعة، ولولا قول ربي في الآية التاسعة والثلاثين من سورة يس، لبقيت بدراً مستديراً منيراً إلى يوم الساعة تعجبت الأميرة وحارسها المعلم، مما جرى أمامهما للقمر، ولولا أنهما شاهداه بأعينهما لما صدقا حرفاً واحداً منه

حمد حارس الأميرة المعلم ربه ثم قال: إن هذا اليوم حقاً من أيام العرب وتواريخ أمجادها، فمن اليوم سيضيئ ليل الكون المظلم بأنوار العرب، إنه اليوم الذي يستحق أن يقرن بيوم ذي قار وأمثاله

قال حارس الأميرة هذه الكلمات، ثم خر على البساط ساجداً شكراً لله على نعمه، ومن خلفه سجدت الأميرة شكراً لله، على ما منحها من جزيل نعمه، وما أعطاه من

قدرات خارقة، لم تكتشف منها شيئا بعد، وكانت تظن نفسها مجرد فتاة عربية من أقصى صعيد مصر، لا ذكر لها بين الأمم

وهكذا لبس القمر ثوبا جديدا أبديا، من أنوار الأميرة العربية، وكانت ساعة إعادة شحنه بالنور العربي، هي ذات الساعة التي بدأت فيها الغزاة الحكيمة والفراشة وعد، بحثهما في جبل بلاد القيم عن شهداء الغدر الثلاثة: الطيبي الصغير والفراشتين رغد ورعد

فبينما كانت الغزاة و وعد، تبحثان عن ذويهما الشهداء، أظلم القمر وضاع نوره، وكان ذلك بسبب امتناع الشمس عن إرسال أشعتها لمرآة القمر، فلما رأت وعد والغزاة إظلام القمر، توجهتا إلى الله بالدعاء، وتوسلتا بضعفهما الشديد، وعجزهما وقلة حيلتهما، فاستجاب الله دعائهما، ورحم ضعفهما وعجزهما، وكانت تلك هي لحظة إلباس القمر حلة نورانية جديدة، مستمدة من نور الأميرة العربية ذات الشيم

وهكذا عاد للقمر نوره بدرا، وعاد للأرض نور القمر، وانطلق لسان القمر في السماء يغني الأنشودة الشعبية المشهورة التي يحفظها الصغار والكبار من المسلمين، وغرد القمر بصوت مدو في أرجاء السموات قول المنشد:

قمر

قمر سيدنا النبي قمر

وجميل

وجميل سيدنا النبي وجميل

وغنت الأميرة وحارسها المعلم مع القمر هذه الأنشودة الرائعة، واتحدت الأصوات بقول المنشد:

وكف المصطفى كالورد نادي

وعطرها يبقى إذا مست أيادي

وعم نوالها كل العباد وعم نوالها كل العباد ...

ولا ظل له بل كان نورا

تنال الشمس منه والبدورا
ولم يكن الهدى لولا ظهوره
وكل الكون أنار بنور طه ...
وهكذا أيضا انطلقت على الأرض الضعيفتان الغزاة ووعد، في جنبات جبل بلاد
القيم، وتحت لواء هذا النور العربي الجديد الذي يعكسه القمر، للبحث عن ذويهما
من الشهداء المظلومين

سعدت الأميرة ذات الشيم؛ لفرحة القمر، وطربت لكلماته، واندمجت معه في أنشودته، قلبا وروحا وجوارح، حتى النهاية، ثم أشارت لحارسها المعلم بالانصراف؛ لمشاهدة باقي عجائب السماء من آيات ربها الكبرى، وذلك بعد أن استأذنت من القمر، وتركته غرس نعمتها، وهي تبتم وتلوح له بيدها، ولا تزال تردد الأنشودة بصوت منخفض، وابتسامة ساحرة

مال حارس الأميرة المعلم بالبساط، عن موضع القمر، وابتعد عنه، وسط سيول شكره وامتنانه، للأميرة وحارسها المعلم، وما هي إلا سوية، حتى لاحت لهما صورة أشباح متكاثفة من بعيد

اقتربت هذه الأشباح من البساط بسرعة، فإذا هي حشد كبير يقترب، خشي حارس الأميرة المعلم على أميرته، فهم أن ينحرف بالبساط عن موضع ذلك الحشد الطائر؛ لينجو بالأميرة هاربا، لكن الحشد ما لبث أن غشيهم بسرعته، وأحاط بهم قبل أن يأمر البساط بالابتعاد، رغم أن هذا الحشد، لا يطير بواسطة أجنحة بجوانبه، ولا بساط تحت أقدامه

تأمل حارس الأميرة المعلم، فإذا هذا الحشد جمع غفير من البنات الجميلات، يلبسن زهورا بألوان زاهية مختلفة، قد صيغت تيجانا وقلائد، وعليهن صفات ملابس بنات اليونان، والرومان، وبنات أوربا، في عصورها المختلفة

ومن أول وهلة، عرف حارس الأميرة المعلم، هذه الهيئات والصفات، فقد أغرم من صغر سنه بقراءة التاريخ، وأولع بكل تفاصيله، وخاصة التاريخ الاجتماعي، بداية من أسباب نهضة المجتمعات وتحولها إلى دول ناجحة، ثم انهيار تلك المجتمعات وسقوط دولها، وانتهاء بعادات الشعوب وتقاليدها وأخلاقها، وطرق طعامها وشرابها وصفات أزيائها

كان الحشد يتألف من مئات الألوف من البنات، ويمكن تقسيمهن ظاهريا، من خلال ملابسهن التاريخية، إلى عدة مجموعات، مجموعة من بنات اليونان، ومجموعة من بنات الرومان، ومجموعة من بنات أوروبا في عصر همجيتها، ومجموعة من

بنات أوربا في عصورها الوسطى، وأخيرا مجموعة من بنات أوربا في عصرها الحديث، وتتقدم هذه الحشود الحاشدة فتاة واحدة، يبدو أنها الأميرة الآمرة عليهن جميعا

كانت أميرة تلك الحشود الكثيفة فتاة في منتهى الجمال، بل إنها تعد بحق نموذجا وأيقونة للجمال البشري، ومثالا ومعيارا يقاس عليه مدى جمال المرأة في كل العصور، فقد بلغت رشاقة جسمها وتناسق أجزائه الحد الأقصى، وبلغت تفاصيل وجهها الأشقر، وعيناها الزرقاوان اللامعتان الغاية من الدقة والإتقان، ويتوج كل ذلك شمس شعرها القصير الذهبي اللامع

تقدمت أميرة حشود بنات الغرب خطوات في الهواء، وعن يمينها وشمالها فتاتان، باتجاه البساط الذي تقف عليه الأميرة العربية ذات الشيم وحارسها المعلم، وهما لا يصدقان ما يريان

قالت أميرة الحشود الغربية، بصوت يفتت القلوب من عذوبته، وكأنه صوت ملقعة ذهبية سقطت ترن، في كأس مجوف من الألماس: مساء الخير يا مولاتي الأميرة ذات الشيم، مساء الخير يا سيدي الحارس المعلم

ردت الأميرة ذات الشيم بتحية، تخللتها ابتسامة خفيفة، مزجت حذرا ترقبا وارتقابا، ولم يرد حارس الأميرة المعلم السلام، على أميرة الحشود الغربية؛ فقد كان منشغلا بتفقد الموقف، وتقدير المخاطر المحتملة، فهو يحاول أن يفتش بعينه هذه المجموعات من البنات، هل هي مجموعات مسلحة؟ أم مجموعات مسالمة؟ وتحسبا لأي غرة تلوح في الأفق، يدبر في عقله خطة؛ للنجاة بالأميرة ذات الشيم

سيطر القلق والحذر، على نفس حارس الأميرة المعلم وعقله، غير أن شيئا من الاطمئنان تسرب إليه، لما لمس من وداعة لا تُخطأ، على سحناء هذه الحشود من البنات الغربيات، لكنه كعادته لم تركز نفسه بالتسليم إلى تمام الاطمئنان، حتى بعد أن أجال عيونه عدة مرات، بين مجموعات البنات، وتأكد أن واحدة منهن لا تحمل

أي نوع من أنواع الأسلحة، جعل همه المراقبة والترقب، لأي تحرك قد يبدو من هذه الحشود

سألت الأميرة ذات الشيم، أميرة الحشود عن شخصيتها، وطلبت منها التعريف بمن حولها، فقالت أميرة الحشود، بصوت موسيقي الإيقاع: أنا الأميرة ديانا، شهيدة الحب والسلام، وعن يميني الربة اليونانية أفروديت، وعن شمالي الإمبراطورة الرومانية هيلينا بنت الإمبراطور قسطنطين العظيم، وهذه الحشود التي ورائي هي حشود الأميرات والملكات، والكاهنات العذراوات في بلاد الغرب، من أقدم العصور حتى اليوم، وقد جئنا إلى حضرتك اليوم؛ لنقدم لك فروض الطاعة، والاعتراف بسموك أميرة علينا، ونقدم لسموك تذكارا جميلا

قالت الأميرة ذات الشيم: مرحبا بكن، قد سررت برويتكن جميعا، فقالت حشود الفتيات بصوت واحد مدو: شكرا لك يا سمو الأميرة

بعد ذلك أخذت الأميرة ديانا تاجا من زهور بيضاء، كانت تحمله الربة أفروديت بين يديها، وقالت للأميرة ذات الشيم: يا صاحبة السمو، هذا تاج من زهور نادرة الوجود، وقد أشرفت بنفسي، على فرق البحث التي تفرقت؛ لتجمع زهور هذا التاج، وقد اشتركت كل هذه الحشود التي ترينها، في البحث عن هذه الزهور النادرة، في الصحاري والغابات والوديان، وفوق منحدرات وجروف البحار، وقمم الجبال، وفي كل بقعة من أرض اليونان والرومان

ثم تقدمت الأميرة ديانا بمفردها، وحاولت وضع تاج الزهور على رأس الأميرة ذات الشيم، لكن الأميرة ذات الشيم، تناولت التاج من يد الأميرة ديانا، وشكرتها على هديتها الجميلة

وكانت الأميرة ذات الشيم، قد عافت نفسها أن تضع تاجا، كانت تحمله أفروديت الربة الوثنية، لترفعه فوق حجابها، الذي أمر به ربها العلي القدير، فحملت الأميرة ذات الشيم التاج، ووضعت في حقيبتها؛ لتحفظ به كتذكارات جميل، يذكرها بهذه الرحلة بعد عودتها إلى أم الدنيا

تقهقرت الأميرة ديانا إلى الخلف قليلا، كيلا تولي الأميرة ذات الشيم ظهرها، ثم أشارت إلى الإمبراطورة الرومانية هيلينا، فأقبلت هيلينا تحمل بين يديها ثوبا رومانيا، أرجواني اللون، وعليه زخارف ذهبية

تناولت الأميرة ديانا الثوب، ثم تقدمت نحو الأميرة ذات الشيم، وانحنى قليل نحو الأرض، وهي تمد ذراعيها بالثوب، وقالت: أرجو أن تقبل أميرة بلاد القيم العربية، هذه الهدية المتواضعة، كما تفضلت علينا، وقبلت مني تاج الزهور

قالت الأميرة ذات الشيم: هذا الثوب الشفاف، منزوع الأكمام، لا أستطيع أن أرتديه فإن ديني يمنعني من ذلك، فانحنى الأميرة ديانا من جديد، ورجعت القهقري، وسلمت الثوب إلى حاملته، ثم استأذنت في الانصراف، فأذنت لها الأميرة ذات الشيم، لولا أن حارس الأميرة المعلم قد استوقفها

قال حارس الأميرة المعلم للأميرة ديانا: يا أميرة الحب والسلام، لقد كنت في حياتك الدنيا مثالا حيا لمحاربة العنصرية والشعبوية، وكنت حبيبة ومحبة لكل شعوب الأرض، على اختلاف ألوانهم وأعراقهم وأديانهم، وإنني لأعلم أن سعيك، لإحلال السلام والحب بين شعوب الأرض، هو الدافع لإنهاء حياتك، وأن تجار الحروب ومصاصي دماء البشر، هم من خططوا للخلاص منك

وإنني أثق أنك في حياتك الآخرة، تواصلين عملك في نشر الحب والسلام بين أرواح الذين قضوا نحبتهم، وانتقلوا إلى الحياة الآخرة، ولعل قاتلك لم يفعلوا شيئا، سوى أنهم حرروا روحك المحبة للسلام من سجن جسدك، فتضاعفت قدراتك على التنقل بين أرجاء العوالم المختلفة، وتضاعفت معها جهود مساعيك لنشر الحب والسلام، ونبذ العنصرية والشعبوية

قالت الأميرة ديانا: شكرا جزيلا لمديحك، وكلماتك الرقيقة أيها المعلم، وإنني أطلب منك أن تتمنى لي التوفيق، في كل محاولاتي القادمة، لنشر ثقافة الحب والسلام بين المتخاصمين والمتحاربين

قال حارسنا المعلم: يا أميرة الحب والسلام، إنني أريد أن أرسل من خلالك رسالة، إلى جميع ملوك الغرب من أحفاد الروم، الذين قادوا جيوشهم لاستعمار بلاد

الشرق، ونهب خيرات أهله، ثم ماتوا وأفناهم الله، فإني أريد منك أن تطوفي على قبورهم، وتلتقي بأرواحهم، وأن تذكرهم بأن الروم والعرب والفرس ينتمون لجد واحد، هو سام بن نوح عليه السلام

وأخبرهم بأن أبناء عمومته من العرب، لم ينسوا ما فعلته جيوشهم على مدى تاريخ، يمتد إلى مئات السنين، من مذابح، واضطهاد عرقي، وإبادة جماعية، ونشر للفوضى، وحروب بالوكالة، في الشرق عامة، وفي بلاد العرب خاصة، وأخبرهم أنهم قد استنوا سنة مجرمة، لمن جاء بعدهم من ذريتهم، فمزال أحفادهم حتى هذه اللحظة، يسعون لتقطيع أوصال إقليمنا الشرقي، ويذبحون في شعوبنا بلا رحمة، ولا هوادة، ولا سبب

وأكدي لهم أنهم مدينون لشعوبنا بالاعتذار، وإبداء الندم على كل جرائمهم وفظائعهم في بلادنا، وأنهم مدينون لنا بالتعويض عن كل قطرة دم، وكل دمعة عين، نزفت بسبب نزقهم وأطماعهم

ثم أخبرهم بأننا لن نسامحهم، ولن نغفو عن أحد منهم، حين يجمعنا الله تعالى، ونقف نحن وهم أمام الله، وعند صراطه المستقيم يوم القيامة، وأكدي لهم أن أبناء عمومته لن يسامحوهم؛ لأنهم لم يراعوا العمومة فيمن هلك

قالت الأميرة ديانا، وقد أخرجتها كلمات الرسالة التي ستحملها إلى أرواح آبائها الأولين: أعدك أن أبلغ رسالتك كاملة، أيها المعلم

همت الأميرة ديانا بالانصراف، لكن حارس الأميرة المعلم استوقفها مجددا، وقال لها: انتظري لحظة واحدة أيتها الأميرة الشهيدة

توجه حارس الأميرة المعلم إلى حشود النساء التي تقف خلف الأميرة ديانا، وصرخ بأعلى صوته قائلاً: فلتخرج إلينا زوجة الامبراطور دقلديانوس، وزوجة الإسكندر المقدوني، وزوجة نابليون بونابرت، وزوجة ليو بولد الثاني، وزوجة موسوليني

خرجت من بين الحشود الزوجات، اللاتي نادى عليهن حارس الأميرة المعلم، فقال لهن: لقد كان أزواجكن أكابر السفاحين، من بين ملوك الغرب المستعمر، وإني قد

أرسلت إلى جميع الملوك المستعمرين، وفي مقدمتهم أزواجكن، برسالة ستحملها إليهم قائدتكم الأميرة، وإنني أسألكم الآن، هل شهدتم على كلمات رسالتي، وسمعتم وعد قائدتكم بتوصيل الرسالة كاملة ؟

قالت النساء الخمس في صوت واحد: نعم شهدنا على كل ذلك، قال حارس الأميرة المعلم: وإنني أحملكن رسالة أخرى خاصة إلى أزواجكن، فأخبروهن أنهم كانوا يسعون لتدمير العالم، وإفناء وإبادة البشرية، بحمقهم وأطماعهم، وبشروهم أن الأميرة العربية ذات الشيم، قد أنقذت البشرية كلها، بنجاحها في إعادة غرس الأخلاق والقيم، في مزارعها ببلاد القيم

قالت النساء في صوت واحد: سنخبرهم بكل كلمة في رسالتك أيها المعلم، فقال حارس الأميرة: والآن عدن إلى أماكنكن، فعادت النساء الخمس إلى ترتيبهن، بين صفوف أميرات وملكات اليونان، والرومان، والغرب الأوربي

توجه حارس الأميرة المعلم للأميرة ديانا، وقال لها بكل لطف ورقة: والآن يمكنك الانصراف، في حفظ الله ورعايته، أيتها الأميرة الشهيدة، فانصرفت الأميرة ديانا، وتبعتهن من وراءها من الحشود

ثم انطلق حارس الأمير المعلم بالبساط؛ ليتجول في مكان جديد في هذه السماء
مترامية الفضاءات

وبعد وقت طويل من التجول والطيران على غير هدى، إذا بسواد عظيم، قد اكتنف
في لمح البصر الأميرة وحارسها المعلم وبساطهما

ريعت الأميرة، وفزعت لما رأت ما يحيط بها، فقد رأت مخلوقات بادية اللسان
والأسنان، موفورة الطول، زادهم الله بسطة في الجسم، وثراء في الحجم، يرتدون
ثيابا شديدة الغرابة، وشعورهم مرخية على ظهورهم، قد تصل إلى أقدامهم،
وعيونهم مشقوقة بالطول، وعلى رأس أحدهم، كمثل القرون الصغيرة

ارتعبت الأميرة ذات الشيم لما رأت، فجف حلقتها، وزاغ منها القلب، وتعلق بصرها
بحارسها المعلم، تستغيث بقواه، فأسرع المعلم فأحاط أميرته بذراعيه القويتين
يطمئنها، ويصد عنها، وصرخ بأقصى ما أوتى من قوة صوت، وقال: من أنتم؟ وقد
أفزعت أمان أميرة بلاد القيم

فسقط في يد القوم، وضجوا أسفا، يعتذرون على ما خلفت رؤيتهم من سوء أثر،
في نفس الأميرة ذات الشيم، وتقدم لسان القوم وخطيبهم، ومن العجب أنه حين
تقدم كان يرتعد في ذل وخوف، وهو يقول: عذرا يا مولاتي الأميرة لا تؤاخذينا
بسفاهتنا، عذرا سيدي الحارس المعلم على إزعاجنا لكما

هدأت الأميرة ذات الشيم، سريرة وأعضاء، بعد أن سمعت اعتذار كبير القوم، بيد
أن عينيها لم تزل غير مصدقة ما ترى؛ من هول وبشاعة وكآبة منظر هؤلاء القوم
المجهولين

التقطت الأميرة أنفاسها، ثم نظرت إلى وجه حارسها المعلم، وهو لا يزال يطوقها
بذراعيه، فوجدته يقف في قسوة وصلابة الحديد، ويفتح عينيها على اتساعهما؛
ليقذف منهما لهب الغضب على هؤلاء القوم الغرباء، ويحتد على المتكلم قائلا له:
أيها المخلوق، أجمل في حديثك واختصر، وليكن كلامك معي

فالتفت كبير القوم إلى حارس الأميرة المعلم، واستمر الحارس المعلم يكمل حديثه، فقال: من أنتم؟ وما تريدون منا؟

قال كبير القوم: نحن يا سيدي الحارس المعلم، سادة الجن من شياطين الشعر، فنحن الذين ينطق الشعراء في مختلف العصور، والبقاع، واللغات عن لساننا، ونحن من نوحى إليهم القصائد فينشدونها، على اختلاف ألسنتهم وألوانهم، ولما كان الشعر العربي سيد الأشعار، تم حصر قيادة شياطين الشعر حول العالم، في شياطين الشعر العربي، وبالتحديد في أربعة شياطين فقط، اثنان منهم قبل الإسلام، وهما أنا وشيطان زهير بن أبي سلمى، واثنان منهم بعد الإسلام وهما شيطان المتنبى، وشيطان أبي العلاء المعري

قال حارس الأميرة المعلم: وأنت شيطان من من الشعراء؟ قال كبير القوم: أنا شيطان عنتر بن شداد العبسي، ولي التقدم والقيادة المطلقة على جميع شياطين الشعراء حول العالم في مختلف العصور، بداية من المهلهل وامرئ القيس ومن قبلهما، وانتهاء بشعراء العصر الحديث والمعاصر

قال حارس الأميرة المعلم: وبأي شيء كنت المقدم على جميع شياطين الشعر، قال شيطان عنتر: بما أمثله من أخلاق الفروسية العربية، من شجاعة وحكمة، ومقاومة للظلم والظالمين، وحب للحرية وكراهية للعبودية والاستعباد، ومن حفظ للحريم والأعراض، وهي المعاني التي سكبتها شعرا، على لسان صاحبي الفارس العربي الأسود

قال حارس الأميرة المعلم، وقد حل ذراعيه عن كتفي الأميرة: نعم صدقت أيها الشيطان الشاعر، ولكن ماذا تبغون منا ؟ ولماذا قصدتم إلى رؤية الأميرة ذات الشيم؟

قال شيطان عنتر: لقد جئنا قاصدين الأميرة لنضحي بأنفسنا، ونبذل أرواحنا في محبتها، ونستشهد بين يديها ويدي حارسها

تعجبت الأميرة ذات الشيم من هذا الكلام، ولم تدر هل تأخذه على محمل الجد والحقيقة، أم هو كلام مغلف بأطر البلاغة والمجاز، خاصة وأنه يصدر عن قائد شياطين الشعر قديما وحديثا

وكان انشغال عقل الأميرة بغرابة هذا الكلام، كفيلا بإزالة كل أثر للخوف الذي لحق بنفسها، حين وقعت عيناها على هذا الحشد من الشياطين المثقفين

تعجب حارس الأميرة من هذا الكلام الغريب كأمرته أيضا، لولا أنه لم يكتف بالتعجب، واستفسر عن معنى هذا الكلام من شيطان عنتره، فقال الشيطان: الأمر يا سيدي الحارس المعلم، أننا سافرنا عبر الزمان والمكان، وحشدنا شياطين الشعر من جميع العصور واللغات؛ لنموت موتا جماعيا هنا، وفي هذه الساعة، وذلك لإثبات محبتنا الصادقة للأميرة العربية ذات الشيم، ومبايعتها ملكة للوقائع والحقائق الخالية من الخيالات الحالمة

قالت الأمير ذات الشيم مستنكرة قول كبير الشياطين: وأنا لا أريد ولا أرضى أن يُذبح أحدٌ من أجلي، وإثبات المحبة لا يحتاج إلى ذبح أحد لنفسه، حتى يرضي حبيبه المحبوب

قال كبير الشياطين: قضي الأمر، فهو قدر محتوم علينا يا مولاتي الأميرة، وقد جاء أوانه، فمنذ خاطرنا بالصعود إلى هنا، قد علمنا بنهاية آجالنا، قال حارس الأميرة المعلم: وكيف تموتون جميعا في ساعة واحدة؟ قال شيطان عنتره: بعد لحظات من الآن ستشهد تجمعا وانقضاضا، من الشهب على حشدنا لإحراقنا، وذلك مصداقا لقول الله تعالى " ولقد زينا السماء الدنيا بمصابيح وجعلناها رجوما للشياطين " وقوله تعالى " إلا من خطف الخطفة فأتبعه شهاب ثاقب "

تعجب حارس الأميرة، من تلاوة شيطان عنتره لآيات من القرآن، فقال له: ألم يمت عنتره قبل الإسلام، فكيف لك أن تقرأ آيات من القرآن وهو لم يسمع القرآن، ولم ير الرسول؟ قال شيطان عنتره: لقد مات عنتره قبل الإسلام حقا، لكني عمرت بعده طويلا، وآمنت بالله ورسوله

قالت الأميرة وهي في حالة ذهول: قد عرفتم مصيركم المحتوم، وجئتم إلى حتفكم بكامل إرادتكم، قال شيطان عنصرة: نعم، يا سيدتي الأميرة، فحن فداء لك، وقد عشنا قرونا طويلة في هذه الدنيا، وحان الوقت أن نموت بين يدي أميرة الأخلاق والقيم العربية، ونحن نبايعك، ونبيع إليك كل بيت شعري أوحينا به إلى الشعراء يوما

قال حارس الأميرة المعلم: ولماذا جئتم اليوم تنتحرون يا سادة الكلمات؟ قال شيطان عنصرة: لأننا عشنا دهورا طويلة، نريد أن نبيني صرح أمجاد حقيقي للأمة العربية فعجزنا، وجئنا اليوم منتحرين لنحرر أنفسنا، ونحرر العربي الجديد من الهلوس والخيالات، ومن الاكتفاء بالتغني بأمجاد الماضي، واجترار الكلمات المنمقة، والاتكال على اللسان، في موضع يجب فيه الاتكاء على السيف والسنان قال حارس الأميرة المعلم: كان بإمكانكم أن تحرقوا جميع أشعار العرب القديمة، وأن توحوا إلى أتباعكم، بشعر جديد يتضمن معاني ومضامين عصرية حديثة، وتبقوا على حياتكم وأرواحكم في هذا الدنيا

قال شيطان عنصرة: إن إحراق الأشعار القديمة، وإنتاج مضامين شعرية جديدة لا يكفي، ولن يغني شيئا عن العرب اليوم، فالأفضل أن نحترق نحن وتنتهي حياتنا، ثم تبدأ الأجيال العربية الجديدة، بالتمسك بقوانين العلم، والأسباب المادية للتطور والتقدم، وعندها سيولد جيل عربي جديد من رحم العلوم، وهذا الجيل الجديد سينتج بدوره أشعارا جديدة، ولن يحتاج فيها إلى جني أو شيطان يوحى إليه بهذه الأشعار، بل ستكون أشعار العربي الجديد، نابعة من قلبه وعقله وعلمه وواقعه؛ ولذلك يجب علينا أن ننتحر ونحترق اليوم بكامل تاريخنا دفعة واحدة

قال الحارس المعلم لكبير الشياطين مستفهما ومستنكرا: أتأمرنا أن نترك ما قاله آباؤنا، وأن نتخلي عن تراثنا العربي، ونستمسك بالحدثة والمعاصرة بديلا؟ أيها الشيطان المثقف

قال شيطان عنتره، وقد أزعجه هذا الاتهام: حاشا لله ما كان لي أن أقول هذا، ولا قريبا منه، لكن المقصود أن يتمسك العرب بتراثهم، مع تنقيحه من الأوهام، وأن يختلقوا من تراثهم، حادثة تناسب واقعهم ومستقبلهم، وليكن التراث العربي مثل حاضنة الفراخ المنضبطة على درجة حرارة معينة، ومناسبة ضرورة، لفقس صغار الفراخ

وليكن البيض الذي تم تلقيحه من أب وأم، كالفكرة الحداثية التي يتم تلقيحها من التراث والواقع، وكما أن البيضة الملقحة لا يخرج منها طائر أبدا، إلا إذا أحاطت بها درجة الحرارة الحاضنة، فكذلك الفكرة الحداثية الوليدة، لا يكفي لها التلقيح بين التراث والواقع، بل لابد لها من حاضنة حرارية فكرية مرجعية تراثية أيضا

على أن تكون درجة حرارة هذه الحاضنة التراثية منضبطة، بشكل يضمن فقس الأفكار الحداثية الجديدة، بحيث لا تزيد درجة حرارة الحاضنة التراثية عن المطلوب، فتفقس البيضة فكرة جامدة تموت بمجرد أن تشم هواء الواقع خارج قشرة البيضة، ولا تقل درجة حرارة الحاضنة التراثية عن المطلوب، فتعجز الفكرة عن شق طريقها خارج قشر بيضتها، وتموت منخقة في شرنقتها، حتى قبل أن تتعرض لهواء الواقع الخارجي

قال حارس الأميرة المعلم: ولماذا اخترتم الأميرة ذات الشيم وحارسها بالذات، لتقوموا بقتل أنفسكم أمامهما ؟ قال شيطان عنتره: أما اختيار الأميرة ذات الشيم؛ فلأنها أميرة الأخلاق والقيم العربية، ولأنها بأعمالها في بعث الأخلاق والقيم، ستوفر الفرصة المثلى لبعث جيل عربي وإسلامي جديد، وانتحارنا بين يديها سيضمن تخليد ذكرانا في التاريخ، وتخليد الهدف السامي الذي نضحي من أجله، وهو نفس الهدف الذي ستحققه الأميرة ذات الشيم، ببعثها لحقول الأخلاق والقيم من جديد

وأما اختيار حارسها المعلم؛ فلأنه يمثل العلم العصري الحديث، وهو ما سيحل بقوانينه محل الشعر وقوانينه

قال حارس الأميرة المعلم: ولماذا اخترتم الليلة بالذات للقيام بتضحيتكم بأرواحكم؟
قال شيطان عنصرة: اعلم يا سيدي الحارس المعلم، أن تاريخ هذه الليلة كان محفورا
في أذهان أجدادنا، من أول بيت أوحوا به، إلى أول شاعر في جزيرة العرب، وقد
أورثونا تاريخ هذه الليلة المحدد

وأخبرونا أن هذه الليلة، ستشهد موتنا وانتهاء سلالتنا، لكنها ستشهد ميلاد عصر
عربي جديد في نفس الوقت، وأوصونا بأن نفخر بتضحيتنا؛ لأنها سبيل من سبل
النهضة العربية الحديثة

وأخبرونا بأن تضحيتنا لن تذهب سدى، وأن التاريخ العربي الحديث سيسجل تاريخ
هذه الليلة، وسيكون شاهدا على تضحيتنا من أجل الأمة العربية، وستكون أميرة
بلاد القيم وحارسها المعلم شاهدين على هذه اللحظة الاستثنائية الحاسمة في تاريخ
الشعر العربي، وتاريخ العرب أنفسهم، والمسلمين من ورائهم

اختتم الحوار إلى هذا الحد، بين كبير شياطين الشعر العربي من جهة، والأميرة ذات
الشيم وحارسها المعلم من الجهة الأخرى

وطلب شيطان عنصرة، من الأميرة وحارسها سرعة الابتعاد؛ لأن هجوم الشهب على
الشياطين، قد لاح في الأفق مستعرا بنيرانه، التي سيحرق بها هؤلاء الحشود من
المتقفين عبر العصور، غير أن حارس الأميرة المعلم، قال لشيطان عنصرة: لي
عندك مطلبان: الأول أن تسمح لي بمصافحتك، وذلك اعترافا مني بالشكر الجزيل
على ما دار بيننا من حوار مثمر بناء، وإعجابا مني ببيتين أوحيت بهما إلى عنصرة
حين قال:

لا تسقني ماء الحياة بذلة بل فاسقني بالعز كأس الحنظل

ماء الحياة بذلة كجهنم وجهنم بالعز أطيب منزل

فمد شيطان عنصرة يده بلا تردد، فصافحه حارس الأميرة المعلم، بكل ود ومحبة، ثم
قال شيطان عنصرة: وما هو الأمر الآخر أيها الحارس المعلم، قال حارس الأميرة

المعلم: أتمنى أن تنادي لي من بين هذه الجموع على شيطان الشاعر السوري نزار قباني، فإني أود أن أصافحه، وأحييه أيضا على ما أوحى به إلى القباني حين قال:

إذا خسرنا الحرب لا غرابه

لأننا ندخلها بكل ما يملك الشرقي من مواهب الخطاب

بالعنتريات التي ما قتلت ذبابه

لأننا ندخلها بمنطق الطبله والربابه

وبصوت مدو نادى شيطان عنتره، على شيطان نزار، فانسل من وسط الجموع شيطان رشيق الجسم، مهديم الزبي، قد جدل شعره جديلتين، وألقاهما خلف ظهره، يفوح منه عطر أخاذ

تقدم هذا الشيطان الأنيق المهديم، حتى وصل أمام البساط، بين يدي الأميرة ذات الشيم، وحارسها المعلم

وقف شيطان نزار أمام البساط، وكانت هذه أول مرة ينظر فيها إلى الأميرة ذات الشيم وجها لوجه؛ فقد كانت تحجب الجموع المزدحمة أمامه عنه رؤية الأميرة، وتحرمه من التحقق من تفاصيل وجهها

فلما نظر شيطان نزار إلى الأميرة تسمر مكانه، وهتف بصوت مدو قائلا: شيء لعمر الله عجيب، لعن الله إبليس وسفاهته، فقال حارس الأميرة المعلم: ماذا دهاك أيها الشيطان؟ فقال الشيطان: عجت في نفسي لأمر إبليس، كيف يستكبر عن السجود لهذه الدمية العربية السمراء، فائقة الحسن والجمال، فلم أملك زمام نفسي فصرخت بما سمعتم

قال حارس الأميرة المعلم: أيها الشيطان الأحمق، وكيف يسجد إبليس للأميرة، أو يستكبر عن السجود لها، وهو لم يرها من قبل، ولم يؤمر بذلك

قال شيطان نزار: بلى قد أمر بذلك فاستكبر، ألم يؤمر بالسجود لأبيها آدم؟ ألم يستكبر عن السجود لأبيها آدم؟ وهي بعد ذرة في ظهره، فوالله لقد استحق إبليس لعنة الله، وأن يطرد من الجنة، وأن يهبط من السماء؛ لأنه استكبر على ربة هذا

الجمال، ووالده، وصانعه، فأيم الله، لو أني أمرت أن أسجد لجمالها، ما رفعت رأسي أبدا

قال هذا الشيطان العايب كلماته، غير عابئ بردة فعل من أحد، لكنه فوجئ بما أصاب الأميرة ذات الشيم، من إحراج وخجل شديد، وبما سيطر على حارسها المعلم، من غضب وغيظ، من هذا الشيطان العايب أولا - بسبب ما قاله - ومن نفسه ثانيا؛ لأنه هو الذي طلب مقابلة هذا الشيطان العايب، وتسبب في إحراج الأميرة أمامه، وأمام نفسها، وأمام جموع الشياطين، وأمام الكواكب والأقمار والنجوم

وفي سورة غضبه، تراجع حارس الأميرة المعلم، عن مصافحة هذا الشيطان العايب، واكتفى بقوله: عد إلى مكانك أيها الشيطان، واحترق في سلام

ثم انطلق حارس الأميرة المعلم بالبساط، بعيدا عن جموع شياطين الشعر؛ ليخفف عن نفسه شيئا من الغضب، وعن أميرته شيئا من خجلها وحيائها

ومن بعيد وقف هو والأميرة، يراقبان ما سيحل بهذه الحشود من الشياطين المثقفين

رأت الأميرة وحارسها، كأن الجحيم قد فتحت أبوابه السبعة، وأفرغ من نيرانه في هذا الفضاء دفعة واحدة، فقد أضيئت السماء فجأة بآلاف من الشهب المرقومة، وقد انقضت تلك الشهب على شياطين الشعر، كل شيطان له شهاب قد رقم عليه اسمه، فأحرقتهم جميعا بلا رحمة ولا هوادة، وسط صرخات واستغاثات من هؤلاء الشياطين، الذين شيدوا صروح الشعر العربي من قديم الزمان، وواكبوا الأمة العربية في جميع نكباتها وانتصاراتها، وبنوا بلاغتها وخيالاتها، لكن جهودهم في النهاية، كانت كشجرة تين حمقاء، هوت في النار تستعر

كانت الانفجارات مدوية، وألسنة النيران وحممها، شديدة التطاير في السماء، وكانت تلك النيران على نوعين: أولهما نيران الشياطين التي خلقت من مارجها،

وكونت أجسامها من لهيبها، وثانيهما نيران الشهب القاصفة، وقد تطلب الأمر أن تكون نيران الشهب أشد قوة من نيران الشياطين؛ ولذلك تعالت صرخات الشياطين تستغيث

وتطلب الأمر من حارس الأميرة المعلم، أن يأمر البساط بالطيران، والابتعاد عن موضع الاحتراق عدة مرات، وفي كل مرة كانت حرارة الانفجارات، تكاد أن تنشب أظافرها في أهداب البساط، فيأمره حارس الأميرة المعلم، بالهرب سريعا من جديد

شاهدت الأميرة الرقيقة ذات الشيم، مشهد احتراق الشياطين بعيون باكية أشد البكاء، ولم تستطع أن تكتم صرخاتها هي الأخرى، وهي تراقب تفحم من جاءوا يضحون بأنفسهم من أجلها، وإثباتا للإخلاص في حبها، وقرروا طوعية الاستشهاد بين يديها ويدي حارسها المعلم، وخلعوا أثواب المجاز استيلادا للحقيقة أمامها

(٣٠)

وبينما كانت الأميرة ذات الشيم، غارقة في بحور أحزانها وبكائها وصدمتها، وحارسها يحاول أن يصل بالبساط، إلى مكان آمن بعيد عن هذه الانفجارات، إذا بهم أمام موكب ملكي ضخم، يقف في مقدمته ملك عظيم الجسم والأبهة، وتبدو على وجهه وهينته وملابسه، المخايل العربية الأصيلة، وإلى جوار هذا الملك العربي العظيم، رجلان عن يمينه ويساره

ومن خلف هذا الملك العربي المهيب، امتدت جيوش لا يحصى عددها، من الجنود والفرسان المدججين بالسلاح، يرتدون ملابس عربية قديمة، ويرفعون سيوفاً ورماحاً عربية أيضاً

أعطى الملك العربي العظيم الإشارة لجيوشه الجرارة، وفي لمح البصر أحاطت الجيوش بالبساط الهلالي ومن عليه، ولم يتركوا فرصة لحارس الأميرة المعلم، ليعطي البساط أمراً بالهروب

شعر حارس الأميرة المعلم، بالخطر الشديد الذي يحاصرهما، وخاف على حياة الأميرة، وفكر في طريقة يدافع بها عنها، أمام هذه الجيوش المدججة بالأسلحة، وندم كثيراً لأنه لم يصطحب معه، أي نوع من الأسلحة في رحلته تلك، وكان يمكنه على أقل تقدير أن يحضر بندقية آلية، أو اثنتين، من بلاده التي يقابل المرء فيها الأسلحة في الطرقات، وبأيدي الصبيان يلهون بها

قدر حارس الأميرة المعلم في نفسه، أنه لو كان يملك سلاحاً نارياً واحداً في هذه الساعة، لتمكن من الدفاع عن الأميرة، وتمكن من توفير فرصة ولو ضئيلة، للهروب بها من دائرة هذا الحصار الخانق

تسابقت هذه الفكر في عقل حارس الأميرة المعلم، بعضها يدفع بعضاً، حتى خطرت في ذهنه فكرة جيدة، فأسرع لتنفيذها

قفز حارس الأميرة برشاقة، عدة قفزات سريعة فوق البساط، حتى أمسك بطرف البساط الهلالي المدبب، وسحبه مطوياً، حتى وصل به إلى وسط البساط، حيث تقف

الأميرة ذات الشيم، وطلب من الأميرة أن تختبئ في طيات هذا الجزء من البساط؛ لأن سيوفر لها الحماية اللازمة

ثم قفز من جديد إلى الناحية الأخرى من البساط، وفعل بالطرف الثاني كما فعل بالطرف الأول، وبذلك جمع طرفي البساط إلى وسطه، وطلب من الأميرة الاختباء والاحتباء خلفه، فجلست الأميرة وراءه، ووقف هو يمسك بطرفي البساط في يده، ويراقب من موضعه الموقف، والأميرة من خلفه تدعو الله أن يفرج عنهما ما هما فيه

نظر حارس الأميرة من مخبئه، إلى الرجال الثلاثة المتقدمين على هذه الجيوش، فإذا هم في نفس مواضعهم، فالملك العربي العظيم الذي أمر بالحصار في الوسط، وعن يمينه ويساره يقف نفس الرجلان

حاول حارس الأميرة المعلم، أن يستكشف أكثر عن شخصية الرجلين، اللذين يقفان بجوار الملك العربي، فدقق النظر في وجهيهما وهيئتهما، لعله يظفر بشيء يفسر له سبب هذا الحصار، أو معلومة توفر له فرصة للتفاوض

وجد حارس الأميرة المعلم، أن الرجل الذي يقف على يسار الملك، تبدو عليه هيئة ملوك الغرب الأوربيين، وفي وجهه، ولون شعره، والتاج الذهبي المرصع الذي يجلس فوق رأسه، ما يؤيد انتسابه إلى ملوك أوربا

ورجح أن يكون الرجل، الذي يقف على يمين الملك، رجلا عربيا مثل الملك الأول، يبدو ذلك من سمرة وجهه، ولون عينيه، وطريقة حفه لشاربه، وهو رجل لا ينتمي إلى بيئات الملك في شيء، لأنه لم يملك من هيئات الملوك شيئا، ولم يلبس من ملابسهم، ولم يقف خلفه جندي واحد من جنودهم

تعجب حارس الأميرة المعلم من شخصية هذا الرجل وشكله، لكنه قال لنفسه: لو كان عند أحدهم خيرا، فسيكون عند هذا الرجل

ومن عجائب هذا الرجل العربي الأخير، هيئة جسده، فهو رجل شديد النحافة، بصورة تلفت الانتباه، وتشير الشفقة، ومن عجائبه أيضا أنه كان يرتدي ملابس عصرية، على العكس من الملكين المجاورين له، فهو يلبس قميصا أزرق اللون،

وبه خطوط طولية بيضاء ضيقة، وبنطالا أسود اللون بلا خطوط ولا نقوش، وفي وسطه حزام أسود، يزيد من إلصاق بطنه بظهره

ومن عجائب هذا الرجل النحيف أيضا، أن حارس الأميرة المعلم شعر بود جارف تجاهه فور رؤيته، رغم أنه لم يتعرف عليه حتى الآن، وتمنى لو أنه تمكن من محاورة هذا الرجل؛ ليفاوضه في فك هذا الحصار الذي فرض على أهل البساط، بلا ذنب ولا جريرة

لاحظ الرجل النحيف، الخوف الشديد الذي أصاب أهل البساط، وفهم ما قام به حارس الأميرة المعلم، من طريقة للاختباء والاحتباء، فهمس في أذن الملك العربي العظيم، وشرح له الأمر سريعا، فأشار الملك العربي العظيم، إلى جميع جيوشه بفك الحصار، عن أهل البساط على الفور، وبالفعل تراجعت الجيوش عن حصارها، وعادت الجنود خلف مليكها العربي، كما كانت

رأى حارس الأميرة المعلم ما جرى، واطمئن بعض الشيء بتراجع الجيوش إلى مكانها، وكشف عن وجهه، لكنه ظل ممسكا بأطراف البساط كما هي، وطلب من الأميرة أن تظل مختبئة في مكانها

تقدم الملك العربي العظيم، الذي كان يقف متوسطا بين الملك الغربي، والرجل العصري النحيف، وقال بصوت جهور: السلام على حفيدتنا المبدلة، أميرة بلاد القيم، وعلى حارسها المعلم

رد حارس الأميرة المعلم السلام على الملك، ولم ترد الأميرة ذات الشيم؛ لعجزها عن استيعاب الموقف، والمشهد الذي لا تراه بعينيها

قال حارس الأميرة المعلم: من أنتم؟ وماذا تنقمون منا؟ فقال الملك العربي العظيم: لا ننقم منكم ولا عليكم شيئا، أيها الحارس الشجاع، إنما جننا لنسلم على الأميرة ذات الشيم، ونسلم لها راية العروبة والإسلام

قال حارس الأميرة المعلم: لن ترى الأميرة بعينك، ولن تتسلم منك شيئا، إلا بعد أن تصرف عنا كل هذه الجيوش، التي دهمتنا به على حين غفلة، فضحك الملك العربي العظيم، وصفق بيديه، فاختلفت كل الجيوش بعدتها وعتادها، وجنودها وفرسانها،

دفعه واحده، ولم يبق إلا هذا الملك العربي، وبجواره الملك الأوروبي، والرجل النحيف

تعجب حارس الأميرة المعلم مما رأى، من قدرة هذا الملك العظيم على صرف تلك الجيوش الضخمة، بصفقة من يديه، لكنه لم يشعر بالاطمئنان أيضا، ولم يسمح للأميرة ذات الشيم بالظهور، أمام هؤلاء الرجال الثلاثة؛ لأنه خشي أن يتركها تظهر، فيصفق الملك العربي العظيم بيديه، فتظهر جيوشه من جديد، ويتكرر الحصار من جديد، وهذه المرة لن يسعفهم الوقت للاحتماء، بجسد البساط السحري القوي

قال الملك العربي العظيم: هل اطمأن قلبك بعد انصراف الجيوش أيها الحارس المعلم؟ فاسمح لنا الآن بمقابلة الأميرة ذات الشيم
قال حارس الأميرة المعلم: لا لم يطمئن قلبي بعد، ولن يطمئن حتى أعرف من أنتم، قال الملك العربي العظيم: لك ذلك أيها الحارس اليقظ، أنا الملك اليمني الحميري، الصعب بن مرثد حفيد نبي الله هود عليه السلام، وسيد العرب والعجم، قال حارس الأميرة المعلم في دهشة: هل أنت الفاتح العربي الأعظم الصعب بن مرثد، الذي فتح قرني الدنيا وقهر فارس والروم، الملقب بذي القرنين !!؟

قال الملك الصعب: نعم، أنا ذو القرنين، وهذا الملك الغربي الذي تراه عن يساري، هو الملك أوفاريكس العظيم، الذي وحد كل بلاد الإنجليز تحت قيادته، وأخضعها لعمامة الخلافة العباسية، ونقش على العملة الأوروبية كلمة التوحيد، وآيات من القرآن الكريم

وأما الرجل الذي تراه عن يميني، فهو الشاعر العربي المصري الكبير، محمد أمل فهيم أبو القسام محارب دنقل، صاحب قصيدة (لا تصالح)، وقد وظفته شاعرا حصريا لبلاطي، ومستشارا إعلاميا وناطقا رسميا باسمي
توجه حارس الأميرة المعلم إلى الشاعر النحيف وهتف قائلا: مرحبا بابن العم، كيف حالك أيها الجار الحبيب

قال الشاعر أمل دنقل: مرحبا بك يا ابن العم، أنت من محافظة قنا، أليس كذلك؟
يبدو ذلك من لهجتك

رد حارس الأميرة المعلم بكل فرح وحماسة: أنا والأميرة ذات الشيم من مركز
ومحافظة قنا، من قرية المحروسة بالتحديد، في الجهة الغربية من النيل، مقابل
مركز قفط الذي شرفته، بميلادك على أرضه، أيها الشاعر الكبير

قال الملك الصعب ذو القرنين: أنا أعرف بلادك أيها الشاب فهي أرض تاريخ
وأمجاد، ذكر لي ذلك الملك نارمر مينا حين قابلته أول مرة، وأخبرني بأنه انطلق
من مدينة طيبة في إقليم قنا، عندما خرج يوحد مملكتي الجنوب والشمال
المصريتين

قال حارس الأميرة المعلم: شكرا جزيلا على مدحك وكلماتك الجميلة، أيها الملك
العظيم

قال الشاعر أمل دنقل: لا تقلق من شيء ألبته يا ابن العم، وارخ ما جمعته من
أطراف هذا البساط الأخضر، واسمح للأميرة بالظهور، واطمن تماما، فما جئنا
إليكما نقصد شرا

اطمن حارس الأميرة المعلم، وترك ما جمعه من طرفي البساط، وطمأن الأميرة
ذات الشيم، وساعدها للنهوض على قدميها

سلم الملك الصعب على الأميرة ذات الشيم، وطلب منها أن تطمئن وأن تنسى ما
سببته جيوشه من خوف لها، وطلب منها أن تقبل ما جاء من أجل تسليمه لها

رحبت الأميرة ذات الشيم بالملك الصعب ومن معه، وشكرته على حضوره بنفسه،
لتقديم ما يود تقديمه

تقدم الملك الصعب نحو الأميرة ذات الشيم، وقدم لها راية خضراء، تشبه علم
المملكة العربية السعودية، قد كتبت فيها كلمة التوحيد باللون الأبيض، ومن تحت
كلمة التوحيد يستقر سيف قاطع، ولا تختلف في شيء عن علم المملكة العربية

السعودية، إلا بما رسم في طرفها الأيسر من نخلة فارعة الطول، وفي ظلها تستريح نافقة بيضاء

قال الملك الصعب هذه راية العروبة والإسلام، فاحتفظي بها أيتها الأميرة أبد الدهر، واتركيها ميراثا، لأبنائك وأحفادك إلى يوم القيامة
شكرت الأميرة ذات الشيم الملك الصعب، على هديته، وطوت الراية الخضراء بعناية، ووضعتها في حقيبتها

أشار الملك الصعب إلى الملك أوف ريكس، فتقدم الملك أوف ريكس خطوات، إلى حيث يقف الملك الصعب، ووضع في كفيه، سبع قطع نقدية ذهبية، قدمها الملك الصعب للأميرة ذات الشيم، قائلا: وهذه هدية الملك أوف ريكس إليك
قبلت الأميرة ذات الشيم، الدنانير الذهبية السبعة من يد الملك الصعب، وشكرته وشكرت الملك أوف على هديته، وفتحت حقيبتها لتضع النقود فيها، لكن حارسها المعلم، أمسك بأحد هذه الدنانير، وقرأ ما عليه من نقوش، فوجد على وجه الدينار نقش لجملة (لا إله إلا الله وحده لا شريك له محمد رسول الله أرسله بالهدى ودين الحق ليظهره على الدين كله)

وعلى الوجه الآخر نقشت جملة (بسم الله ضرب هذا الدينار سنة سبع وخمسين ومائة)

أعاد حارس الأميرة المعلم الدينار إلى أميرته، فوضعه الأميرة مع إخوانه الستة، داخل حقيبتها، وتجهزت لاستقبال هدية ثالثة من جاراها الصعيدي الشاعر
نظرت الأميرة ذات الشيم، بكل براءة إلى الشاعر أمل دنقل، وكذلك حارسها المعلم، ففهم الشاعر أن الأميرة، تنتظر منه أن يقدم لها هدية، كما فعل الملك العربي والغربي من قبل

ابتسم الشاعر أمل دنقل وقال: سامحيني يا مولاتي الأميرة، فلعلك تتوقعين مني هدية، لكنني في الحقيقة لا أملك شيئا سوى كلماتي وأشعاري، فقد عشت فقيرا، ومت أشد فقرا، ووظيفتي التي تحدث عنها الملك الصعب، لا تدر علي دخلا؛ لأننا في الدار الآخرة، حيث لا تعامل بدرهم ولا بدينار

ضحك الجميع على كلمات الشاعر القنائي، وقال حارس الأميرة المعلم، لا عيب في أن تعيش وتموت فقيرا، من أجل مبادئك أيها الشاعر الثائر، وإني أبشرك أن أهلك اليوم بخير حال، وأنهم صاروا يمثلون شعب قنا بين الدوائر السياسية، وأصبحوا صوتا لأبناء الصعيد، فأخوك الأصغر أنس أصبح عضوا في مجلس الشعب المصري، وابن عمك العمدة عبد الفتاح دنقل، عضو في مجلس الشيوخ المصري الآن، وأبناء عمومتك كلهم، يرتقون المناصب العليا في الوظائف السيادية في الجمهورية

قال الشاعر القنائي: الحمد لله على تمام فضله ونعمه، شكرا لك يا ابن العم، على ما بشرتني به، قال ذلك ومسح بكلتا يديه دموعا غزارا انطلقت من عينيه، حين سمع بذكر أخيه الأصغر أنس، الذي كان لا يزال رضيعا يوم مات والدهما الشيخ أبو القسم محارب، وتذكر الشاعر أمل كيف أصبح ربا لأسرته وأبا لأخته ولأخيه الرضيع، وهو لا يزال ابن عشر سنوات، واسترجع في مخيلته كذلك ذكريات عودة أبيه من محل عمله في المعهد الأزهري بقفط، حيث كان يعمل معلما للغة العربية، واستعاد في أذنيه صوت أبيه الشيخ الحنون، وهو يكرر عليه سبب تسميته باسم أمل، فقد أخبره مرارا أنه حصل على شهادة العالمية من الأزهر الشريف في عام ١٩٤٠م، وأنه عاد إلى قرية القلعة في نفس تلك السنة، ليجد زوجته قد أنجبت أول أبنائه الذكور، فأطلق عليه اسم أمل تيمنا وابتهاجا بمرحلة جديدة في حياته، سيقضيها في نشر العلم وتعاليم الدين الإسلامي، وتذكر الشاعر أمل صوت والده وهو يقرأ أشعاره الكثيرة، وما تحتويه مكتبة والده الثرية، من مراجع دينية وعلمية، وقد صاغت أشعار الوالد ومكتبته عقل أمل وقلبه وشرابيين جسده أغرق الشاعر أمل في ذكرياته ودموعه، ولم يصرفه عنهما إلا صوت حارس الأميرة يحدثه

قال حارس الأميرة المعلم: أتمنى عليك يا سيدي الشاعر، أن تهون على نفسك، وأن تكفكف دموعك، وأن تنشد أمانا قصيدتك المشهورة (لا تصالح) فهذه فرصة تاريخية، لن تسنح لنا مجددا، ولن تتكرر أبدا إلى يوم القيامة

قال الشاعر القتائي: لكم علي ذلك، وإنني أقدمها هدية لعيون الأميرة ذات الشيم،
انطلق الشاعر القتائي في إنشاد قصيدته، وتردد صدى صوته بين جنبات الكون كله
وهو يبشر بالجيل العربي الجدي، فيقول:
وغدا .. سوف يولد من يلبس الدرع كامله
يوقد النار شامله

يطلب الثأر .. يستولد الحق من أضلع المستحيل
أنهى الشاعر القتائي إنشاد قصيدته، فصفق له الحاضرون طويلا، إعجابا بكلماته
وبحماسه ومشاعره، وهو ينشد قصيدته، وشكرت الأميرة ذات الشيم الشاعر،
على هديته التي لا تقدر بثمن

توجه حارس الأميرة المعلم بالحديث، إلى الملك الصعب ذي القرنين، وقال له : لو
أذنت لي يا سيدي الملك، فإن في عقلي أسئلة أريد من جلالتك الإجابة عنها، قال
الملك الصعب: سل ما بدا لك أيها الحارس الشجاع، فقال حارس الأميرة المعلم:
أشكر كرمك وفضلك، أول ما أود معرفته، لماذا خلط الناس بينك جلالتك وبين
الإسكندر المقدوني؟

قال الملك الصعب ذو القرنين: لقد خلط الناس بيني وبين الإسكندر المقدوني؛ لأنه
كان يضع قرنين من النحاس حول رأسه، وكان قد سمع بسيرتي ومسيرتي، فظن
المسكين أنه حين يسلط سيفه الظالم على رقاب الناس، أنه سيحقق مثل فتوحاتي،
وظن أنه حين يرتدي تاجا عليه قرنان من النحاس؛ ليلقبه أتباعه زورا وبهتانا
بلقب ذي القرنين، أنه سينال من شهرتي، وسيخلد ذكره بالسطو على تاريخي
المجيد

قال حارس الأميرة المعلم للملك اليمني: أيها الملك العظيم، وما العلاقة بين جلالتك
وبين جلالة الملك اليمني التبعي سيف بن ذي يزن؟
قال الملك الصعب ذو القرنين: هو حفيدي، بل هو خير أحفادي، وقد خلط الناس
بينني وبينه من حبههم لي وله، ونقلوا قصة حياتي وسيرتي فنسبوها إليه، وسموها
(سيرة ملك الإسلام اليمني التبعي سيف بن ذي يزن)

وسبب حب الناس له، نجاحه في إفشال المخطط الروماني الحبشي، للاستيلاء على أرض العرب كلها شرقا وغربا، فقد سيطر الرومان على العراق والشام ومصر، وحاربوا ممالك المغرب العربي في قرطاجنة وما حولها، وتحالفوا مع الحبشة؛ لمساعدتهم في الاستيلاء على اليمن وجزيرة العرب، ليصبح بحر القلزم الأحمر بحيرة رومانية، مثلما أصبح البحر الأبيض بحيرة رومانية

لكن حفيدي الأغر سيفاً، عقد تحالفا مضادا مع الفرس، وتمكن من طرد الحبشة أذئاب الرومان، من جزيرة العرب، ثم جاء نبي آخر الزمان، محمد بن عبد الله العدنان، حفيد صهرنا إسماعيل بن إبراهيم عليهم جميعا السلام، بدعوة الإسلام، وطردت جيوشه الرومان، من مصر، والشام، والعراق، وبلاد المغرب العربي

وكان حفيدي سيف مؤمنا بالله ورسوله محمد، وقد التقى بعبد المطلب بن هاشم، جد النبي الأعظم، في قصره باليمن، وأكرم وفادته، وبشره بأن حفيده سيكون نبي آخر الزمان، وطلب منه أن يزور اليمن في نهاية كل عام؛ ليبلغه أخبار حفيده النبي أولا بأول، غير أن القدر لم يمهل ابني سيفاً، إلا بضع شهور بعد لقائه بجد النبي الأعظم، وكتبت عليه الشهادة بيد بعض الحبشة، الذين تأمروا عليه لاغتياله، انتقاما من طرده لهم من أرض العرب

وكان ابني سيف قد علم بأن يثرب، ستكون المهجر الذي يقصده نبي آخر الزمان؛ ليقم فيه دولة الإسلام، فأحب أن ينزل هذا النبي في دار تخصصه، فأمر ببناء دار في يثرب، وكتب عقدا بملكيتها لهذا النبي الكريم

قال حارس الأميرة المعلم: أيها الملك العظيم، لقد كان لي الشرف بقراءة السيرة الكاملة، لحفيدكم الملك سيف بن ذي يزن، وإني أحفظ أحداثها عن ظهر قلب

قال الملك الصعب ذو القرنين: خيرا قرأت، أيها الحارس المعلم، فإن في تلك السيرة الكثير من الدروس العظيمة، فهل تذكر ما جاء في هذه السيرة، بخصوص كتاب نهر النيل؟

قال حارس الأميرة المعلم: نعم أذكره جيدا، إنه الكتاب الذي أحضرته، الحكمة عاقلة، والساحر برنوخ، إلى الملك سيف من بلاد قيصر؛ ليُجري به نهر النيل إلى أرض مصر، وكان ملك الحبشة الأكبر سيف أرعد، والحكيمن سقرديون وسقرديس، وجيوش الحبشة، يحاولون جاهدين، منع الملك سيف من الوصول إلى هذا الكتاب؛ لمنع وصول ماء النيل إلى مصر

قال الملك الصعب ذو القرنين: إذا فاجعل مهمتك التالية أيها المصري، بعد انتهائك من مهمتك في بلاد القيم، البحث عن كتاب النيل، الذي ورد ذكره في سيرة حفيدي سيف بن ذي يزن، فإذا ملكت هذا الكتاب، فأعد به جريان نهر النيل إلى بلادك، قبل أن تنجح الحبشة في حرمانكم منه

قال حارس الأميرة المعلم: أعاهد الله، وأعاهدك أيها الملك، أن أفتش عن كتاب النيل في كل مكان، حتى أعيد به جريان النيل إلى بلادي

قال الملك الصعب ذو القرنين: ولكن فلتحذر من مكائد الحبشة، فقد استطاعوا اغتيال ولدي سيف وهو في أوج عظمته وقوته، واحذر كذلك من تحالفهم مع الرومان وأحفادهم، واعلم أن الحبشة من قديم الزمان يرغبون ويخططون لأمرين، أولهما منع وصول ماء النيل إلى مصر، وهذا ما حاولوا فعله وتم تسجيله، في سيرة حفيدي سيف بن ذي يزن، ويحاولون فعله اليوم في الزمن الحالي

والأمر الآخر هو هدم الكعبة المشرفة، وقد حاولوا ذلك قديما بعد التحالف مع الرومان، الذين أرسلوا حملة أرباط وأبرهة الأشرم لهدم الكعبة، وتحويل أهل الجزيرة العربية إلى المسيحية، وكانت المسيحية هي الديانة الرسمية للإمبراطورية الرومانية، في ذلك الوقت

وسيحاولون من جديد هدم الكعبة، قبل يوم القيامة وسينجحون في مسعاهم، فقد ذكر رسول الله ﷺ أن رجلا حبشيا، يلقب بذي السويقتين؛ لقصر ساقيه، يخرج في

جيوشه قاصدا البيت الحرام، فيخرب المسجد، وينقض الكعبة حجرا حجرا، ويعريها من كسوتها ويسلبها حليها، ويخربها خرابا لا تعمر من بعده أبدا

وقد وصف النبي ذا السويقتين الحبشي، فقال هو أصيلع، أي قد انحسر شعره عن رأسه، وهو أفيدع، أي مفاصل جسده غير منتظمة ولا متساوية، فاحفظ صورته وانشرها بين الناس، أيها المعلم

قال حارس الأميرة المعلم: أيها الملك العربي العظيم، يا من طفت مشارق الأرض ومغاربها، تدافع عن الضعفاء والفقراء، وتهدم الظلم، وتبني منارات العدل، يا من لم تفرق في عطايك بين عربي وأعجمي، أو أبيض أو أسود، أو أحمر أو أصفر، أخشى أن يكون كلامك عن الحبشة، فيه إنباء عن شيء من العنصرية

قال الملك الصعب ذو القرنين: أعوذ بوجه الله الكريم العدل، أن أتصف بذرة واحدة من العنصرية، أو يلحق بقلبي ذرة واحدة من الكبر، فيحرّم الله علي الجنة ونعيمها، وإني لأعلم أن من الحبشة، أمة مؤمنة بالله وكتبه ورسله، وإني لأعلم أن منهم سيدنا لقمان الحكيم، الذي سجل الله جزءا من حكمته، في سورة من القرآن، تحمل اسمه، وإني لأعلم أن منهم سيدنا بلال بن رباح مؤذن الرسول، وأشهر من رفع صوته، بكلمات الأذان، وإني لأعلم أن منهم الملك النجاشي، أصحمة بن الأبجر، الذي آوى إليه المسلمون في مملكته، فأحسن إليهم أيما إحسان، والذي صلى عليه رسول الله صلاة الغائب يوم موته، وقال لأصحابه الكرام (اخرجوا فصلوا على أخ لكم مات بغير أرضكم)

ثم من قبل ذلك ومن بعده، إني لأعلم أنه لا فضل لإنسان على آخر إلا بالتقوى، ولذلك كانت سنوات حكمي للعالم، تقوم على حقيقة العدل والإخاء والمساواة، بين سكان العالم جميعا، في الحقوق والواجبات

قال حارس الأميرة المعلم: أحسنت القول، أحسن الله إليك أيها الملك العربي العظيم، وإني أود التنبيه هنا إلى شيء خطير، قد يفوت كثيرا من الناس

قال الملك الصعب ذو القرنين: وما هو أيها الشاب الحذق؟

قال حارس الأميرة المعلم: قد جاء في رواية الإمام أحمد بن حنبل، من حديث أبي هريرة، أن رسول الله ﷺ قال في خبر تخريب الحبشة للبيت الحرام " ولن يستحل هذا البيت إلا أهله، فإذا استحلوه، فلا تسل عن هلكة العرب، ثم تظهر الحبشة، فيخربونه خرابا لا يعمر بعده أبدا " صدق رسول الله ﷺ

وفي هذا إخبار من النبي، أن تخريب البيت الحرام على يد الحبشة، وقائدهم ذي السويقتين، لا يكون حتى يسبقه تضييع العرب أنفسهم، لمكانة البيت الحرام، تضييع مغنوي في أنفسهم وقلوبهم أولا، ثم تضييع مادي، وتفريط في حقوقه ثانيا، ثم يأتي ذو السويقتين فيهدم الكعبة حجرا حجرا، ولن يسأله أحد من العرب يومها ماذا تفعل؛ لأن البيت الحرام لن يكون له أي قيمة مغنوية ولا مادية عندهم

وهذا هو الشيء، الذي لا ينتبه إليه كثير من الناس، حيث يكيلون اللعن لذي السويقتين، ومن خلفه من جيوش الحبشة، وينسون المتهم الحقيقي الذي يمهّد لخراب البيت، وهم قوم من العرب أنفسهم

قال الملك الصعب ذو القرنين: صدقت القول وايم الله، أيها الحارس المعلم، قال حارس الأميرة المعلم: أما عن الروم والرومان والفرس وغيرهم من شعوب العجم، فإن الأمة العربية، طوال تاريخها لم تتعرض بالعدوان لأحد منهم، بل كانت الأمة العربية، تعمل لرد العدوان عن نفسها فقط، وقد عاشت كل تلك الشعوب، موحدة تحت حكمك أيها الملك العربي العظيم، ثم تحت حكم خلفاء الإسلام، الذين عملوا بكتاب الله وسنة نبيه

قال الملك الصعب ذو القرنين: أقسم لك أيها المعلم الشاب، ألا خوف على مصر ولا على الأمة العربية، لو وجد فيها جيل يفكر كما تفكر، وينظر إلى الأمور كما تنظر

قال حارس الأميرة المعلم: وإني أقسم لك أيها الملك العربي العظيم، أن أمتنا العربية والإسلامية، في أشد الحاجة اليوم إلى قائد مثلك، يوحد كلمتها على العدل، وتوزيع الخير على الجميع

قال الملك الصعب ذو القرنين: اصبر أيها الشاب، فلعل الله يحدث بعد ذلك من أمور غيبه أمرا

قال حارس الأميرة المعلم: أشكرك من عميق قلبي، على ما أنرت به عقلي، من علم ومعارف، أيها الملك العربي العظيم، قال الملك الصعب ذو القرنين: الشكر لله العليم الحكيم

أشار الملك الصعب ذو القرنين، للملك أوفاء ريكس، والشاعر أمل دنقل؛ ليستعدا للرحيل، ثم نظر إلى الأميرة ذات الشيم وقال: تشرفت بحضرتك أيتها الأميرة ذات الشيم، وإني لأتقدم لسموك، ولحارسك المعلم بأجمل التهاني، لأنكما أول عربيين، وأول بشر على الإطلاق، يعبرون جبل قاف، وإني قد وصلت إلى حدوده، لكني لم أتجاوزه أبدا، ولعلها بشارة لإعادة الفتوحات العربية والإسلامية للعالم أجمع

وبعد ذلك ودع الملك الصعب ذو القرنين، ومن معه، الأميرة ذات الشيم، وحارسها المعلم، واختفوا في الفضاء البعيد

انطلق البساط الهلالي بأهله في الفضاء السماوي، وجعلت الأميرة وحارسها المعلم، يفكران في تشابه كلمات الجملة الأخيرة، من كلام الملك الصعب ذي القرنين إليهما، مع ألفاظ التهنية، التي قدمتها لهما، الفراشة وعد بنت تميم الأمجد، عندما عبرا حدود جبل قاف وقمته، وتعجبا من هذا التوارد في الخواطر، والاتفاق في الكلمات، بين وعد والملك الصعب ذي القرنين

وبينما هما يفكران في كلمات الملك الصعب والفراشة، لاح فجأة من فوق رأسيهما، شبح لرجل نحيل الجسم، بل هو شديد النحول، وقد وهن العظم منه، واشتعل رأسه شيبا

كان هذا الشيخ النحيل، يرتدي بدلة عسكرية حربية يعلوها الغبار، وقد نقش على يسار هذه البدلة، فوق قلب هذا الجندي عبارة: (الله أكبر) وتحتها قد كتب بخط عربي جميل، بيت شعري حماسي، من أشعار أمير الشعراء، أحمد شوقي وهو قوله:

والحرية الحمراء باب يدق بكل يد مضرجة

وكانت هذه العبارات المكتوبة على البدلة العسكرية، تقوم مقام الأوسمة والنياشين العسكرية الملونة، التي يفخر القادة العسكريون بلصقها على بزاتهم، بسبب وبدون سبب، وكان هذا الجندي الشيخ النحيل، يمسك في يده اليمنى عصا قصيرة، نحيفة كنحافته، بدلا من أن يمسك بندقية أو مدفعا

نظر حارس الأميرة المعلم، إلى الجندي الشيخ، فتعجب حين رآه على هذه الهيئة والكيفية، فهذه أول مرة يقابل فيها جنديا، يرتدي ملابس عسكرية عصرية، في هذه الرحلة السماوية، بعد أن شاهد جنودا يرتدون ملابس من العصور الغابرة

بادر الجندي الشيخ، الأميرة وحارسها بالكلام، فتوجه للأميرة ذات الشيم وقال لها: السلام عليك أيتها الأميرة المحمدية الكنانية، رفعت الأميرة ذات الشيم طرفها إلى الجندي المتكلم، ثم أعادت طرفها إلى حارسها المعلم
كرر الجندي الشيخ، إلقاء التحية على الأميرة ذات الشيم، فلم ترد عليه؛ لظنها أنه لا يقصدها بهذه الألقاب، فتوجه بالكلام إلى حارسها المعلم، فقال له: السلام عليك، وعلى أميرتنا العربية، أيها الحارس الكناني المصري
رد حارس الأميرة المعلم، التحية على الجندي الشيخ، ثم طلب منه التعريف بنفسه، فسأله: من أنت يا سيدي الجندي؟ قال الجندي الشيخ: أنا الشهيد يحيى، شهيد الشام

فقال حارس الأميرة المعلم: هل أنت الشهيد يحيى بن زكريا عليهما السلام، ابتسم الجندي الشيخ قليلا وقال: لا بل أنا يحيى، الملقب بين العرب بلقب نوح القرن الواحد والعشرين، ولا تنس أن سيدنا يحيى بن زكريا، هو بالفعل شهيد الشام، لكنه لم يستمر بقاؤه في الدنيا، حتى اشتعل رأسه شيئا مثلي، فقد استشهد عليه السلام في سن الشباب، قال حارس الأميرة المعلم متعجبا: ولماذا أطلق عليك العرب لقب نوح القرن الواحد والعشرين؟

قال الجندي الشيخ: لأنني صاحب الطوفان الجديد، فإني لما رأيت تمكن أعداء الله من رقاب المسلمين ومقدساتهم، ورأيت المسلمين مبتعدين عن أوامر ربهم، فكرت في طريقة أحقق بها هدفين معا: القضاء على أعداء الله، وغسل ذنوب المسلمين، بتجديد فريضة الجهاد؛ لحماية المقدسات والأوطان، فألهمني ربي، واخترعت استراتيجية عسكرية حربية، أطلقت عليها الطوفان، وأسميتها طوفان الأقصى؛ لأنني خططت لها أن تبدأ من المسجد الأقصى، ثم تصل إلى أقصى أرجاء العالم، كما شمل طوفان نبي الله نوح الأرض كلها

وقد كتبت أثناء حياتي على الأرض، الكثير من المقالات الصحفية، وعملت الكثير من اللقاءات الإذاعية والتلفزيونية؛ لشرح استراتيجية الطوفان العسكرية، وقد لخصت أهداف هذه الاستراتيجية في أمرين: الأول منهما هو إغراق أعداء الإسلام

في تيارات هذا الطوفان، إلا من قَبِلَ بالصلح والسلام العادل مع أمتنا العربية والإسلامية، والأمر الآخر هو غسل ذنوب المذنبين، وتطهير الأرض مما شهدته، من بُعد عن كتاب الله وسنن أنبيائه

ما كاد يتم الشيخ الشهيد كلامه، حتى تذكر حارس الأميرة المعلم، ما قرأه على بعض مواقع الصحف الغربية، فقد قرأ عدة مقالات مختلفة في صحف أجنبية متعددة، يكتبها متخصصون على أعلى مستوى، من الخبراء العسكريين، والمحللين الاستراتيجيين، وقد تحدثت هذه الصحف جميعها، عن رجل عربي فلسطيني مجاهد، ذي عبقرية عسكرية فائقة، وحذرت تلك المقالات أوساط صانعي القرار في بلاد الغرب

وقد ذكرت هذه الصحف، أن الاسم الحركي لهذا المجاهد، يتكون من أربعة حروف إنجليزية، وأنه يكتب في السجلات الاستخباراتية الغربية، وملفاتها السرية هكذا (S - N - O - R) وترجمته بالعربية، هكذا (إس إن أو آر)

وحين قفرت ذكرى هذه المقالات، في ذهن حارس الأميرة المعلم، امتلأت نفسه بالاحترام والتبجيل لهذا المجاهد العربي، الذي يضارع أسد الصحراء، الشهيد الليبي عمر المختار

قال حارس الأميرة المعلم، بصوت يمتلأ بالحماسة الزائدة: أنت فخر العرب بحق أيها البطل الشهيد، وإنه لمن فخري أيضا أن أكحل عيني بروياك، يا سيدي البطل الشهيد

قال الشيخ الشهيد: وإنه لمن فخري أيضا، أن أقابل صاحبة السمو الأخلاقي، الأميرة ذات الشيم العربية، أميرة بلاد القيم المحمدية، وحارسها الأستاذ المعلم

شكرت الأميرة للشيخ الشهيد مديحه، ثم استأذنت منه أن يخبرها، عن هذه العصا القصيرة التي يمسكها بيده اليمنى، ويحركها في الهواء كلما نطق بكلمة، من أين جلبها؟ وهل لها قدرات خاصة بها؟

قال البطل الشهيد: إنها سلاحى وعصاي، يتوكأ عليها شعبي، وأدفع بها عنهم صولة الأعادي، وهي عصا ربانية، قد نبتت وترعرعت في أرض الشام المباركة، ثم قطعت من شجرتها المباركة، تماما مثلما كانت عصا سيدنا موسى بن عمران المعجزة، فرعا من شجرة نبتت في أرض الشام المباركة

وسترافقتي هذه العصا، طوال رحلتي مع الطوفان، منذ كان فكرة، حتى يصبح واقعا وحقيقة، ويتوج الطوفان بإقامة دولة فلسطين الحرة الأبية، واستعادة الخلافة الإسلامية الراشدة

التقط الشيخ الشهيد أنفاسه، ثم قال: واعلم أيها الحارس المعلم، أن بني إسرائيل واقعون بين ثلاثة عصوات، وكلها عصوات قطعت من أغصان شجر الشام المبارك، وأول هذه العصوات هي عصا موسى بن عمران، التي فلق الله له بها البحر الأحمر؛ ليخرج ببني إسرائيل من مصر، والثانية هي عصا نبي الله سليمان بن داود عليهما السلام

والثالثة عصاي هذه، التي تراها في يميني، فإذا كانت قصة بني إسرائيل، قد بدأت مع عصا موسى، وكانت نهضتهم قد اكتملت مع عصا سليمان، فإن عصاي هذه ستشهد نهاية بني إسرائيل، إلى غير رجعة بإذن الله تعالى

واعلم كذلك أيها الحارس المعلم، أن عصاي هذه، تحمل بركة العصا الأولى والثانية معا، وقد زود الرب القديم، منذ الأزل هذه العصا بأقدم القدرات العسكرية، والتقنيات الحربية الخاصة بالدفاع عن العدل والحق، ونصرة أهلها، وهدم الظلم والباطل، ومحاربة أهلها

وهنا علق حارس الأميرة المعلم، على عبارة البطل الشهيد (أقدم القدرات العسكرية والتقنيات الحربية) وقال : وكيف تكون تلك العصا، المزودة بأقدم التقنيات، فعالة في هذا العصر الرقمي الذي نعيش فيه؟ ألم يكن من الأجدى لك ولأمتك أن تحمل سلاحا ناريا متطورا ؟ ألم يكن من الأجدى أن نستبدل بالشعر القديم بندقية حديثة، مثلما أوصانا بذلك شياطين الشعر العربي، قبل أن يحترقوا، ومثلما يوصينا العلم؟

قال الشيخ يحيى الشهيد: بل إن هذه العصا، أكثر نفعا من كل الأسلحة النارية المتطورة، وهي أكثر قوة من العلم؛ لأنها تحمل بداخلها قوة العليم سبحانه، وهو الذي خلق العلم، فهي مبرمجة طبقا لأول إصدار، من وسائل نصرته الحق، نزل على سطح الأرض، وهذه العصا لديها القدرة، على توصيل الموت لما يستحق الموت، والقدرة على منح الحياة، لما يستحق الحياة، فهي تبنى وتهدم في نفس الوقت، وتكون رمحا وسلاحا في يوم الحرب، وفسيلة تثمر في وقت السلم، لكن الأسلحة النارية تحرق وتهدم فقط، فهي مصممة لمهمة أحادية الاتجاه، ومبرمجة وفقا، لأحدث إصدارات شركات الظلم المميت الإبلسية

قال حارس الأميرة المعلم: هل تقصد أن عصاك أشد من الأسلحة العصرية الفتاكة قوة؟

رد الشيخ الشهيد: نعم وبكل تأكيد، فهذه العصا الصغيرة، قادرة بإذن الله تعالى، على اختراق الجدر والتحصينات، التي يتحصن بها الشياطين، وقادرة على إنزالهم من صياصيصهم، وقذف الرعب في قلوبهم، وإسقاط طائراتهم من جو السماء

قال حارس الأميرة المعلم، في لهجة تشبه السخرية: هذه العصا قادرة على إسقاط الطائرات من عليائها؟! قال الشيخ يحيى الشهيد: نعم، وإن كنت في شك من ذلك فانظر إلى يمينك، وسترى في الأفق ما يؤكد لك ذلك
نظر الحارس المعلم إلى الأفق ناحية اليمين، وفي نفس اللحظة أشار الشيخ الشهيد بعصاه، ففتح مقطعا مصورا (فيديو)، أمام أعين حارس الأميرة المعلم وأميرته

ظهر في الفيديو، معركة حامية الوطيس، بين ثلاثة من المجاهدين الفلسطينيين، في مقدمتهم الشيخ يحيى الشهيد، يقاتلون فرقة كاملة من علوج اليهود، وهذه الفرقة مزودة بأحدث آلات الفتك والدمار

كان رجال المقاومة الثلاثة، الذين لم يذوقوا طعاما منذ ثلاثة أيام، يتحصنون داخل منزل متهدم، هدمته طائرات العدو قبل أسابيع، وبعد مقاومة عنيفة، ارتقى اثنان

من المقاومين شهداء، وبقي صاحب الطوفان يقاوم، وليس معه إلا ربه العلي
القدير

وبعد ساعات من إطلاق النار المتبادل، اقتربت طائرة هجومية من طائرات العدو،
فأطلقت صواريخ نحو البطل الشهيد، الذي نفذت ذخيرته، ولم يجد إلا عصاه فألقاها
ناحية الطائرة المهاجمة، وفي نفس اللحظة، التي اخترقت فيها صواريخ العدو،
جسد البطل يحي النحيل، كانت عصاه تتقلب طائرة في السماء، حتى أصابت كبد
فريستها فدمرتها، وتناثرت الطائرة، على هيئة غبار ودخان فاسد، طار في الهواء،
ولم تسقط منه ذرة واحدة، على وجه أرض الشام المباركة؛ لئلا يلطخها بفساده،
واختفت عصا الشهيد في جو السماء

وبعد تحطم الطائرة الصهيونية، واختفاء عصا البطل الشهيد، أشار الشيخ يحي
بعصاه، فاخفى الفيديو من أمام حارس الأميرة المعلم وأميرته، وقال الشيخ يحي
الشهيد هل رأيت بعينيك؟ هل اقتنعت الآن بقدرة هذه العصا الربانية، على إسقاط
الطائرات الحديثة من عليائها أيها المعلم؟

قال حارس الأميرة المعلم : نعم اقتنعت، فالصورة أصدق دليل، ولقد ذكرتني عصاك
الربانية، بسميك الشيخ الإمام يحي الصرصري الحنبلي، وكان من العلماء الأجلاء
في بغداد، يوم أن دمرها التتار، وكان رضي الله عنه، قد نعم بزيارة النبي الكريم له
في المنام، وفي تلك الزيارة الأخيرة، بشره النبي، بأنه سيموت على السنة
المحمدية

فلما كسر التتار الخليفة في بغداد، وملكوا شوارعها، سمع كرمون بن هولاكو بهذا
الحبر الجليل، فدعاه لمقابلته، فترفع الشيخ عن مقابلة هذا الوثني البغيض، فتوعده
ابن هولاكو بالعذاب الأليم، فجمع الشيخ في داره حجارة كثيرة، وانتظر اقتحام
التتار لداره؛ ليرجمهم بحجارته

فلما وصلوا إلى الدار، رماهم الشيخ يحي بالحجارة، فهشم رؤوس جماعة منهم، فلما خلصوا إليه، وفنيت الحجارة، قتل الشيخ أحد التتار بعصاه التي يتوكأ عليها، وتكاثر عليه التتار فارتقى بسيوفهم، إلى ربه شهيدا مقاوما

قال الشيخ يحي: رحم الله الشيخ يحي وأمثاله من المجاهدين، قالت الأميرة ذات الشيم وحارسها في صوت واحد: اللهم آمين
قال الشيخ يحي: أيها الحارس المعلم، إن ما رأيته عيونك منذ قليل، عبارة عن فيديو مما سيكون في المستقبل، وسوف ترى هذا المقطع، مرة أخرى بعينيك أيضا، في نشرات الأخبار والبرامج الحوارية حول العالم، فإذا رأيته مجددا، فلتتذكر أمرين: أولهما: أن عملي كان مكملا، لعمل الأميرة ذات الشيم المحمدية، فهي من تغرس بذور الأخلاق، وأنا من سيحول محاصيلها إلى مجاهدين في سبيل الله، وثانيهما تذكر أن تدعو الله لي، وأن تترحم علي كثيرا

قال حارس الأميرة المعلم: أعدك بذلك يا سيدي الشهيد، ولتعدرنى على جهلي، وتشكيكي في قدرات عصاك المجاهدة
ثم توجه البطل الشهيد، إلى الأميرة ذات الشيم وقال لها: وأنت يا سمو الأميرة العربية المحمدية كذلك، قالت الأميرة ذات الشيم: سأدعو لك بالرحمة في كل وقت، يا سيدي الشهيد، وكم أتمنى، أن يتم تدريس قصة عصاك الجهادية في مدارسنا؛ حتى لا ينشغل الشباب، بمتابعة عصا الساحر هاري بوتر، على الأقل يتعرف الشباب على عصا، تنصر الحق، بدلا من متابعة عصا، تنشر السحر والشعوذة، والانحراف الفكري والخلقي

قال الشيخ الشهيد: ليت ذلك يحدث فعلا، يا مولاتي الأميرة المحمدية؛ حتى يتمسك شبابنا بهويتنا العربية والإسلامية، بدلا من الهويات والثقافات، المستوردة والمعبأة بالخارج، في مواقع مجهولة بالنسبة لنا

قال حارس الأميرة المعلم: أريد أن أسألك، يا سيدي الشهيد، عن سر وصفك للأميرة ذات الشيم بالمحمدية، وهو وصف قد تكرر على لسانك، فهل هو مجرد وصف عابر، أم لقب رسمي، يضاف إلى لقب الأميرة ذات الشيم؟

قال الشيخ الشهيد: بل هو لقب رسمي، فالأميرة ذات الشيم تمثل الأمة المحمدية كلها، وهي أول وآخر فتاة عربية، تصعد إلى هذه النقطة من السماء، وهي آخر نقطة صعود، ستبلغانها في رحلتكما السماوية، وهي تبعد مئات السنوات الضوئية، عن أعلى نقطة صعود، وصل إليها رجل عربي، وهي سدرة المنتهى، التي بلغها رسول الله ﷺ في رحلتي الإسراء والمعراج

قال الحارس المعلم: بمناسبة الإسراء والمعراج، وبمناسبة اقترابنا من مواضع، باركها النبي بخطى أقدامه النورانية، ألا أجد عندك يا سيدي الشهيد، شرحا علميا تجريبيا لهاتين الرحلتين؟ فأنا أو من تسليما بهما، لكني لا أجد تفسيراً علمياً مادياً لهما، قالت الأميرة ذات الشيم، وأنا كذلك يا سيدي الشهيد

قال الشيخ الشهيد، مخاطباً حارس الأميرة المعلم: أطلب تفسيراً علمياً وأنت رجل معلم، يمر العلم من خلالك إلى عقول الناس، قال الحارس المعلم: أطلب ذلك منك؛ لأنك من رجال الإيمان والشهادة في سبيل الله، وأهل الإيمان أعلى وأعلم من العلم وأهله، ولأنك غصن نبت من أرض الأسراء والمعراج، وأنت أدري بالدوحة التي تنتمي إليها

قال الشيخ الشهيد: إذا فلتعلم أيها الحارس المعلم، ولتعلمي سيدتي الأميرة المحمدية، أنه لا يمكن فهم معجزة الإسراء والمعراج، إلا بعد فهم ثلاثة مفاهيم فيزيائية مادية أساسية، هي الزمان والمكان وسرعة الضوء

وقد دمج أينشتاين المكان والزمان، في نظرية النسبية الخاصة به في عام ١٩٠٥م، وأعلن أنه لا يمكننا أن نتحدث عن الزمان دون المكان، ولا عن المكان دون الزمان، ومادام جسم الشيء يتحرك، فلا بد أن يحمل زمنه معه، وكلما تحرك جسم الشيء بسرعة أكبر، فإن زمنه الذي يقطعه ليصل إلى نقطة أخرى، سينكمش

بالنسبة لما حوله، من أزمنة مرتبطة بحركات لأجسام أخرى، تتحرك بسرعة أبطأ منه

وقد تحققت ظاهرة انكماش الزمن، عمليا في معامل الفيزياء، حيث لوحظ أن الجسيمات الذرية، تطول أعمارها في نظر راصدها، إذا ما تحركت بسرعة قريبة من سرعة الضوء، وعلى سبيل المثال، يزداد نصف العمر لجسيم البيون، في الساعة العملية الأرضية، إلى سبعة أمثال قيمته المعروفة، إذا تحرك بسرعة قدرها، ٩٩% من سرعة الضوء

وطبقا لنظرية أينشتاين، فإننا إذا تصورنا أن صاروخا، اقتربت سرعته من سرعة الضوء اقترابا شديدا، فإنه يقطع رحلة تستغرق خمسين ألف سنة، حسب الساعة الأرضية، في يوم واحد فقط، فالزمن هنا ينكمش مع ازدياد السرعة، وتزداد السرعة مع ازدياد القدرة

فإذا تحرك جسم بسرعة أكبر من سرعة الضوء، فإن مسافات المكان، تنطوي أمامه وقوانين الزمان تنمحي، أثناء قطعه لتلك المسافات، وهذا ما حدث في رحلة الإسراء

ولنلتقط هنا الإشارة إلى سرعة الضوء، في اسم الدابة التي تشرفت بحمل النبي في رحلة الأسراء، من مكة إلى القدس، ثم من القدس إلى مكة، وإني لأعتقد أن سرعة الضوء، التي انطلق بها البراق، أعلى من سرعة الضوء التي يعرفها علماء الفيزياء؛ لأن البراق قد خلق من ضوء ونور خاص، ويحمل طاقة ضوئية هائلة، لا محالة

ومن المنطقي هنا، أن يركب رسول الله إلى القدس، دابة تسافر برحلة الضوء، أو بسرعة أعلى من الضوء، حتى تتناسب حركة الرسول في أثناء الرحلة، مع حركة جبريل عليه السلام، وهو مخلوق من النور أيضا، ويحمل كل خصائص الضوء من حيث السرعة والطاقة

قالت الأميرة المحمدية ذات الشيم: سبحان الله الذي أسرى بعبدته! قال حارس الأميرة المعلم: وماذا عن رحلة المعراج، أيها الشيخ الشهيد؟

قال الشيخ الشهيد: وأما عن المعراج إلى السموات العليا، فهو يحتاج إلى أضعاف مضاعفة، للسرعة التي تمت بها رحلة الإسراء، وهنا يقترح بعض العلماء، أن جسد رسول الله ﷺ (وهو مادة) قد تحول من مادة إلى ضوء، (وهو طاقة) أو إلى ما هو أعلى من الضوء، سرعة واحتواء للطاقة

وبذلك استطاع الجسد الشريف، أن يخترق أفاق الكون إلى سدرة المنتهى، وأن يعود منها إلى الأرض، في جزء يسير من الليل، ويقوم هذا الاقتراح، على ما اكتشفه العلم الحديث، من إمكانية تحول المادة إلى طاقة، ثم عودة الطاقة إلى مادة، ويسعى العلماء لإثبات ذلك علمياً، وإجراء داخل معاملهم

ولنذكر هنا سيدنا جبريل من جديد، فهو مخلوق من النور، وهو يتمتع بقدرات الطاقة الضوئية كاملة، ويستطيع أن يتحول إلى صورة رجل سوي، وهذا يعني تحول الطاقة الضوئية إلى مادة، ثم بانتقال سيدنا جبريل من جسد الرجل السوي، إلى صورته الملائكية، عودة من صورة المادة إلى الطاقة، وفي هذا سبق عظيم للإسلام؛ لأنه أول من أشار إلى إمكانية تحول المادة إلى صورة طاقة، ثم عودتها من صورة طاقة، إلى صورة مادة

قال حارس الأميرة المعلم: صدقت أيها الشيخ الشهيد، وإنني أضيف هنا أن حادثة رفع الله تعالى لأحد عباده إلى السماء، قد تكررت من قبل، حين رفع الله نبيه إدريس، وحين رفع نبيه عيسى ابن مريم إلى السماء، لكن للأسف والحسرة، لم يحفظ لنا العلم والتاريخ، تفاصيل صعودهما إلى السماء، ولو كانت تفاصيل صعودهما إلى السماء محفوظة لدينا، لأمكننا أن نقارن بين رحلتيهما إلى السماء، ورحلة الرسول ﷺ إلى السماء، ولأمكننا بسهولة الرد على المشككين في معجزة الإسراء والمعراج، عن طريق الاستدلال بما سبقها من رحلات إلى السماء، قال الشيخ الشهيد: نعم صدقت، أيها الحارس المعلم

قال حارس الأميرة المعلم: شكر الله لك ما أوضحت لنا، أيها الابن البار لمسرى النبي المختار

قالت الأميرة المحمدية، شكر الله لك، يا شهيد الشام، وفخر عروبتنا وإسلامنا، قال الشيخ الشهيد: شكر الله لكل من بلغ عن رسول الله آية، وكل من دفع عن أمته ظلما، أو أطعم منها جائعا، أو كسا عاريا، أو داوى مريضا، أو مسح دمعة من دموعها

صمت الجميع لحظات، ثم عاد شهيد الشام للكلام، فقال: أيتها الأميرة المحمدية، أيها الحارس المعلم، لقد أزيلت عنكما حجب البصر، فرأيتما من آيات ربكما الكبرى، وبقي أن تزال عنكما حجب السمع قال الشيخ الشهيد ذلك، ثم أشار بعصاه الربانية، فسمعت الأميرة المحمدية، وحارسها المعلم، أصوات كثيرة، وهي أصوات متداخلة بشدة، ولا يمكن التمييز من بينها، وهي تشبه إلى حد ما، تداخل موجات الإذاعة حين تختلط ببعضها

قال حارس الأميرة المعلم: ما هذه الأصوات يا شهيد الشام؟ فقال الشيخ الشهيد: إنها أصوات ثلاث طبقات علوية، تحيط بنا، والطبقة الأولى، هي طبقة أصوات صرخات وأنات وأدعية، المظلومين والمضطهدين والمعتقلين، من جميع اللغات والجنسيات والأعراق، وقد رفعها الله تعالى إلى هذه المكانة، مصداقا لقول النبي ﷺ (اتق دعوة المظلوم فإنها ليس بينها وبين الله حجاب) وقوله أيضا (اتقوا دعوة المظلوم، فإنها تُحمل على الغمام، يقول الله: وعزتي وجلالي لأنصرنك ولو بعد حين)

وأشار الشيخ الشهيد: فإذا الأميرة المحمدية وحارسها المعلم، يسمعان ما لا يمكن تحمله من الصرخات والشكاوى والأنين، حتى خشي حارس الأميرة المعلم على أميرته الرقيقة، أن تسقط مغشيا عليها، من أهوال ما يصل إلى سمعهما من فظائع، فأشار حارس الأميرة المعلم إلى الشيخ الشهيد، فأوقف الشيخ الشهيد بعصاه بث أصوات هذه الطبقة

ثم أشار الشيخ الشهيد بعصاه من جديد، فانطلق بث الطبقة الثانية، وقال الشيخ الشهيد: هذه أصوات طبقة المادحين للنبي محمد ﷺ، الذين يذوبون فيه عشقا

تأملت الأميرة المحمدية، وحارسها المعلم في بث هذه الطبقة، فوجدا أرواحهما تتمايل داخل سجن جسدهما، تمايلا شديدا، حتى أن سجن الجسد نفسه، لم يملك ذاته، فراح يتمايل طربا وفرحا، بحب النبي الكريم ومدانحه

ثم أشار الشيخ الشهيد بعصاه، فانطلق بث الطبقة الأخيرة من الطبقات الثلاث، قال الشيخ الشهيد: هذه طبقة الذاكرين لله، والحافظين لكتابه

استمرت روحا الأميرة المحمدية وحارسها المعلم، فيما بلغته من حالات النشوة والفرح، وارتقت شيئا فشيئا، ما بين أصوات المادحين للنبي، والذاكرين لله والقارئ والحافظين لكتابه، ولم تثب روحاهما إلى السكون، داخل محبسها المادي الجسدي، إلا بعد الإشارة الأخيرة من عصا الشيخ المجاهد، حيث عادت أصوات الطبقات الثلاثة متداخلة كما كانت

قال الشيخ الشهيد: هذا آخر ما ستريناه وستسمعانه في رحلتكما هذه، ولم يبق على أوان عودتكما إلى الأرض إلا القليل

توجه الشيخ الشهيد بالحديث إلى الأميرة، ذات الشيم المحمدية، فقال لها: اعلمي يا سيدتي الأميرة، أن العالم كله ممتن، لدورك في إحياء الأخلاق في نفوس البشر، وإني أمتن إلى دورك هذا، أكثر من أي أحد آخر، فإن دورك وعملك يمثلان درجة التأسيس والتمهيد، لعملِي ودوري في طوفان الأقصى، وخلال عشرة أعوام من اليوم الذي غرست فيه بذور الأخلاق والقيم، سأجتهد في تربية جيل عربي جديد، يتمسك بدينه وأخلاقه، ويرى الموت في سبيل الله أسمى أمانيه، وإني لأرى بعيني الآن تسابق الشباب، للانضمام في مشروع الطوفان الأقصى، والتدريب على تنفيذه بكل احترافية

قال الشيخ الشهيد كلماته تلك، ثم اقتطع قطعة من عصا الجهاد الربانية، التي سيخوض بها غمار الطوفان الأقصى، وستكون كسفينة نوح يوم الطوفان الأول، من تعلق بها نجا، وقدم قطعة العصا إلى الأميرة ذات الشيم المحمدية، وقال لها بتأثر شديد: أيتها الأميرة المحمدية، إني أهديك هذه القطعة من عصا الجهاد الربانية، وأرجو منك أن تغرسها بيدك، بين حقول الأخلاق والقيم؛ لتنمو عصا

الجهاد، فتكون شجرة عظيمة لا يمكن اقتلاعها، وتتصل جذورها بجذور الأخلاق والقيم، فلا ينفصل الجهاد في سبيل الله، عن الأخلاق والقيم أبدا تناولت الأميرة المحمدية قطعة العصا، ووعدت الشيخ الشهيد، أن تنفذ أوامره بحذافيرها

شكر الشيخ الشهيد الأميرة المحمدية، وحارسها المعلم على وعودهما، ثم قال: في نهاية هذا اللقاء المبارك الذي جمعني بكما، أريد أن أحملكما رسالة هامة، وأرجو منكما تبليغها إلى أهلها

قالت الأميرة المحمدية، وحارسها المعلم في صوت واحد: سنحمل أي شيء تريده، أيها البطل المجاهد

قال الشيخ المجاهد: أريد أن أسألكما أولا، عن بنات الأمير المجاهد تميم الأمجد، وعد ورغد ورعد، كيف حالهن الآن؟

قال حارس الأميرة المعلم: إنهن بخير حال والحمد لله، قالت الأميرة المحمدية: ولا يعوزهن شيء إلا عودة أبيهن المجاهد إلى بلاده؛ لينعمن معه بما تنعم به الأبناء مع الآباء

قال الشيخ المجاهد: لقد طلب مني الأمير تميم الأمجد، حين علم أنني سأقابلكما، أن أسأل عن صحة بناته، وأن أحملكما رسالة منه إليهن، ومفاد رسالته، أنه يشترق كثيرا إليهن، ويتمنى أن يفرغ من الجهاد ساعة واحدة يقضيها معهن، ويعتذر لهن لطول سنوات بعده عنهن، ويطمئنهن بأن نصر الله قريب، وأنه سيعود إليهن بعد أن تتحرر بلاد الشام، ولن يفارقهن لحظة واحدة، ويوصيهن في النهاية، ألا يكن مجرد فراشات، بل يكن في مثل صلابة الجبال، وشجاعة الأسود

دمعت عينا الأميرة المحمدية، مما لمست من أشواق حانية، أرسلها هذا الأب المجاهد إلى بناته الرقيقات، ولم تستطع أن تنطق حرفا واحدا، ترد به على كلام الشيخ الشهيد

قال حارس الأميرة المعلم: سنبلغ هذه الرسالة كاملة، إن شاء الله تعالى، يا شيخنا، ونرجو منك، حين تقابل الأمير تميم الأمجد في ساحات الجهاد، أن تطمئنه على

بناته، وأن تبلغه سلاما حارا، مني ومن الأميرة ذات الشيم، ومن أهل مصر الكنانة
جميعا

قال الشيخ الشهيد: بإذن الله تعالى أفعل، والآن قد انتهت رحلتكما إلى السماء
رسميا، وحانت لحظة عودتكما إلى بلاد القيم، فعودا في أمان الله أيها الكنانيان

أعلن الشيخ الشهيد رسميا، انتهاء رحلة الأميرة ذات الشيم المحمدية إلى السماء،
وودع الأميرة وحارسها المعلم، وذكرهما بالدعاء له، والترحم عليه، يوم يسمعان
نباً استشهاده، بعد أحد عشر عاما، من هذا اللقاء، الذي جمعهما في جو السماء،
وأوصاهما أن يجتهدا في الدفاع عنه، ضد ما سيحاك حوله من إشاعات واتهامات،
قد قيلت بحذافيرها، عن المجاهد العربي الليبي البطل عمر المختار، وما نشر على
أسنة تجار الدين في زمنه، بأنه لم يحصد من جهاده إلا تخريب ليبيا، وقتل نصف
مليون ليبي، وها هي ليبيا اليوم حرة أبية؛ بسبب جهاد عمر وفرسانه، وذهب تجار
الأديان ودفنهم التاريخ، في قبور عارهم وخزيهم وخذلانهم

وبعد توديع الشيخ الشهيد، أمر حارسنا المعلم، البساط بالهبوط، والعودة إلى أرض
القيم

حرص حارسنا المعلم، على تهنئة أميرته، مباركا لها، على ما مُنحت من أسباب التفرد، وما خصت به من التربع فوق ذروة المجد، فقد وهبت وحازت درجة من الكمال لم يبلغها أحد غيرها، إذ أجمع الإنس والجن، والعرب والعجم على مبايعتها أميرة عليهم

وحين اقترب البساط من جو أرض القيم، وبينما كانت الأميرة وحارسنا المعلم، منهمكين في عذب الحديث، ومراجعة تفاصيل رحلتهما السماوية العجيبة، إذ زكمت أنفيهما رائحة دخان، تشبه رائحة البخور، تبعق الجو كله، وتكون سحابا متراكما، بعضه فوق بعضه في طبقات

قالت الأميرة ذات الشيم: ما هذا الدخان الكثيف الذي يحجب عنا رؤية الأرض؟ قال حارسنا المعلم، وقد سيطر عليه القلق: لا أدري لهذا الدخان المتصاعد سببا، والغريب أن رائحة هذا الدخان الكثيف جميلة كالعطور

قالت الأميرة ذات الشيم متعجبة: ومنذ متى تكون رائحة الدخان زكية كالعطور؟ قال حارسنا المعلم: لا أدري سببا لهذا أيضا

وما هي إلا دقائق معدودات، حتى ألتمت الأميرة وحارسنا المعلم بالكارثة، وألتمت الكارثة بالأميرة وحارسنا المعلم، وعلمنا أن الدخان يتصاعد من أرض القيم بالتحديد، ومن حقل القيم مباشرة

أسرع حارسنا المعلم بالبساط هابطا، فما هي إلا لحظات حتى كان وأميرته وقوفا على الأرض، نظرا حولهما فوجدا منزل الأميرة وحديقته، قد غدا أثرا بعد عين، فالتفتا في رعب يخفق قلبهما إلى المسجد وحقل الأخلاق، فوجداهما كوما من رماد

وأمام هذه الأهوال لم تنبس الأميرة ببنت شفة، بل سقطت مغشيا عليها، والدمع في عينيها ملازما غراما

بكت الأميرة المحمدية، بحرقة من فقدت حلمها وجهدها، وحلم البشرية في سيادة الأخلاق والقيم من جديد، لكن حارسنا المعلم كان في هذا الموقف متماسكا ومستمسكا، بصلابة أهل الصعيد الذين ينحدر من شجرتهم، فقد علمه أهله وأجبرته الحياة، أن يكون جامدا في موقف الخور، قوولا وأفواه الرجال سكوت، صئولا وأفواه المنايا فواغر

أسرع حارسنا المعلم إلى أميرته، لحظة سقوطها مغشيا عليها، وكأنه كان يتوقع الأمر، أو يراه بحدس بصيرته، فتلقفها بين ذراعيه، فتوسدتها الأميرة، قبل أن يلامس طرف حجابها الوسيع، وجه الأرض

ولما فشل في إفاقتها، حملها متوجها إلى مسكن الخادمتين، وقد علم بأن المسكن بخير لا يزال، بعد أن رنا إليه بطرف عينه، فلم يجد انبعاث دخان من ناحيته

وصل حارسنا المعلم، يحمل أميرته بين ذراعيه إلى مسكن الخادمتين، وبروق الفجر، وطرق الباب، ففتحت له الملكة شهرزاد، ولأول وهلة، وقعت عينها في عين حارس الأميرة المعلم، فتبسمت لكنها ما لبثت أن قطبت جبينها، فقد أنضب بشاشتها، جمود وجه الحارس المعلم، وفي نفس اللحظة سيطرت عليها الغيرة وتملكتها نيرانها؛ لم رأى الأميرة ذات الشيم محمولة بين ذراعي من تهواه

وقفت شهرزاد لذا الباب، وكأنها - وما شعرت- تمنعه من الدخول، وقد استلبتها غيرتها ما بقي من عقلها، فلم تدر ما تفعل، وإذا ببياض الثلج قد دفعها عن الباب، وهي تقول في ترحاب: تفضل يا سيدي الحارس المعلم،

أظهرت بياض الثلج القلق في صوتها، وألبست وجهها ثوب الحزن على الأميرة ذات الشيم، وقالت صارخة: ماذا حل بأميرتنا وأميرة الكون؟

أراد حارسنا المعلم أن يجيب على سؤال بياض الثلج، وأن يخبرها بما حل بالأميرة، لكنها ابتدرته قائلة: لا داعي للكلام يا سيدي الحارس المعلم، فالوقت ليس في صالحنا، ادخل بالأميرة على عجل، وضعها في غرفتي، على سريرى؛ لترتاح قليلا، قبل أن أستحضر لها الدواء المناسب بإذن ربي

وفي أثناء خطواته، إلى غرفة بياض الثلج: سألت بياض الثلج، حارسنا المعلم في اهتمام شديد: لماذا تحملت حمل الأميرة وجئت بها مشيا على قدميك؟ ولم تعودا بالبساط الذي سافرتما به، فقال لها: لقد ذهلت عن الدنيا حين أغشي على الأميرة، فنسيت البساط، حيث هبطنا به ما بين منزل الأميرة وحقول الأخلاق، قالت بياض الثلج: لا ضير في ذلك، سيكون البساط آمنا حيث هو، المهم الآن صحة أميرتنا المبجلة

دخل حارسنا المعلم إلى الغرفة، ووضع الأميرة ذات الشيم، في سرير بياض الثلج، وشهرزاد تتبعه ببصرها، وهي تغلي من الغيرة والغيط
قال حارسنا المعلم: لقد أصيبت الأميرة ذات الشيم بصدمة، لدى رؤيتها آثار الحريق المدمر

قالت بياض الثلج، بمكرها تتصنع الجهل: أي حريق تقصد يا سيدي الحارس المعلم؟ قال حارسنا المعلم صارخا: الحريق الذي دمر كل شيء، وأنتما غافلتان هنا تسدران

نظرت بياض الثلج إلى شهرزاد، ثم أعادت بصرها إلى حارسنا المعلم، وقالت: أقسم لك بربي وما أعبد يا سيدي الحارس، أننا لم نعلم شيئا عن هذا الحريق

قال حارسنا المعلم: عجبا، أما سمعتما صوت الأشجار تنهاوى، أو صوت المسجد ومنزل الأميرة ينازعان في لحظة احتضارهما، قالت بياض الثلج: ما سمعنا شيئا من هذا أبدا، لكننا علمنا أن صغير الغزالة، قد فقد واختفى، وأن أمه المسكينة قد ذهبت؛ لتبحث عنه في الجبال، ومعها الفراشة وعد

قال حارسنا المعلم مستبشرا: هما بخير إذا، ولم تأكلهما النيران، قالت بياض الثلج: نعم إنهما بخير، وقد أوصتني الغزالة المسكينة، أن أطلب منك أن تلحق بها؛ حتى تعاونها في العثور على صغيرها

قرر حارسنا المعلم أن يسرع إلى الجبل؛ ليساعد الغزالة في رحلة بحثها عن صغيرها، لكنه حاول قبل انطلاقه، محاولة أخيرة أن يوقظ الأميرة ذات الشيم، مما

ألم بها، فأخذ يهز أكتافها ويخبرها بكل فرح أن أصدقاءها بخير، وأن النار لم تمس جسد أحد منهم

نجحت محاولة حارسنا المعلم، في إفاقة الأميرة ذات الشيم، فقد أعاد هذا الخبر المفرح المبشر الوعي إلى الأميرة، وكانت تلك البشرى، أشد نفعا من الماء، الذي سكبته حارسها المعلم على وجهها لتفريق، قبل أن يزف إليها هذه البشرى

أفاقت الأميرة، وهي تردد عبارات الحمد والشكر لله، بعد أن نجا أصدقاءها من الحريق، وهدأت نفسها بعض الهدوء، لكن مصابها لا يزال جللا، لفقد حقل الأخلاق القيم

ولما اطمأن حارسنا المعلم، على أميرته المحمدية، ورآها قد أفاقت وعادت إلى وعيها، أوصى الخادمتين شهرزاد، وبياض الثلج بملازمتها، وبذل كل ما تحتاج إليه، ثم قرر أن يمضي إلى جبال بلاد القيم الشاهقة؛ ليقف على خبر الغزاة ووعد

كانت بياض الثلج، تستمع إلى وصاية حارسنا المعلم بالأميرة المحمدية، بابتسامة خبيثة مأكرة، بينما كانت شهرزاد تستمع إليه، بكل جوارحها وكيانها العاشق له، تبتسم لحظة في وجهه، ثم تقطب لحظة أخرى، ثم تعود للابتسام من جديد، وقد سيطر عليها شعوران متضادان أولهما السعادة الغامرة؛ لأن معشوقها الفرعوني قد أطل أخيرا في وجهها، وتوجه إليها بالكلام، وعدت هذا فألا حسنا ترجوه، والشعور الآخر هو الغضب الغامر؛ لأن معشوقها الفرعوني يوصيها، بخدمة غريمتها ومنافستها في حبه، وعدت هذا نذير شؤم تخافه

سار حارسنا المعلم، في طريقه إلى جبال بلاد القيم حثيثا، وأوغل بعيدا عن مسكن الخادمتين، ثم فوجئ بالملكة شهرزاد خلفه تناديه باسمه، وتتبع أثره، بعد أن خدعتها بياض الثلج، وقالت لها: إنها كذبت على حارسنا المعلم؛ ليذهب في طريق

الجبـال، وإن هـذه أنـسـب الفرص؛ لتختلي به بعيدا عن العيون، وتطعمه قلب صغير الغزالة، ويقع في غرامها، ويطارحها الهوى، في هذا المختلى البعيد وانطلقت الخدعة على شهرزاد، فانطلقت في إثر معشوقها الفرعوني، وحققت بذلك لبيـاض الثلج مرادها، من الاختلاء بجسد الأميرة ذات الشيم المحمدية، تفعل فيه ما تشاء

تبعـت ملكة الشرق البلهاء حارسنا المعلم، وهي تنادي عليه، فسمع نداءها أخيرا، ووقف مكرها، والتفت إليها مضجرا؛ فقد أراد أن يسرع في العثور، على وعد والغزالة وصغيرها؛ ليعود للجلوس بجوار أميرته المحمدية نظر حارسنا المعلم إلى شهرزاد في حنق صامت، فقالت له: تمهل يا سيدي المعلم فإن معي لك شيئا، قال حارسنا المعلم في إيجاز شديد: وما هو؟

قدمت شهرزاد لحارسنا المعلم قطعة قماش، تلتف على شيء به شبه استدارة، وقالت له: هذا طعام يا سيدي المعلم، لابد أنك جوعان، فمنذ ارتحلت أمس مع الأميرة ذات الشيم في الرحلة السماوية، لم تذق شيئا من طعام، فخذ هذا من يدي وكله هنيئا مريئا

فكر حارسنا المعلم لحظة، وهم بأن يردّها خائبة، ويرفض الطعام؛ لما هو منشغل به، لكن جوعه المستحوذ عليه منعه، فتقدم إليها، وتناول قطعة القماش الملفوفة، من يديها، بعد أن شكرها

أخذ حارسنا المعلم، يرفع الغطاء عن الطعام، وقلب شهرزاد يخفق في سرعة شديدة خفتين معا: خفقة الرجاء، وخفقة الخوف، وقد جف حلقها وزاغت عيونها، وهي تتربص ردة فعل حارسنا المعلم

نظر حارسنا المعلم إلى ما بيده مستغربا، وأداره عدة مرات في يده، ثم قال لشهرزاد: إنها قطعة لحم! قالت شهرزاد: نعم يا سيدي، إنه شهـي ولذيذ، تذوقه بالهناء والشفاء، فقال لها عاقدا حاجبيه: أنى لك بهذا اللحم في هذه الأرض، وكل بلاد القيم لا يوجد فيها طيور ولا حيوانات ؟

امتقع لون شهرزاد بعد سماعها الجملة الأخيرة، ولم تحر جوابا، وتزايدت ضربات قلبها بشكل مخيف، فاستبد بقلبها الخوف وغاب عنه الرجاء

وسريعا أدرك حارسنا المعلم الموقف بجميع أبعاده، فجحظت عيناه لما دار بخلده، وصرخ بوجه شهرزاد قائلا: هل هذا لحم صغير الغزالة؟ قالت شهرزاد وفرائصها ترتعد: نعم إنه كذلك، إنه قلب الطيبي الصغير

واصل حارسنا المعلم صراخه، بوجه شهرزاد بقوله: ظهر لي الآن أنك ذبحتيه، وسفكت دمه، من أجل شهواتك، فانطلقت أمه الولهى تبحث عنه بين الجبال، أو لعلك ذبحتيها أيضا لتملأي بها بطنك، وجئت إليّ بهذه القطعة رشوة لي، أو لأبوء معك باثم الصغير وأمه

قالت شهرزاد، وقد انطلقت مجاري دمعها: لا وربى ما مددت إلى الغزالة يدا بسوء، قال حارسنا المعلم في حنق: ولماذا ذبحتيه وحرمت أمه منه؟ أمن أجل شهوة بطنك - قاتلك الخالق- تحرمين أما من قرة عينها ؟

ابتلعت شهرزاد ريقها بصعوبة بالغة، ثم قالت في حشجة بادية، وكلمات مختنقة بالدموع: لا تظلمني يا سيدي الحارس، فلست أنا من يشته طعاما فأنا من أنا، لكن ... لكن ...

لم يرحم حارسنا المعلم تلثم شهرزاد، وعاد للصراخ في وجهها من جديد، قائلا: انظقي لكن ماذا؟!!!

وهنا أظهرت شهرزاد تشجع من يأس من أحواله جميعا، فلم يبال بعاقبة شيء مهما كانت، وقالت: لكن بياض الثلج أخبرتني، أني لو أطعمتك قلب الطيبي الصغير، أو جزءا منه، ستتحول عن حب الأميرة ذات الشيم، إلى حبي أنا

بُهِت حارسنا المعلم مما سمع، وصمت لحظة ثم قال: ماذا تقولين أيتها الرعناء؟ وإذا بشهرزاد تتقدم إليه بإصرار اليانس، وتقول له: نعم أنا مغرمة بك، وغارقة في بحر حبك، ويجب عليك أن تحبني كما أحببتك، هيا ضمني إليك، ولنرحل من هنا إلى مصر أم الدنيا ونعيش معا، أنا وأنت معا

تقدمت شهرزاد، فاتحة ذراعيها، بعطورها وعنفوان زينتها؛ ليحتضنها حارسنا المعلم، غير أنها فوجئت به يدفعها بيده اليمنى، حتى سقطت على الأرض، وانطلق يعدو بعيدا عنها، حاملا قلب الطبي الصغير بيده اليسرى، عائدا إلى مسكن الخادمتين

كان حارسنا المعلم، يركض في طريقه، كناقاة حنت إلى قلوبها؛ فقد خشي على الأميرة المحمدية، من انفراد بياض الثلج بها، وقد علم من كلام شهرزاد، أنها تتأمر عليها وعليه، وقد استغلت شهرزاد وابن الغزالة القتل، كجزء من مؤامرتها

وفي أثناء ركض رجله إلى مسكن الخادمتين، كانت أفكاره تركض متزاحمة في عقله أيضا، فطراً في ذهنه أن الخادمتين بداهة وراء حريق المسجد، ومنزل الأميرة ذات الشيم، وحقول الأخلاق والقيم، وترتبت في عقله بالتوقع وبالتدرج، الأحداث التي حدثت على أرض بلاد القيم، أثناء غيابه مع الأميرة في الرحلة السماوية

وصل حارسنا المعلم، وهو يلهث إلى المسكن، فوجد الباب محكم الإغلاق من الداخل، ودون أن يلتقط أنفاسه المتقطعة، وضع قلب الطبي الصغير من يده جانبا، ثم أعمل في باب المسكن، في جنونٍ، يديه لكما وأرجله ركلا، حتى كسره وحطم أخشابه، ودلف إلى غرفة بياض الثلج، فلم يجد أثرا لبياض الثلج، ووجد الأميرة ذات الشيم منطرحة على السرير، فاقدة الوعي، لا حراك بها، ولا مظهر من حياة، إلا من نفس خفيف حرج، يجهد في حشجة أن يخرج، وكأنه قد سبق الروح؛ ليقطع عن جسد الأميرة خيوطها، كل خيط يخرج متصلا بنفس

حاول حارسنا المعلم سدى، إفاقة الأميرة المحمدية، وهو يخاطبها ويناديها باسمها، فلم تفق ولم ترد عليه، ثم أفرغ على وجهها، الكثير من الماء بشكل متكرر، دون أن يفلح في إفاقتها، أو معرفة ما أصيبت به

خرج حارسنا المعلم من الغرفة، يفتش عن بياض الثلج، فلم يجدها، فتعجب كيف لها أن تختفي هكذا، أو تخرج من المسكن، والباب مغلق بالأقفال من الداخل، ثم خطر له، أنها قد قفزت من نافذة المسكن الخلفية، كما يفعل أبناء طبقتها من اللصوص

توجه حارسنا المعلم، إلى نافذة المسكن الخلفية، فوجدها مفتوحة، وصدق ظنه، وتأكد أن بياض الثلج، قد هربت من هذه النافذة، وقد أحكمت إغلاق الباب من الداخل بالأقفال؛ حتى لا يتمكن أحد من الوصول، إلى الأميرة ذات الشيم وإنقاذها، مما فعلته بها

لم يفكر حارسنا المعلم كثيرا، بل قفز من نفس النافذة، خلف بياض الثلج، يتتبع أثرها القذر؛ لعله يقبض عليها، ويجبرها على أن تخبره، بما فعلت بالأميرة المحمدية، لكنه لم يعثر لها على أي أثر

وقف حارسنا المعلم وحده، وقد سيطرت عليه الحيرة، وهو يحترق من داخله لا يدري ماذا يصنع، وقد انهدمت الدنيا كلها من حوله، وبشكل مفاجئ لاح له من بعيد شبح الغزالة، قد أقبلت خائبة منكسة الرأس من الجبل، فلما رآها حارسنا المعلم هتف يستصرخها، فأقبلت إليه تعدو، وقد ظنت أن لديه خبرا سعيدا عن صغيرها، لكنه بدد ظنها قائلا لها: اركضي بسرعة أيتها الغزالة، إلى منزل الأميرة المحترق، وهناك ستجدين البساط الطائر، الذي رحلنا به في الرحلة السماوية، منفرشا على الأرض، فأحضريه لي بأقصى ما تستطيعين من سرعة

وكان حارسنا المعلم من تلهفه على أميرته، حين شملها بين ذراعيه، وهي فاقدة الوعي، قد غفل عن البساط فتركه، ولم يستخدمه، وسار مشيا على أقدامه، وهو

يحمل أميرته، حتى وصل إلى مسكن الخادمتين، وقد تذكر الآن فقط أمر البساط، فخشي أن تسرقه بياض الثلج، فتهرب به من بلاد القيم، عائدة إلى بلادها الغربية، فتقلت بجرائمها

وما ظنه حارسنا المعلم كان واقعا، فقد قررت بياض الثلج، بعد أن دمرت كل شيء، أن تستولي على البساط الطائر؛ لترحل به إلى بلادها، بعد أن تكمل خطتها بقتل من بقي من خصومها، حتى حليفها شهرزاد ملكة الشرق الأوسط، وقد أيقنت أنها لن تظفر بشيء، من هذه البلاد العقيمة بالنسبة إليها، وأنها لن تفوز بخلود ذكر، ولا جزيل شكر، لصنيع مزعوم لديها

أحكمت أميرة بلاد الغرب بياض الثلج خطتها باتقان، لكن حارسنا المعلم كان أسرع منها خاطرا، وأشد خطرا، وأذكى قلبا وعقلا، وكانت الغزالة الحكيمة أسرع منها خطوا وعدوا

وصلت الغزالة إلى المكان المرسوم، فوجدت البساط الطائر مكانه، حيث تركه حارسنا المعلم، فحمدت الله، ثم استعانت به، وعالجت البساط بقرونها حتى طوته، ثم حملته في فمها، وانطلقت تعدو، عائدة إلى حيث حارسنا المعلم

وفي طريق العودة بالبساط إلى مسكن الخادمتين، رأت بياض الثلج الغزالة وفي فمها البساط، وهي تجري كالبرق اللامع، ففكرت بياض الثلج في حيلة تستوقف بها الغزالة، فلم تجد في جعبتها شيئا، ثم فكرت أن تركض خلفها، لكنها تراجعت؛ لما رأت من سرعة عدو، وعلو قفز لدى الغزالة

وبالطبع لم تياس بياض الثلج، من الاستيلاء على البساط الطائر، فقد تسللت في خفة وخفية، حتى وصلت مسكن الخادمتين، وقد زين لها غرورها، أنها لا محالة منتصرة على هذا الحارس العربي ومن معه

استخفت بياض الثلج في مكان آمن لها، حيث رأت وسمعت أثناء استخفائها، حارسنا المعلم، يتفق مع الغزالة على القبض على بياض الثلج، ويطلب منها أن يتعاونوا ويخرجوا معا للبحث عنها؛ لأنها تحمل سر ما حدث للأميرة ذات الشيم، وسر ما حدث بصغير الغزالة في نفس الوقت

خطر في ذهن بياض الثلج، استغلال خروج حارسنا المعلم والغزالة الحكيمة، وخلو المسكن من كل أحد، للتسلل من جديد للمسكن من النافذة الخلفية، والتأكد من موت الأميرة ذات الشيم، وسرقة البساط الطائر، من المكان الذي سيخبئه فيه حارسنا المعلم

وكان حارسنا المعلم قد ألهم وفطن، لما يهجس بخلد بياض الثلج، فضرب خطتها في مقتل، إذ قرر أولاً عدم إخلاء المسكن، فتراجع عن اصطحاب الغزالة معه، لمواصلة البحث عن بياض الثلج، وطلب من الغزالة أن تمكث في المسكن، تحرس الأميرة ذات الشيم، ريثما يعثر هو بنفسه على بياض الثلج، وقرر ثانياً أن يحكم إغلاق نوافذ وأبواب المسكن حتى لا يتسلل منها أحد، وقرر ثالثاً أن يركب البساط الطائر للبحث عن بياض الثلج؛ ففي ذلك توفير للوقت والجهود، وسرعة في مسح واستكشاف البلاد، وضمان لبقاء البساط في حفظه، وتحت يده

انطلق حارسنا المعلم بالبساط الهلالي الطائر، باحثاً عن ضالته في أرجاء بلاد القيم، وقد سيطر عليه إحساس بالحزن العميق؛ فهذه أول مرة يطير بالبساط الطائر، دون أن تكون أميرته الحبيبة إلى جواره، لكنه كإنسان مسئول عن مصير أمة بأكملها، لم يسمح لمشاعره، أن تغلق عقله عن التفكير السليم، فيما يجب القيام به من تصرفات، وأخذ من قرارات

طار حارسنا المعلم بالبساط؛ يفتش عن بياض الثلج، وهو لا يدري أنها تختبئ بجوار مسكن الخادمتين، في موضع خفي، باحتراف شديد، معهود من أهل التلصص والتجسس

رأت بياض الثلج من مخبئها خلف المسكن، ملكة الشرق شهرزاد، تسير متناقلة إلى باب المسكن، ودموعها تبلل أثوابها، وتطفئ نيران حليها وزينتها الوهاجة، فعلمت بياض الثلج حينها، بسقوط حليفها الوحيدة في هذه البلاد

لم تتأثر بياض الثلج إطلاقاً، بسقوط التحالف المعقود بينها وبين ملكة الشرق، بل إنها حركت رأسها هازئة، وابتسمت بسمة تحدٍ، حين رأت انهيار شهرزاد وبكائها، فقد أيقنت منذ البداية أن شهرزاد ركنٌ واهٍ، وزبد سيل لا يمكن الوثوق به، وقررت

ابتداء من هذه اللحظة، أن تتولى الأمور بنفسها، مستعينة بإيمانها العميق بسيدھا
المسيح الأعور

فتحت الغزاة المسكينة باب المسكن، حين طرقته شهرزاد، حاولت الغزاة
الترحيب، بالملكة الخادمة شهرزاد، فلم تستطع بسبب حزنھا على وحیدھا، ولم تكن
شهرزاد محتاجة إلى عبارات الترحيب من أحد، بسبب ما لحق بها من مهانة على
يد حارسنا المعلم، وبسبب ما فقدته من احترام لذاتها، وهويتھا وكيانھا، وتاريخھا
وسيرتها

دخلت شهرزاد المسكن، ولم تكن قد أدركت بعد، أن التي فتحت لها الباب هي
الغزاة، التي حملت بين يديھا قلب ابنھا منذ قليل، وحين استعادت شهرزاد قطرات
من وعيھا، أدركت أبعاد الموقف الذي تقف فيه الآن، فهي تقف وجھا لوجه مع الأم
المسكينة، التي كانت السبب في قتلھا معنویا، وتكلھا ماديّا، وتحويلھا إلى بو یمشي
على الأرض

صرخت الملكة شهرزاد، صرخة مدویة، حين التقت عينھا بعيون الغزاة الثکلی،
ودخلت في حالة تشبه الهستيريا، من البكاء والصراخ المتواصلين، والغزاة لا
تفهم سببا لهذه الحالة، التي سيطرت على شهرزاد، لكنها حاولت كثيرا أن تهدئ
من روع الملكة الباكية دون جدوى، وحاولت كثيرا أن تفهم سبب بكاء شهرزاد، فلم
تنطق شهرزاد بكلمة واحدة، وفي النهاية زجرت الغزاة الحكيمة الملكة الباكية،
وأمرتها بالتوقف عن الصراخ والبكاء بصوت عال؛ حتى لا تزعج الأميرة ذات
الشميم، فتوقفت شهرزاد عن الصراخ، لكنها واصلت البكاء

ينست الغزاة الحكيمة تماما، من معرفة سر بكاء شهرزاد، فلما ينست عادت إلى
غرفة بياض الثلج، تجلس إلى جوار الأميرة ذات الشميم من جديد، وبعد لحظات
دخلت شهرزاد نفس الغرفة، وهي تبكي بكاء مريرا، وتضع يدها على فمھا بقوة؛
لئلا تنطلق منه صرخة على حين غرة، فتزعج الأميرة ذات الشميم في مرضھا
المجهول، وغيبوبتها التي ألمت بها

أما حارسنا المعلم، فقد أنهك نفسه والبساط بحثاً عن بياض الثلج، فلم يظفر بطائل في بحثه، فعاد أدراجه إلى المسكن، ودخل وهو يحمل البساط مطوياً بإحدى يديه، وبالأخرى يمسك حقيبة الأميرة ذات الشيم، التي جمعت فيها ما حصلت عليه من هدايا في السماء

فوجئ حارس الأميرة المعلم بشهرزاد، تجلس بجوار الأميرة ذات الشيم على سرير بياض الثلج، وهي تبكي غير مستجيبة لمحاولات الغزالة للتخفيف عنها اندفع حارسنا المعلم نحو شهرزاد، وأمسكها بغلظة من ذراعها، وهو يصيح بها: ماذا فعلتما بها؟ انظري، هل سقيتماها سما؟ ماذا فعلتما بها؟

قال حارسنا المعلم كلماته تلك، ثم لطم شهرزاد على وجهها لكمة قوية، فانهارت وسقطت من فوق السرير أرضاً، قالت الغزالة التي لم يبق في عقلها مما رأت اليوم خلية واحدة تعقل: ما هذا يا سيدي المعلم؟ ما سبب هذه القسوة على شهرزاد؟ قال حارسنا المعلم: اسكتي أيتها الغزالة فأنت لا تعرفين شيئاً، ولا تعرفين حقيقة هاتين الخادمتين

قالت الغزالة الحكيمة: مهما يكن الأمر، فما كان لك يا سيدي أن تقسو عليها هكذا أبداً، شعر حارسنا المعلم بالندم إثر لطمته لامرأة، فسكت قليلاً، لكنه لم يعتذر لشهرزاد عن لطمه لها، رغم ندمه على ذلك

سألت الغزالة حارسنا المعلم: هل رأيت يا سيدي في تطوافك بالبساط أي أثر لطفلي الرضيع؟ لم يجب حارسنا المعلم على سؤال الغزالة المزلزل، بل حلق النظر بعينين في حمرة الدم إلى شهرزاد، فبدأت الغزالة تفهم أن شهرزاد تعرف أمورا تخفيها، عن طفلها الرضيع، وأدركت الغزالة من قسوة حارسنا المعلم على شهرزاد وضربه لها، أن شراً لحق بصغيرها، وأن لشهرزاد يداً، في إيصال هذا الشر للطفل الرضيع

وهنا بدأت الغزالة تردد بصرها بين شهرزاد، وحارسنا المعلم، وبدأت ترفع صوتها تطالب بحقها في معرفة مصير طفلها الرضيع، فلم يجبها أحد، لكن الغزالة في وجه

هذا الصمت المطبق لم تجد أمامها، إلا أن ترفع صوتها أعلى وأعلى، دون حتى مراعاة مرض الأميرة ذات الشيم، الراقدة أمامها في غيوبتها ارتفع صوت الغزالة في الغرفة والمسكن مدويا، وبدا كأنه صوت هتاف لمظاهرة حاشدة، لأمهات فلسطين ولبنان والعراق وسوريا الثكالى، وكأن صوت الغزالة المدوي صوتهن جميعا، في صوت واحد

وأمام هذه المظاهرة الحاشدة من الغزالة الأم، رفعت شهرزاد وجهها من الأرض، وقالت في خزي وجلها: أنا أعتذر لكم جميعا، وأعترف أمامكم بما كان مني من خيانات لكم جميعا، أعتذر لكم وأعلم أن الأسف لا يفيد، ولن يعيد شيئا مما كان، لكنني ندمت حقا على ما كان مني، وسأطلعكم الساعة على كل ما كان مني، على شرط أن تسامحوني جميعا بعد أن تسمعوني

استبشر حارسنا المعلم بكلام شهرزاد، وظن أنها ستدله على سبيل، لإنقاذ الأميرة ذات الشيم، من مرضها المجهول، فتسرع وقال لها في لهفة: بالنسبة لي فلك مني العفو على كل ما كان، وإذا عادت الأميرة ذات الشيم لوعيتها، سأعطيك هدية كبيرة تبتهجين بها طوال حياتك

قالت شهرزاد، وقد كسا وجهها سواد الخزي والندامة: أنا لا أملك شيئا للأميرة، فصدمت بقولها حارسنا المعلم وأحبطته، وجعلته يندم لتسرع في منحها العفو، وقد ظن أن العفو في مصلحة الأميرة المحمدية، وفيه تعجيل لاستعادتها نظرت شهرزاد، وهي ترتعب إلى الغزالة، وقالت لها بحروف مهتزة، وأنت أيتها الغزالة الأم الطيبة، هل تسامحيني على ما كان مني في حقك؟ قالت الغزالة في شيء كثير من التردد: نعم أسامحك أيتها الملكة

صمتت شهرزاد لحظات تهيئا للموقف، ثم انطلق لسانها وقصت على مسامع الغزالة، وحارسنا المعلم، كل ما كان منها، ومن بياض الثلج من قول أو فعل، وهي لا تعلم أن بياض الثلج تسمع اعترافها، وتراقبها من خلف نوافذ المسكن

حكّت شهرزاد كل شيء، بجميع التفاصيل، وذكرت حارسنا المعلم والغزالة بعفوهما عنها، عدة مرات أثناء حديثها، ثم أنهت حديثها بقولها: أقسم لكم أن كل ما حدث كان بتخطيط بياض الثلج، وما كنت في يدها إلا أداة طيعة، فهي من أحرقت وادي القيم، ومنزل الأميرة بيدها، وهي من وضعت مخطط اغتيال الأميرة ذات الشيم بيدها، وهي من اختطفت الفراشتين رغدا ومجدا، فقتلتها بيدها، وهي من خدعتني حتى جنّتها بالطبي الرضيع، وقتلته واستخرجت قلبه بيدها، وإني أتعهد أمامكما، أن أساعد في الانتقام من بياض الثلج، ولو كلفني الأمر حياتي

بدأت شهرزاد، وهي تقول كلماتها الأخيرة، كمن يضع عن عاتقيه حملا ثقيلا، وكان بصرها في أثناء كلامها، متعلقا بقرون الغزالة الثكلى، لا تكاد عينها تطرف بعيدا عن ذات القرنين، وقد بدأت الغزالة متحفزة، وهي تستمع إلى ما فعله المجرمون الآثمون بطفلها الرضيع، الذي لم يرتكب ذنبا، سوى مجيئه إلى هذه الدنيا الظالمة الفاسقة، ودخوله في سلك أحيائها

خيل لشهرزاد، بعد أن أنهت سرد قصتها، أنها ستكون آخر مروياتها، وأن الغزالة الأم ستبيري فجأة نحوها، فتهتك بقرونها - وحق لها - أضلاعها، وكانت تتوقع في أي لحظة من لحظات حكيها، أن تخترق الغزالة الأم جسدها الملكي الفاخر بقرونها

تراجعت شهرزاد خطوات للوراء، توقعا لهجمة الغزالة الأم، غير أن الغزالة الوديعة لم تسدد إليها، لا قرنا ولا قرنين من قرونها، فلم تزد المسكينة على أن ارتمت على الأرض تنوح، بقلب مكلوم، وجفن مقروح، تبكي صغيرها وبقية أهلها، الذين فقدتهم على مدى عمرها، ولم تقم الغزالة بأي فعل سوى ذلك، وهو ما اعتادته، واعتاده كل أهل الوداعة، حين يثقل الظالمون أجسامهم وحياتهم، بسهام ظلمهم وظلماتهم

ارتمت شهرزاد، إثر ذلك على الأرض أيضا، وانهالت على أقدام الغزالة، تقبل حوافرها الأربعة، وترجوها معذرة بصدق، أن تقيل عثرتها، وتقبل أسفها وندمها،

وتؤكد لها أنها لا ذنب لها، إنما الجريمة تعود إلى بياض الثلج، التي مكرت بها وبالجميع

أشاحت الغزالة الأم بوجهها، عن قاتلة ابنها، وهزت أقدامها بشدة تصونها، وتضمن بها عن أن تلامس شفاه هذه المجرمة، حتى أدمت بحوافرها وجه الملكة شهرزاد، والملكة لا تتوقف عن الاعتذار، ولا يثنيتها ما تشفق في وجهها الملكي من جروح، وما سال منه من دماء، عن الاستمرار في البكاء والاعتذار، ولولا تدخل حارسنا المعلم، وشفاعته لدى الغزالة الأم، ما عفت عن شهرزاد أبدا

قبلت الغزالة الأم شفاعته حارسنا المعلم، للعفو عن شهرزاد، لكنها أقسمت بأغلظ الأيمان المؤكدة، أن تنتقم من بياض الثلج، وأنها لن تقبل بشفاعة أحد فيها، فسكت حارسنا المعلم قليلا، ثم قال لها، وقد أدرك عدالة مطلبها: متى تدركها فاقطعها، فارتاحت الغزالة قليلا لما سمعت، وسمح هذا القدر القليل من الراحة لعيونها بالبكاء من جديد، فاستأذنت لتبكي ابنها قليلا، خارج هذه الغرفة، التي عاشت فيها، قاتلة رضيعها، منذ وطئت أقدامها المشؤومة أرض القيم

خرجت غزالة الوضيحي الأم، من غرفة فتاة الإرهاب الغربية، بياض الثلج، إلى خارج المسكن، فتبعها الملكة الخادمة شهرزاد، ثم تبعهما حارسنا المعلم أرادت شهرزاد أن تواسي الغزالة الأم الثكلى، وكذلك أراد حارسنا المعلم، غير أنهما فوجئا إذ رأيا الغزالة الأم، قد تماكنت نفسها تماما، وكفكت دموعها، وتوقفت عن البكاء، ثم توجهت إلى شهرزاد تسألها قائلة: أخبريني أين جثة ابني الرضيع أيتها الخادمة ؟

صعقت الملكة شهرزاد؛ لسماعها الغزالة الأم، تناديهما بوصف الخادمة، لكنها لم تغضب منها على الإطلاق، وعذرتها بسبب فداحة خسارتها، ومصابها بفقدائها لرضيعها الوحيد

قالت شهرزاد: كما أخبرتك سابقا أيتها الغزالة الطيبة، أن بياض الثلج قد ذبحت الرضيع بيدها، ثم استخرجت قلبه من جسده بيدها، فأما القلب فقد سلمته بيدي، ليد سيدي الحارس المعلم، وأما الجثة فقد دفنتها في قبر خلف هذا المسكن

قالت الغزالة الأم لحارسنا المعلم: وأين وضعت قلب طفلي الرضيع يا سيدي الحارس؟ فقال حارسنا المعلم: إنه على بعد خطوات منك الآن، قال ذلك ثم مشى خطوات ومد يديه إلى الأرض، فالتقط لفافة القماش، التي وضع فيها قلب الظبي الرضيع، بعدما أحرقته وسحرتة بياض الثلج

استخرج حارسنا المعلم، قلب الظبي الرضيع، من لفافة القماش، وقدمه إلى أمه الغزالة، فأخذت الغزالة تشم في القلب بكل ذرة في أنفها، ثم قالت لکني لا أشم رائحة ابني الرضيع، في هذا القلب، قال حارسنا المعلم: ربما يكون ذلك بسبب النار التي أحرقته، وما وضعته عليه بياض الثلج من طلاس، وتعويذات سحرية شيطانية

لم تجد الغزالة الأم بدا، من التصديق بأن هذا القلب، هو قلب ابنها الرضيع، رغم أنه لا يشبه قلب ابنها الرضيع في شيء، فقبلته بقمها، وأخذت تلحسه بلسانها؛ لتنظفه مما علق به من سواد؛ بسبب النيران

حاول حارسنا المعلم تحذير الغزالة، من لعقها لقلب ابنها الرضيع، وأخبرها بأن السحر الشيطاني، الذي وضعته بياض الثلج في القلب، يحتمل أن ينتقل إلى جوفها عبر لعابها، إذا ابتلعت ريقها، وهذا ما أيدته شهرزاد أيضا، إلا أن الغزالة لم تتوقف خوفا من تحذيرها لها، بل على العكس تماما زادت من لعقها لقلب ابنها، وأخذت تبتلع كل ما يعلق بلسانها من جزيئات سوداء، وبقايا من آثار الحريق والنار، وكأنها تعتمد إلى ابتلاع التعويذات السحرية؛ لتقضي عليها، فتموت فتلحق برضيعها الشهيد، وتجتمع به في الدار الآخرة

انتهت الغزالة الأم من تنظيف قلب ابنها الرضيع، وإزالة ما بقي به من آثار الحريق، وانتظرت أن تشعر بالآلام في جسدها، فلم يحدث لها شيء، فهزت رأسها؛ أسفا على فشل خطتها، في اللحاق العاجل بابنها

نظرت الغزالة من جديد إلى حارسنا المعلم، وطلبت منه أن يحمل بين يديه قلب ابنها الرضيع، في رفق وعطف وحنو، ثم طلبت من شهرزاد، أن تقودهما إلى قبر ابنها؛ لتدفن معه قلبه المحترق في حفرة واحدة

وقبل أن تخطو شهرزاد خطوة واحدة، كانت الفراشة وعد، قد عادت ترفرف بجناحها المصاب، من ناحية جبال بلاد القيم الشاهقة

هنأت وعد حارسنا المعلم، على عودته من الرحلة السماوية، وأعربت عن أسفها، لتأخرها عن العودة؛ بسبب صعوبة طيرانها بجناحها المصاب، واعتذرت كذلك عن عدم نجاحها في العثور، على أي أثر للطبي الرضيع

أنهت وعد ترحيبها واعتذاراتها، ثم استأذنت في الدخول إلى المسكن؛ لتهنئ الأميرة ذات الشيم على العودة، ولتستريح قليلا، وقد ظنت المسكينة أن بإمكانها أن

تستريح، وطارت بجناحها المصاب إلى داخل المسكن، وهي تنادي على بياض الثلج؛ لأنها لم ترها واقفة مع الواقفين أمام باب المسكن طارت وعد فوق رؤوس الواقفين، وكادت أن تعبر باب المسكن، لولا أن شهرزاد استوقفتها، ونادت عليها

عادت وعد المتعبة إلى خارج المسكن، وهنا أعادت عليها شهرزاد، ما قصته على مسامع حارسنا المعلم، والغزالة الأم، وأطلعته على ما جرى للأميرة ذات الشيم، من دخولها في الغيبوبة، ومصير الطبي الرضيع، ثم مصير أختيها رعد ورعد

صدمت وعد مما سمعت أشد صدمة، وحدقت بعينيها الصغيرتين، في الملكة الخادمة شهرزاد، وقالت لها: إذا أنتما من قتل طفل هذه الأم المسكينة الرضيع، وأنتما من قتلتما أختي الشهيديتين، وأكثر من ذلك وأكبر إثما، أنكما دمرتما بلاد القيم، ومعها أحلام الأجيال والأمم، يا لحماقتك أيتها المخلوقة، تالله لقد جئتما شيئا إذا، تستحقان عليه الموت، بلا رحمة ولا شفقة

صمتت الفراشة وعد لحظات، ثم أكملت حديثها قائلة: عزائي الوحيد في موت أختي، أنهما نالا الشهادة في سبيل الله، ونحن شعب يقدر الشهادة حق قدرها، وقد علمنا، والدنا الأمير تميم الأمجد، أن الشهادة في سبيل الله أسمى أمانينا، ومن أجل الشهادة اصطحب أبي الأمير، أبناء شعبنا تحت قيادته وقيادة عمي طيب رجبين؛ لنيل شرف الجهاد في بلاد الشام، ولذلك لن أحزن على أختي الشهيديتين، لكني في نفس الوقت، لن أعفو عن قاتلهما أبدا

قالت شهرزاد مسرعة: إنها بياض الثلج من قتلتهما بيدها، قالت وعد: وأنت تشاهدين موتهما، وهما من أبناء دينك، بكل هدوء ودم بارد، فأنت بذلك شريكة لبياض الثلج، في قتلها وإرهابها، بصمتك وخذلانك، لأبناء دينك رعد ورعد

قال حارسنا المعلم: دعك منها الآن يا وعد، واحمدي الله تعالى على جميع أقداره، واسترجعيه في أختيك الشهيديتين، فقالت وعد على الفور: إنا لله وإنا إليه راجعون،

اللهم أجرني في مصابي هذا، واخلفني خيرا منه، واكتبنا في المجاهدين الصادقين،
ومن أهل الشهادة في سبيلك

أمن الحاضرون على دعاء الفراشة وعد، ثم قال حارسنا المعلم لوعده: لقد كنا
ذاهبين إلى قبر الطبي الرضيع، قبل وصولك بلحظات فهل ستذهبن معنا؟ قال وعد:
قبل أن أذهب معكما، لابد لي أن ألقى نظرة اطمئنان، على وجه الأميرة ذات الشيم،
وأن أحمل معي جثتي أختي معا، لدفنهما مع جثة الطبي الرضيع؛ ليكون الشهداء
جميعا في موضع واحد، ويبعث الثلاثة معا في يوم الحشر إن شاء الله تعالى

قالت الفراشة وعد تلك الكلمات، ثم طلبت من الملكة الخادمة شهرزاد، أن تدخل
أمامها غرفة بياض الثلج، فاستجابت شهرزاد من فورها
دخلت شهرزاد ووعد، غرفة بياض الثلج، وألقت وعد تحية السلام على الأميرة
المحمدية، ودعت لها بالشفاء العاجل، ثم طلبت من شهرزاد، أن تستخرج لها
الصندوق المحطم، الذي يحمل جثتي أختيها، ففعلت شهرزاد ما طلب منها، بدون
أي كلمة

فلما وقعت عينا وعد، على أختيها الشهيديتين، لم تدمع دمعة واحدة، بل هنأتهما
على ما نالا من شهادة، وما حققا من وصية والدهما الأمير تميم الأمجد، بالحرص
على طلب الشهادة، في كل لحظة من حياتهما

ترحمت وعد على أختيها الشهيديتين، ودعت لهما بخير، ثم طلبت من شهرزاد أن
تحمل الصندوق المحطم، وتخرج من المسكن، لتقودهم جميعا إلى قبر الشهيد
الثالث في بلاد القيم، فخرجت شهرزاد، تحمل صندوق الشهيديتين بين يديها، وفوق
رأسها تحلق الفراشة وعد

استأذن حارسنا المعلم، بالدخول مرة أخيرة إلى المسكن؛ لتأمينه والتأكد، من
إغلاق جميع النوافذ والأبواب، ثم خرج، وأحكم إغلاق باب المسكن من الخارج،
وأغمض على المفتاح يده اليمنى، وحمل قلب الطبي الشهيد بيده اليسرى

انطلقت شهرزاد أمام أصدقائنا، تقودهم إلى حيث يوجد قبر الطبي الشهيد، خلف المسكن، وانطلق أصدقائنا خلفها، حتى وصلوا إلى موضع القبر صعد الجميع، حين رأوا بأعينهم، قبر الطبي الصغير، قد نبش وأعيد حفره، وأن جثة الطبي الشهيد، غير موجودة، توجهت الأنظار إلى شهرزاد، وفي كل عين سؤال، وفي كل عقل هاتف، يتهم شهرزاد بالتدبير لخدعة جديدة، تقضي على جميع الحاضرين بالموت

ظنت الغزالة ووعدها سوء في شهرزاد، وأخذت الغزالة تصرخ في وجه شهرزاد وتسألها: أين جثة ابني الرضيع أيتها الخادمة؟ وعادت عيون شهرزاد لمراقبة قرون ذات القرنين من جديد، وهي تتوقع من جديد، أن تخترق تلك القرون الحادة أضلعها، وأخذت تتراجع إلى الوراء، وتنكر معرفتها بأي شيء، سوى ما حكته للجميع، قبل قليل

لم يفض الاشتباك بين شهرزاد، والغزالة الأم، سوى تدخل حارسنا المعلم، الذي طالبهما جميعاً، بالصبر والاستماع إليه، فصمتتا ليسمعا كلامه، فقال: أتوقع أن تكون بياض الثلج، قد سبقتنا إلى قبر الطبي الشهيد، وقد نبشت القبر، وحملت جثة الشهيد معها؛ لتكون ورقة للضغط علينا، والتفاوض معنا؛ لنسمح لها بالخروج الآمن من بلاد القيم، ومعنى أنها سبقتنا إلى هذا المكان، ونبشها للقبر قبل أن نصل إليه، أنها كانت تراقبنا، وتتجسس علينا طوال الوقت، وأنها رأت بعينها شهرزاد، وهي تحكي لنا، عن تفاصيل المؤامرة، ورأت كذلك اتفاقنا معاً، وتحالفنا ضدها، للقضاء عليها، لكن المطمئن في الأمر، أنها تخاف منا خوفاً شديداً، ودليل خوفها هروبها وحملها، لجثة الطبي الشهيد، كورقة للتفاوض معنا

قالت الغزالة: وهل سنتركها حتى تبتعد في هروبها بجثة ابني الشهيد؟ قال حارسنا المعلم: إن حملها لجثة ابنك الشهيد، سيساعدنا في سرعة القبض عليها؛ لأنه سيبطئ من قدرتها على الهروب، قالت الفراشة وعد: ولكن ماذا لو صنعت بجسد الطبي الشهيد، تعويذة سحرية جديدة؛ لاستكمال ما بدأته من تدمير بلاد القيم، والقضاء على أهلها

قال حارسنا المعلم: لا خوف علينا، من أسحارها وشياطينها، فنحن متوكلون على الله، ونريد الخير العميم لجميع سكان كوكب الأرض، باختلاف ألوانهم وأفكارهم، لكن علينا أن نسرع، للقبض عليها على كل حال

قالت وعد: أقترح عليكم أن نقوم أولاً، بدفن جثتي رغد ورعد، ومعهما قلب الطبي الشهيد، في هذا القبر، ثم ننطلق لنلحق ببياض الثلج، فنقبض عليها، ونستعيد منها، جثة الطبي الشهيد فندفنها، ونعرف منها، سبب مرض الأميرة ذات الشيم، وطريقة علاجها

أضاف حارسنا المعلم: لكننا سننطلق للبحث عن بياض الثلج، سيرا وجريا على الأقدام، ولن نستخدم البساط الطائر؛ حتى لا نلفت انتباه هذه المجرمة الهاربة، فإنها ستتمكن من رؤيتنا بكل سهولة، إذا حلقنا بالبساط في جو السماء وافق الجميع على هذا المقترح، فدفنوا الفراشتين الشهيدتين، ومعهما قلب الطبي الصغير، وأهالوا عليهما التراب، ثم انطلقوا على أقدامهم؛ للبحث عن أميرة الإرهاب الغربية

قسم حارسنا المعلم، شركاءه في عملية البحث إلى فريقين، فجعل الفريق الأول، مكونا من الفراشة وعد، والملكة الخادمة شهرزاد، والفريق الثاني، يتكون من حارسنا المعلم، والغزالة الأم

وكان أعضاء الفريقين جميعا، يعانون من التعب والجوع الشديدين، مما أثر على سرعة انتشارهم، وقدرتهم على البحث والتفتيش، وكان الفريق الأول أكثر الفريقين بطء، فمن ناحية كانت شهرزاد، تمشي مشية الملوك، ويثقلها في مشيتها، جراح وجهها، التي تسببت فيها الغزالة بحوافرها، وكانت لا تزال تنزف دما، وجراح قلبها وكرامتها، التي تسبب فيها حارسنا المعلم، برفضه حبها، ودفعه لها حتى وقعت أرضا مرتين، ثم جراح كبريائها التي تسبب فيها، اضطرارها للاعتذار، والتوسل لكل من حولها، من أجل تركها في قيد الحياة، وفوق ذلك كله ندمها على

ما ارتكبت من جرائم وخيانات، في حق من حولها، وقبولها أن تتحول من ملكة
أمرأة ناهية، إلى أداة طيعة، في يد أميرة الإرهاب الغربي
ومن ناحية ثانية، كانت الفراشة وعد، تعاني من آلام جناحيها، فأحدهما مصاب
بإصابة بليغة، والآخر قد تعب من الطيران، من قبل شروق الفجر، حتى الآن

أما الفريق الثاني، فلم يكن أحسن حالا من الفريق الأول، فمن ناحية كانت الغزالة
منهكة القوى من كثرة الجري، وشدة الجوع، وآلام الثكل والحزن على فقدانها ابنها،
ومن ناحية أخرى، كان حارسنا المعلم، متعبا بالسهر والجوع، وآلام الحزن على
أميرته، والخوف عليها وعلى مصير الأمة، ثم الخوف من مواجهة أهل الأميرة
ذات الشيم، عند العودة إلى مصر، إن استمر مرضها المجهول بلا علاج
وبالرغم من تلك المتاعب والمشاق، بذل كلا الفريقين، كل ما في وسعه من جهود،
بلا كلل ولا ملل، وكان حارسنا المعلم، أشد الجميع حرصا، على العثور على بياض
الثلج؛ لتخبره بعلاج الأميرة المحمدية

وقبيل الظهر، عثر حارسنا المعلم على ما يقوده، إلى بياض الثلج، وإذا بها تختبئ
فوق تل، بين أجمة أشجار، بجوارهن مجرى ماء، قد أمنت بموضعها لنفسها
الخبیثة، الطعام والشراب؛ لتتفرغ لحياكة المؤامرات والخطط، للانتقام من الحليف
والعدو، على حد سواء

تسلل حارسنا المعلم، من خلف التل، واندس بين الأشجار، غير أن الملعونة شعرت
به، وكأن قرينها الشيطان، قد همس في أذنها فتلفتت، فرأت طرف جلاب حارسنا
المعلم، باديا خلف الأشجار

لم تقف بياض الثلج، عاجزة مستسلمة، تنتظر القبض عليها، بل أطلقت ساقها
للريح، وهي تحمل في يديها بحرص، جثة الطيبي الشهيد، وكأن في تلك الجثة
الميتة، ضمانا لروحها الحية ونجاتها

ركضت بياض الثلج بسرعة شديدة، حتى اعتلت قمة أحد الجبال القريبة، وفي يدها جثة الطيبي الشهيد، وكان مصدر قوتها وسرعتها، أنها لم تتعرض لما تعرض إليه أصدقائنا، من إصابات وجروح، وجوع ومشاق

أراد حارسنا المعلم، أن يلحق بها، فوق قمة الجبل، لولا تلويحها بجثة الطيبي الشهيد، مهددة بإلقائه، بين منحدرات الجبال، في مكان لن يصلوا إليه أبداً، فثبت حارسنا المعلم مكانه، وطفق يخفض عنها بقوله: اهدي يا بياض الثلج، لن أؤذيك، وأعدك ألا أترك أحداً يؤذيك، وسنعفو عنك وسنكافئك، كما فعلنا مع شهرزاد، وسأعيدك سالمة إلى وطنك، بشرط واحد، أن تخبريني ماذا فعلت بالأميرة ذات الشيم، وكيف السبيل لعلاجها؟

سخرت بياض الثلج بغطرستها، من كلام حارسنا المعلم ووعوده، ولم تطق جنبات الوادي، ما رنت وترددت بها من ضحكات بياض الثلج، وهي تستهزئ وتقول: أتعذل بي هذه الحمقاء؟ أتساوي بيني وبين تلك الشهرزاد؟ إن لها عقلا في أذنيها، متى ألقى لها شيء، تؤمن به، لقد جاءت لخدمة أميرتك المزعومة، لكنني بذكائي، حولتها إلى جارية عندي، دون أن تشعر بذلك

قال حارسنا المعلم: فلتكن شهرزاد حمقاء أو رعاء، كما تشائين وصفها، ولتكن جاريته أو عبدك، فذلك لا يهمني، ولكن ما يهمني أن تخبريني، ماذا فعلت بالأميرة ذات الشيم؟ حتى أعالجها

قالت بياض الثلج: وهل هي في قيد الحياة، حتى تعالجها وتنقذها، قال حارسنا المعلم: نعم، لكنها الآن فاقدة الوعي تماما، فأخبريني كيف السبيل لعلاجها

قالت بياض الثلج، بسخرية وازدراء: ما رأيك أن تذهب إلى أميرتك المزعومة، وتعطيها قبلة حارة على شفيتها، ربما تصحو من غيبوبتها، فقد مررت أنا بنفس هذه التجربة، حين وجدني الأقزام السبعة، وجاءني الأمير الجميل، فقبلني فاستيقظت على الفور، وكانت قبلته هي العلاج، لكنني أعرف أنك لن تفعل أيها

الحارس الجبان، أتدري لماذا ؟ لأن إسلامكم يحرم عليكم القبلات إلا بين الزوجين، ولأنك تخشى إلها لا تراه عينك، ولن يتجسد لك أبدا في يوم من الأيام

كتم حارسنا المعلم غيظه المميت، وقال: إنني أعرض عليك العفو، وعدم قطع رقبتك أيتها الساحرة الفاسقة، مقابل إخباري بطريقة علاج الأميرة ذات الشميم، قالت بياض الثلج، وقد خففت شيئا من ضحكها وسخريتها: بل أنا من أعرض عليك عرضا سخيا، أيها الحارس العنيد، ما رأيك لو تعطيني أنا تلك القبلة الحارة، وتتزوجني؛ لنصبح أنا وأنت أمراء على بلاد الشرق كلها، ونعلن تبعية تلك البلاد، لربي الجميل الأعور

قال حارسنا المعلم: أنا لا أفعل ذلك أبدا، ثم أنك متزوجة بالفعل، أيتها الشيطانة المجنونة، قالت بياض الثلج: لا ضير في ذلك، فإن ربي الجميل الأعور، سوف يعوض زوجي بزوجة أخرى، صدقتي أيها الحارس العنيد، فالأمر سهل جدا، كل ما علينا فعله، تقديم تضحية وقربان، لسيدي المسيح الأعور، وسيكون قرباننا مميزا؛ لأننا سنقوم بتدمير هذا المكان الأسطوري، بقبلة واحدة، وإنني أبشرك بأنك ستجد طعم شفتي، كطعم تفاحة آدم، فإن فمي لا يزال ممتزجا بالتفاحة المسمومة، التي أعطتني إياها زوجة أبي الشريرة، هيا قبلني في فمي التفاحي الشهى، أيها الحارس العنيد، أو اسمح لي أن أقبلك، ثم انظر بعينيك كيف سينهار هذا المكان في لحظات، لنبنى على آثار انهياره، عرش مجدنا، وسيطرتنا على العالم الشرقي كله

فهم حارسنا المعلم، أن هذه الماجنة من عباد المسيح الدجال، فصرخ فيها بأعلى صوته قائلا: أيتها الماجنة لا مسيح إلا عيسى ابن مريم، فكفي عن الهراء، وازدراء الأديان، والحديث عن معبودك الدجال الملعون، وأخبريني بطريقة علاج الأميرة ذات الشميم، قبل أن أقطعك بأسناني وأظفاري

عادت بياض الثلج، إلى ضحكها المستفز، واستخفافها الشديد، بحارسنا المعلم، وقالت: حتى لو أخبرتك ما فعلت بها، أيها الأحمق، فلن تستطيع لها نفعا، ولن تحيا أميرتك المزعومة بعد اليوم، فموتها مؤكد محقق

لم يشعر حارسنا المعلم بنفسه، وهو يمرق كالسهم من كبد الرمية، صاعدا قمة ذلك الجبل، غير مكترث بتهديدات بياض الثلج، بإلقاء جثة الطبي الشهيد، وقد سيطرت عليه طباعه الصعيدية، واستفزته سخرية هذه الفاجرة المجنونة، واستنفرت مفاصل جسده كلها، فلم تحط رحالها، إلا على رأس بياض الثلج

وإذا بحارسنا المعلم، قابض على تلايب بياض الثلج، وآخذ بخناقها، وهو يصرخ فيها: انظري أيتها الملعونة، ماذا فعلت بها؟

صمتت بياض الثلج عن الجواب وتحملت الألم، فزاده صمتها حنقا وحمقا، فأنشب يديه في عنقها، وبدأ يخنقها، حتى كاد عنقها أن ينكسر

أيقنت بياض الثلج أن رقبتها، ستخلع في يد حارسنا المعلم، عما قليل، فألقت جثة الطبي الشهيد من يدها، بما بقي فيها من عزم، فسقط الشهيد على الصخور مهشما، وزادت جراحه جراحا، وقد خيل لبياض الثلج، أن حارسنا المعلم، سيقفز خلف جثة الطبي الشهيد؛ ليلحق بها، لكنها صدمت حين رآته، لم يلتفت البتة، إلى ما سقط من يديها

زاد حارسنا المعلم، من إحكام قبضته على رقبة بياض الثلج، حتى بدأت تفقد قدرتها على التنفس، وهو يقول لها: الآن أقتلك أيتها الساحرة الشيطانية، لقد أخطأت بإلقاء آخر سلاح كنت تهديدين به، فمن منا الأحمق الآن؟

جاهدت بياض الثلج، بكل قوة بيديها؛ لتبعد أو تخفف من قبضة يدي حارسنا الخانقتين، لكنها لم تستطع، فصرخت مستسلمة للمنية الوشيكة، قائلة بصوت لا يكاد يبين: اتركني فسأقول لك على كل شيء

خفف حارسنا المعلم، من وطأة يديه الخشنتين على عنقها، لكنه لم ينزعهما تماما، وقال: تكلمي، فقلت وهي تلتقط أنفاسها، بصعوبة شديدة: لقد خدعت أميرتك

العربية، حتى ابتلعت ثلاث حبات، من بذور الرذائل، وزعمت لها أنها دواء يقويها،
والحقيقة أنني قد علمت بأنها أميرة القيم، وأنه لابد وأن تعمل حبوب الرذائل
مخالبا في جوفها، فتوقف قلبها، وتسوقها بالتدريج لموتها، وما هي إلا ساعات،
وسوف تموت أميرتك العربية، لا محالة

رفع حارسنا المعلم يديه، عن رقبة بياض الثلج تماما، وهو يهتف وكيف علاجها ؟
قالت بياض الثلج: لا أعرف لها علاجاً، ولا أظن أنه يوجد لها علاج على الإطلاق،
فما ابتلعت في جوفها، يمثل أشد أنواع السموم الناقعة عليها، فهو مضاد لطبيعتها
التي خلقت عليها، كأميرة للفضائل والقيم

قال حارسنا المعلم في صرامة: يجب عليك أن تفكري في علاج للأميرة ذات الشيم،
وإلا قتلتك الآن، قالت بياض الثلج: لن تقتلني فأنا أعرف أن أديء البطولة أمثالك،
لا يقتلون النساء

لم يشعر حارسنا المعلم، وبياض الثلج، بأقدام الغزالة الأم، تتجسس الأرض حتى
ارتقت ذروة الجبل، وهي تقول، ردا على قول بياض الثلج الأخير: إن كان يعجز
عن قتلك، فأنا سأفعل

قالت الغزالة الأم عبارتها، ولم تثن بكلمة بعدها، بل انطلقت كقذيفة مدفع غاضبة،
نحو بياض الثلج، فجحظت مقلتا بياض الثلج، عند رؤياها الغزالة، وتلعثمت فلم تدر
ما تقول، وقد أرادت أن تستنجد بحارسنا المعلم، وكان أيضا يريد أن تحيا بياض
الثلج لحظات، تطلعه فيها على علاج الأميرة ذات الشيم، غير أن الغزالة الأم لم
تمهل أحدا، فأعملت ذات القرنين، قضيب قرونها المستدقة المستحدة، في جسد
بياض الثلج، وطرحتها من فوق قمة الجبل، تتحدر قتيلة، وكان آخر ما نطقت به
الملعونة، وهي ساقطة من أعلى الجبل، قولها: المجد لسيدي الرب المسيييح
الأعووووااa

قتلت غزالة الوضيحي، جنديا من جنود المسيح الدجال، وثارت لابنها الرضيع
الشهيد، وهم حارسنا المعلم، أن يلوم تلك الأم العربية على ما فعلت، لكنه عاد

وانثنى، وما زاد على أن ربت على ظهر تلك الأم، وهي تشرف من فوق قمة الجبل، على مصرع الشيطانة بياض الثلج، التي أفسدت بلاد القيم، واغتالت أميرتها، ثم قال: لعنها الله لقد دمرت كل شيء، وشغلتنا عن صلاة الفجر

وقفت الغزالة الأم طويلا في مكانها، وكأنها تنظر؛ لتتأكد من موت بياض الثلج، فلعلها قد بقي فيها رmq، أو بقية من حركة، فتجهز عليها وبعد التأكد من موت بياض الثلج، نزلت الغزالة الأم مع حارسنا المعلم؛ لاستعادة جثة ابنها الشهيد الرضيع، وبعد تعب شديد، استطاع حارسنا المعلم، الوصول إلى جثة الطبي الشهيد واستعادتها

عاد حارسنا المعلم، من بين المرتفعات الصخرية، وهو يحمل جثة الطبي الشهيد، إلى حيث تنتظره الغزالة الأم، تحت الجبل مع الملكة الخادمة شهرزاد، والفراشة وعد

بكت الغزالة الأم كثيرا، حين وقعت عينها على جثة ابنها الشهيد، وجرت في أنفها رائحته الزكية، فاختلطت بأنفاسها وملأت رئتيها، وبكت أكثر وهي تقبله، وتلعق جراحه الدامية، بلسانها الذي لعقت به قلبه الصغير منذ قليل، ونظفته مما علق به، من آثار السحر والنار، ولعقته به فور ولادته، وخروجه من بطنها، يحمل لها ولوالده الأمل والحياة

وبعد انتهائها، من تنظيف جثة الطبي الشهيد، مما علق بها من آثار الدماء والتراب، طلبت الغزالة الأم من حارسنا المعلم، أن يحمل جثة الطبي الشهيد، بنفس الرفق والعطف والحنو، الذي حمل به قلب الشهيد منذ قليل

حمل حارسنا المعلم، جثة الشهيد الرضيع، بكل سكينه ووقار، وتوجه مع الجميع إلى مسكن الخادمتين؛ لاستكمال مراسم دفن شهيد بلاد القيم الثالث سارت الغزاة بصعوبة، لا تكاد ترفع رجلها، وقد بدا عليها، أنها تسترجع في وجوم، كل ما جرى لها في حياتها مع زوجها، الذي ضحى بنفسه شهيدا من أجلها وابنها، لكنه لم يدر، أنه أنقذ ابنه من ذنب حيوان، ليفتك به ذئب البشر، ولم يدر بخلده، أنه يلقي بنفسه إلى التهلكة، بدون طائل يذكر، فما هي إلا أيام حتى يذبح صغيره، الذي حلم به طويلا، وعاش معه قليلا، ومات من أجله قتيلا وكأن ثقل هذه الهموم المتزاحمة على خاطر الغزاة، قد سرى من نفسها إلى أرجلها، فعاقها عن الحركة، فسارت ونيدا، كمن يحمل حجارة وحديدا

أما حارسنا المعلم، فكأنما أغشيت وجهه قطعا، من الليل مظلما، لكنه لم يسر كالغزاة ونيدا، بل اشتعلت قدماه سيرا، فكاد أن يخف بهما في الهواء، وفي كل خطوة تلامس قدماه الأرض، ينهال على نفسه لوما وتقريعا، فهو الذي أحضر الأميرة ذات الشيم، في كفالته إلى هذه البلاد، وهو الذي تعهد أمام أبيها بحمايتها، ولولا ذلك لما أمنت عليها أمها

وكان حارسنا المعلم، كلما تذكر هذه النظرة، في عين أم الأميرة ذات الشيم، ترجوه فيها أن يحفظها، زاد أساه الأسى، وأسرع الخطو، وهو يجلد نفسه بمثل هذه الأسئلة، ماذا سيخبر أم الأميرة الآن؟ وبماذا سيبرر تقصيره في حفظها؟ ليتها لم تحضر، ليتها لم تعبأ بما في هذا العالم، ليت العالم يرتد غابة، كما يريد له الظالمون أن يكون، غير أن الأميرة ذات الشيم تبقى بسلام

أهكذا يكون جزاء من كان همه إصلاح أمر كل البشر؟ ومن يريد الخير لهم جميعا؟ أهذا جزاء من بعثت الأخلاق إلى الدنيا؟ وأحيت القيم لتنقذ من فيها؟

لقد قدمت الأميرة يد العون والإنقاذ للجميع، وها هي الأميرة تحتاج إلى يد العون والإنقاذ من الجميع فلا تجدها، أتراهم من سارعت هي لإنقاذهم يسارعون لإنقاذها؟ أو يعبنون حتى بنكبتها؟ أو يقدرّون تضحياتها؟

سار حارسنا المعلم في مشيته حزينا، وكأنه قد انقسم شطرين، كلما رفع قدما ووضعها، بدا شطر وغاب شطر، فشطر يلومه على إحضاره للأميرة، وشطر يمنيّه بأن الله تعالى لن يتركها، وأنه لا محالة سيخلصها، كما خلصت هي القمر ليلة أمس، وأنه سبحانه سيبعث روحها من جديد، كما سعت هي لبعث الأخلاق، فسرت في الكون روحه من جديد

وما هي إلا خطوة، حتى يعود الشطر الآخر على الأول بالتحسر، فيقول: لكنها ماذا جنت من فعلها الطيب غير انطراحها في فراش بين الموت والحياة؟ لا يدرى أيفتك بها الموت فيختطفها، أم ترضى بها على الموت الحياة فتضمها وتعيدها إلينا؟

وصل حارسنا المعلم إلى المسكن، وهو على هذه الحال، فتح باب المسكن بالمفتاح، الذي كان يحتفظ به في جيبه، ودخل الغرفة ليطمئن على أميرته المحمدية، ثم تبعته في الدخول شهرزاد

جلست شهرزاد، إلى جوار الأميرة ذات الشيم، وفنيت في الاستغفار لنفسها، والدعاء للأميرة ذات الشيم بالشفاء والسلامة، فرفعت يدين تلهثان للسماء، ترجو الله أن يغفر لها، وأن يشفي سيدتها ذات الشيم

وبعد لحظات، وصلت الغزالة ورعد، فطلبت من حارسنا المعلم، أن يصحبها لدفن جثة الشهيد الرضيع، فاستجاب حارسنا المعلم لطلبها، وخرج معها إلى المنطقة الخلفية للمسكن، حيث حفروا قبر الشهداء من جديد، وخلع حارسنا المعلم جلبابه الصعيدي، ووضع بداخله الشهداء الثلاثة مجتمعين، وكفّنهم في ثوبه الوحيد الذي بقي له في تلك البلاد، بعدما أتى الحريق على جميع ملابسه، وملابس الأميرة ذات الشيم

وكان ذلك أصعب يوم مر في حياتهم جميعا، الأميرة وحارسنا المعلم، وشهرزاد وبياض الثلج، والغزالة والفراشات الثلاثة والطبي، على السواء

عاد حارسنا المعلم إلى حيث ترك أميرته الحبيبة، وجلس بالقرب منها، يعلق بصره بوجهها، ينتظر أن تفتح عينيها أو تحرك شفتيها، وشعر لأول مرة في حياته بالعجز التام، وأحس بأن السماوات والأرضين، قد تحزبن وعدن رتقا واحدا، كقبل الفتق، فأطبق على صدره مجتمعات متحدات، وما من حرز يجير صدره مما كتب وانطبق عليه، من أحمال وأثقال

ردد حارسنا المعلم عينيها، بين عيني الأميرة المغضتين، وشفتيها المطبقتين، يتمنى أن ينظر أية حركة أو علامة، تدل على قرب استيقاظها من هذه الغيبوبة، وخطر في ذهنه، ما ذكرته له الملعونة الماجنة، بياض الثلج قبل موتها، حين أخبرته، أنه لو طبع قبلة حارة على شفتي أميرته، فسوف تعود للحياة، وهم أن يفعل ذلك، لولا أنه تذكر وعوده التي قطعها، أمام والد الأميرة، ألا يقربها أبدا استغفر حارسنا المعلم، مما أوحته إليه، الشيطانة الماكرة بياض الثلج، ثم ذهب فتوضأ، وصلى الصبح والظهر معا، ثم جلس في مصلاه، يدعو للأميرة بالشفاء العاجل

وبينما هو على ذلك، إذا به يسمع صوتا، لا يرى صاحبه، يقول له: السلام عليك أيها الحارس المعلم، إنني أنا هاتف بلاد القيم، أنا من دلت الفراشة وعد إلى منزلك، وأنا من أخبرتها باللغز، الذي يتضمن اسم الأميرة حميدة ذات الشيم، وإنني أشكرك على حل اللغز، واصطحاب الأميرة إلى هنا

قال حارس الأميرة: أيها الهاتف الصادق الخفي، دعك من كل شيء، وأخبرني فقط، بطريقة أعالج بها الأميرة ذات الشيم، مما هي فيه، فقد خدعتها خادمتها بياض الثلج، حتى ابتلعت ثلاثة حبات من بذور الرذائل، وقد أوهمتها أنه نوع من الدواء المعالج

قال هاتف بلاد القيم: هل تذكر عصا الجهاد الربانية، التي أهدى الشيخ يحيى شهيد الشام، قطعة منها للأميرة ذات الشيم، في رحلتها إلى السماء، قال حارسنا المعلم: نعم إنها في حقيبة الأميرة

قال هاتف بلاد القيم: أمسك بإحدى يديك هذه القطعة من عصا الجهاد الربانية، وضع طرفها على جبهة الأميرة ذات الشيم، وأمسك باليد الأخرى مصحف الأميرة ذات الشيم، وستجده في حقيبتها أيضاً، واقرأ من المصحف كل آيات الجهاد في سبيل الله، فإذا انتهيت من تلاوة آخر آية من آيات الجهاد، ستبرأ الأميرة وتستيقظ بإذن الله تعالى، بل وستحول بذور الرذائل التي ابتلعتها، وخالطت جوفها، إلى بذور جديدة للأخلاق والقيم، ومن هذه البذور، ستزرعان حقول الأخلاق والقيم من جديد، وهذه المرة لن يقدر أحد على إتلافها أو حرقها

قال حارس الأميرة المعلم: أنا سأفعل كل ما ذكرته، لكن ألا يوجد علاج آخر نقدمه للأميرة، كبعض حبوب الدواء، أو زجاجات الشراب

قال هاتف بلاد القيم: لا علاج للأميرة ذات الشيم، إلا بتلاوة آيات الجهاد، مع لمس عصا الجهاد الربانية، واعلم أيها الحارس المعلم، أن الأمة بأكملها ستحيي بآيات الجهاد، وستستيقظ ببركة عصاه الربانية، فكيف لا تحيي آيات الجهاد وعصاه، الأميرة ذات الشيم ولا توقظها ؟

شكر حارسنا المعلم هاتف بلاد القيم، ونهض من مصلاه، إلى حقيبة الأميرة ذات الشيم، فاستخرج منها مصحف الأميرة الخاص، وعصا الجهاد الربانية، ونفذ ما أمر به هاتف بلاد القيم، وما إن انتهى من قراءة آخر آية من آيات الجهاد، حتى تحركت الأميرة ذات الشيم في فراشها، وتفتحت عيناها، فكبر حارسها المعلم وهلل، ثم سجد لله شكراً، وكذلك فعلت شهرزاد من بعده

أمسك حارسنا المعلم بيد زوجته، وساعدها على الجلوس في فراشها، وما أن اعتدلت في جلستها، حتى تدفق من فمها إلى الأرض، كميات كبيرة من البذور الملونة، التي تتطابق تماماً، مع شكل ولون بذور الأخلاق والقيم، التي زرعتها بيدها قبل يومين

تعجبت الأميرة مما أخرجت من فمها، وخشيت على نفسها المرض، لكن حارسها المعلم طمأنها، وأخبرها بأن بياض الثلج خدعتها، حتى ابتلعت ثلاث حبات من بذور الرذائل، وكان تقصد من ذلك قتلها، وأن القدرة الإلهية حولت بذور الرذائل في داخل جوفها، إلى بذور للأخلاق والقيم، وأن هذه البذور التي خرجت من جوفها، هي المصدر الوحيد، على وجه الأرض للأخلاق والقيم، بعد ما نجحت بياض الثلج، في إحراق كل حقول الأخلاق والقيم، بجميع محاصيلها وأنواعها

طلبت الأميرة ذات الشيم، من حارسها المعلم، أن يبادر بجمع هذه البذور، بحرص وعناية، ليقوما في صباح الغد إن شاء الله، بزراعتها من جديد جمع حارس الأميرة المعلم، في كيس واحد، كل بذور الأخلاق التي ولدت من فم الأميرة ذات الشيم، ثم قال لأميخته المحمدية: لن ننتظر إلى الغد، حتى نقوم بزراعتها، وسنزرعها في مساء اليوم، ولن تشرق شمس الغد، إلا وحقول الأخلاق والقيم مزدهرة ومثمرة، بإذن الله تعالى، قالت الأميرة ذات الشيم وفيما العجلة؟

قال حارس الأميرة المعلم: لأسباب كثيرة، أولها أن مصير البشرية يتوقف على زراعة هذه البذور، وعلينا أن نؤدي واجبنا كاملا تجاه سكان العالم، والمبادرة والتعجيل في ذلك، جزء من واجبنا

والسبب الثاني، أن هذه البذور التي خرجت من فم أميرة القيم للتو، واختلطت بدمها وجوفها وريقها، سيكون من الأفضل لنا ولها زراعتها قبل أن تمر الساعات، وتفقد ما جمعتها، من أسباب الخير والبركة، بملامسة جوف الأميرة ذات الشيم، ويؤثر ذلك في سرعة نموها، أو في جودة ما تثمره من أخلاق وقيم

والسبب الثالث، أنني أرغب أن تتغذى النسخة الجديدة، من الأخلاق والقيم، أثناء إنباتها، على نور القمر، وليس على ضوء الشمس، فالقمر منذ ليلة أمس، يعكس نور وجه الأميرة ذات الشيم، وبذلك يجتمع لهذه النسخة الجديدة من الأخلاق والقيم، شرف ملامسة جوف الأميرة، ثم شرف ملامسة كفيها أثناء زراعتها، ثم

شرف التغذية من نور وجهها، الذي يعكس القمر بعضا منه، وسيسهم ذلك بشكل إيجابي، في سرعة نمو هذه النسخة الجديدة، من الأخلاق والقيم، وفي جودة ما تثمره من أخلاق وقيم

قالت الأميرة ذات الشيم: وهل سنتمكن من تجهيز حقول الأخلاق للزراعة، وتنظيفها من آثار الحريق الذي دمرها، قبل حلول المساء؟

قال حارسنا المعلم: أنا أعلم أنك تعانين آلاما شديدة، يا أميرتي المحمدية؛ ولذلك سأتكفل بهذا التنظيف والتجهيز، وبعد أن أنتهي من عملي، سأعود إلى هنا لأصطحبك معي؛ لتتولي نثر الحبوب بنفسك

قالت وعد: وكيف لك أن تجهز الحقول للزراعة، وقد احترقت كل أدوات الزراعة، داخل منزل الأميرة ذات الشيم

قال حارسنا المعلم: سأقوم بواجبي بمعونة ربي، حتى لو استعملت أظافري لتقليب التربة، وإصلاح مجاري المساقى، بديلا عن أدوات الزراعة

قالت الأميرة ذات الشيم، وقد أدركت أن حارسها العنيد، لن يتراجع عن عزمه أو يؤجل خطته: ولكنك متعب ومرهق وجائع مثلنا جميعا، فهل لنا أن نأكل شيئا من الطعام، قبل البدء في العمل

قال حارس الأميرة: سنجمع بعض الفاكهة، من الأشجار المحيطة بهذا المسكن، ونصلى العصر بعد تناول الطعام، ثم أبدأ في تجهيز الحقول للزراعة

جمع حارسنا المعلم الكثير من الفاكهة، من الأشجار القريبة كما ذكر، وساعدته في جمعها وغسلها الملكة شهرزاد، ثم تناول الجميع ما يكفيه من طعام، وصلوا العصر جماعة، داخل مسكن الخادمتين، ثم استأذن حارس الأميرة المعلم؛ للخروج إلى حقول الأخلاق والقيم

عرضت الملكة شهرزاد، أن تذهب مع حارسنا المعلم؛ لمساعدته في تجهيز الحقول، كما فعلت سابقا، فرفض رفض باتا، لولا تدخل الأميرة ذات الشيم، وقولها:

لأجل خاطري يا أستاذي، دعها تكفر عن ذنوبها، وتؤكد توبتها، ودعنا لا نعين الشيطان عليها

وافق حارسنا المعلم؛ لأجل خاطر أميرته، ومراعاة لحالتها الصحية الصعبة، وطلب من الغزالة والفراشة وعد، أن تبقى مع الأميرة؛ لخدمتها وحراستها، وخرج تتبعه الملكة شهرزاد، يعلو رأسها الإحراج والخجل

وما أن وصل حارسنا المعلم، إلى حقول الأخلاق والقيم، حتى وقف في حيرة شديدة، لا يدري كيف سيصنع، لتنظيف أرض الحقول من حطام الأخلاق المحترقة، ونظر إلى يديه وأظافره، التي وعد أن يستخدمها، بدلا من الأدوات الزراعية؛ ليجهز بها الحقول

وبينما هو يقف كذلك، إذا برياح هادئة طيبة، هبت على المكان، فكنت كل ما تبقى من حطام الأخلاق، وآثار احتراقها، وطارَت الرياح بهذا الحطام، عاليا في جو السماء، حتى اختفى الحطام، وإذا بأرض الحقول مجهزة لاستقبال البذور، وإذا بالمساقى نظيفة، يجري في عروقها الماء الرقراق

ثم عادت تلك الرياح، لهبوبها من جديد، وأخذت هذه المرة ما احتراق من سقف المسجد، ومن منزل الأميرة ذات الشيم، وأشجار حديقته، وطارَت به إلى السماء، حيث طارت بحطام الأخلاق المحترق، وعادت بلاد القيم كلها نظيفة، بلا أي أثر من آثار الحرائق

شكر حارسنا المعلم ربه، على عونه وكرمه، ثم عاد أدراجه، والملكة شهرزاد تتبعه، إلى مسكن الخادمتين، حيث وجد الأميرة ذات الشيم، والغزالة، والفراشة، يسترحن نائمات

وكانت الأميرة ذات الشيم، بعد خروج حارسنا المعلم إلى حقول الأخلاق، قد تحاملت على نفسها، واستخرجت من حقيبتها دهانات ومرطبات، ودهنت بها جراح الغزالة ووعد، التي أصيبت بها بسبب الحرائق، وقد رفضت الغزالة، أن تضع من هذه

الدهانات شيئا على جسدها؛ من شدة حزنها على ابنها، لولا إصرار الأميرة ذات الشيم

ولما لطفت جراح الغزالة ووعد، وهدأت آلامهما ناما، فنامت الأميرة ذات الشيم مثلهما، وقد عاد حارسنا المعلم، من عمله في حقول الأخلاق، فوجدهن نائمات

تردد حارسنا المعلم كثيرا، وتحير في نفسه، هل يقوم بإيقاظ الأميرة ذات الشيم، أم يتركها تنام قليلا من الوقت؟ وبعد تفكير قرر أن يوقظ الأميرة النائمة، فناداها باسمها عدة مرات، فتقلبت في فراش بياض الثلج، ثم فتحت عينيها، واستيقظت

استيقظت غزالة الوضيحي أيضا، على صوت حارسنا المعلم، وتمطت وحركت أرجلها، فاستيقظت وعد بدورها

بعد استيقاظ الجميع، حكى حارسنا المعلم عليهم، خبر الريح الطيبة التي أزال آثار الحرائق، وحملتها في الجو بعيدا، ثم طلب من أميرته، الاستعداد للقيام بدورها، في زراعة النسخة الجديدة، من حبوب الأخلاق والقيم

تجهزت الأميرة، وحمل حارسها المعلم، كيس الحبوب، وعصا الجهاد الربانية، ثم خرج من باب المسكن مع أميرته، تتبعهما الغزالة والفراشة، والملكة الخادمة شهرزاد

وصل الجميع إلى حقول الأخلاق، وفتح حارسنا المعلم كيس الحبوب، وجعل يفرغ منه شيئا فشيئا، بين كفي الأميرة ذات الشيم، وجعلت الأميرة تنثر الحبوب، حتى انتهى كل منهما من عمله، ثم قدم حارسنا المعلم، عصا الجهاد الربانية، للأميرة ذات الشيم، فتوسطت بها حقول الأخلاق والقيم، وغرستها بيدها

وما أن خرجت الأميرة، وحارسنا المعلم، من حقول الأخلاق، حتى اهتزت الأرض من تحت أقدامهم هزة خفيفة، وبدأت بذور الأخلاق والقيم، تنبت في التو واللحظة

قال حارسنا المعلم: الحمد لله، ها قد نبتت الأخلاق والقيم، في حقولها من جديد، لقد نبتت بسرعة فائقة، وستنمو أسرع من النسخة الأولى من الأخلاق والقيم؛ لأن هذه البذور لامست جوف الأميرة وكفيها، وتغذت من ضوء وجهها، الذي يعكسه القمر

ولم يكد حارسنا المعلم، ينطق باسم القمر، حتى غشيت بلاد القيم كلها، دفقة إشعاعية نورانية من القمر، لم تدم إلا لحظة واحدة، وإذا ببذور الأخلاق والقيم، قد طالت رؤوسها إلى السماء، وأينعت وأثمرت، وإذا بعصا الجهاد الربانية، قد أصبحت شجرة ضخمة، متشعبة الفروع، تتوسط حقول الأخلاق والقيم، فوق الأرض، وتتشابك جذورها مع جذورها تحت الأرض

تعجب الجميع من السرعة الفائقة، التي نمت بها النسخة الجديدة من الأخلاق والقيم، وبينما هم في دهشتهم، لا يصرفون أبصارهم، عن مراقبة حقول الأخلاق، لعل شيئا عجيبا آخر يحدث لها، إذا بالفراشة وعد تهتف بأعلى صوتها، انظروا إلى المسجد، وإلى منزل الأميرة وحديقتهما، لقد عادوا كما كانوا، كأن شيئا لم يصبهم أبدا

تحولت أنظار الجميع، إلى حيث أشارت وعد، فإذا بالمسجد، ومنزل الأميرة، والحديقة بأشجارها، عادت كما كانت، قبل أن تحرقها بياض الثلج، بنيران غلها وحقدتها

قال حارسنا المعلم، في سعادة غامرة: لقد أعادت، الدفقة النورانية، التي أرسلها القمر على هذه البلاد، كل شيء لسابق عهده، وهذا من فضل الله علينا، وعلى الناس أجمعين، ثم من فضل ما تصدقت به الأميرة ذات الشيم، من نور وجهها على هذا القمر، ليلة أمس

هنا الجميع بعضهم بعضا، على ما من الله به عليهم، وعلى بلاد القيم، وعلى سكان كوكب الأرض جميعا، ثم ذهبوا معا؛ ليتفقدوا المسجد، ومنزل الأميرة وحديقتهما،

وهم يعجبون من قدرة الله وواسع فضله، فوجدوا المسجد والمنزل والحديقة، بكامل الهيئة والنظام، مثلما كان بالأمس

طلب حارسنا المعلم من الجميع، حسن الإنصات؛ لأنه سيقول كلاما هاما، أنصت الجميع، فقال حارسنا المعلم: لقد انتهت الأميرة ذات الشيم، من زراعة الأخلاق والقيم، واستدارت بلاد القيم كهيتها، يوم خلق الله السموات والأرض، ولم يبق للأميرة بعد الآن، حاجة بالإقامة في بلاد القيم، وقد آن أوان عودتها إلى أهلها في أم الدنيا

قالت الفراشة وعد: إني ليحزنني، أن تذهب بأميرتنا يا سيدي المعلم، وأتمنى لو بقيت معنا، عدة أسابيع نأنس بها، ونسعد بالقرب منها
قال حارسنا المعلم: لقد قطعت على نفسي، وعودا وعهودا يا وعد، ولا أستطيع أن أخالف وعودي

قالت وعد: أعلم يا سيدي المعلم، أنك قطعت على نفسك وعودا، لكن شوقي إليكما بعد رحيلكما سيقتلني، ولن أجد من يجالسني، ويؤانسني في هذه البلاد، بعد رحيل أبي وشعبي للجهاد، واستشهاد أختي

قال حارسنا المعلم في أسى كبير: ستظل الغزاة الحكيمة معك هنا، تعيشان معا، حتى يأذن الله بعودة أبيك وشعبك، سالمين مظفرين إن شاء الله تعالى، ولعل ما قمنا به اليوم يكون فيه التعجيل بالنصر، ومن ثم التعجيل بعودة الأمير تميم وشعبه إلى بلاد القيم

وهنا تذكر حارسنا المعلم، رسالة الأمير تميم الأجد إلى بناته، التي بعثها مع شهيد الشام، ونقل حارسنا المعلم كلمات الرسالة إلى وعد، فبكت المسكينة طويلا؛ حيننا لرؤية والدها، وبكى لبكائها أصدقاؤها، ولولا تخفيف أصدقائها عنها، ما سكنت

قالت الأميرة ذات الشيم، ودموعها على خديها: سأفتقدكم كثيرا يا أحبابي، قال حارسنا المعلم: إنها حقيقة الدنيا يا أميرتنا، لا لقاء يدوم، ولا فراق يدوم، قالت الغزاة الحكيمة: نعم صدقت

قال حارسنا المعلم: سنصلي آخر صلاة لنا في مسجد هذه البلاد، بعد أذان المغرب، وستحمل وعد الخادمة، وتعود إلى بلاد الحكايات الشرقية، وسأسافر أنا والأميرة ذات الشيم على البساط الهلالي، وستبقى الغزالة الحكيمة هنا، حتى تعود إليها وعد، من بلاد الحكايات الشرقية، وبعد عودتها، ستكون وعد والغزالة، هما الحراس على بلاد القيم وحقولها، حتى عودة الأمير تميم الأمجد، من بلاد الشام بشعبه، إن شاء الله تعالى

وافق الجميع على الخطة، التي وضعها حارسنا المعلم، وانتظروا حتى سمعوا أذان المغرب، فصلوا في المسجد خلف حارسنا المعلم، ثم صلوا ركعات شكر لله على نعمه، وخرجوا من المسجد؛ استعدادا للعودة، كل إلى موطنه

صنعت وعد بساطا من أوراق النباتات، وتسليط الضوء البنفسجي من قرون استشعارها، كما هي العادة؛ لتعيد به الملكة شهرزاد إلى بلادها

ودعت الملكة شهرزاد الجميع، واعتذرت كثيرا عما كان منها، وطلبت من الجميع، العفو والمسامحة، ثم ركبت البساط، وهي تسكب دموع الندم التي لا تجدي

ودعت الفراشة وعد، الأميرة ذات الشيم، وحارسنا المعلم، وشكرتهما على ما بذلا من جهود، وأوصتهما بالعودة والزيارة لبلاد القيم، كلما سمح لهما الزمان بذلك، ثم انطلق البساط بها، وبالملكة شهرزاد

استخرج حارسنا المعلم البساط الهلالي، من مخبئه الذي خبأه فيه، وفرشه على الأرض، ثم ودع الغزالة الحكيمة، وطيب خاطرهما على فراق ابنتها، وقال لها: اصبري يا أم الشهيد، وزوجة الشهيد، فغدا تلقين شهيدك في الجنة، إن شاء الله تعالى

احتضنت الأميرة ذات الشيم الغزالة العربية، وسالت منهما الدموع مدرارا، ولم تقدر أي واحدة منهما على النطق بأي كلمة

صعدت الأميرة ذات الشيم على البساط، بجوار حارسها وزوجها المعلم، وأخذت تلوح مثل حارسها، بيديها للغزالة

وقبل أن يصدر حارسنا المعلم، أمره للبساط بالانطلاق في طريق العودة، إلى أم الدنيا، إذا به يشعر بجسمه يهتز بقوة، ويسمع صوت أمه، تناديه باسمه، بشكل متلاحق ومتكرر

تعجب حارسنا المعلم كثيرا، من سماع صوت أمه في بلاد القيم، ولم يفهم الأمر، لكنه شعر أن اهتزاز جسمه يزداد عنفا، وصوت أمه يزداد قربا

فتح حارسنا المعلم عينيه، فإذا به يجد نفسه نائما على سطح منزله، فوق سريره المصنوع من سعف النخيل، وأمه واقفة أمامه تهز جسمه، بكلتا يديها، وتناديه بأعلى صوته، وتطلب منه أن يستيقظ؛ ليذهب إلى عمله

حملق صاحبنا المعلم في أمه طويلا، بأقصى اتساع لعينيه، ثم قال، وعقله لا يزال مختلطا بنومه، وعاجزا عن استيعاب الأمر: أين وعد؟ قالت أمه وهي غاضبة: أية وعد؟ الوعد وعد الله، قم إلى عملك، أيها الكسول

قال صاحبنا المعلم وأين الأميرة؟ فردت عليه أمه تتهم على كلامه: أنا الأميرة والملكة، ألا تعجبك أمك الأميرة، استيقظ واذهب إلى عملك بدلا من الهلوسة، بما تقرأه من كتب الخرافات والأساطير، التي أفسدت عقلك

استوعب صاحبنا المعلم الآن كل شيء، لقد كان كل ما رآه حلما لذيذا طويلا، وحيلة دفاعية، وطريقة ذكية من عقله؛ لينسيه الغضب الشديد، الذي كان يسيطر عليه ليلة أمس، بعد أن رأى تلك الفتاة، التي كانت تزعجه وتطارده بحبها المزيف، أيام دراسته الجامعية

نزلت أم صاحبنا المعلم، بعد أن كالت له إردبا أو اثنين من اللوم والتقريع، وحذرت من التأخير أكثر من ذلك، في النزول من فوق سريره، وأفهمته أنها اليوم في حالة طارئة؛ لأنها تنوي أن تنظف المنزل كله، قبل الظهر، وأنه يعطل خطتها في التنظيف؛ لأنها جهزت له طعام الإفطار والشاي، وتنتظره حتى يفطر، ثم ينصرف إلى عمله، لتبدأ في عملها، الدؤوب المضاعف اليوم

قلب صاحبنا المعلم بصره من حوله، وتحسر على ضياع حلمه اللذيذ، ونظر طويلا إلى إصيص الزهور، وكأنه يطلب منه، أن يعيد إليه صديقه وعد

استعاذ صاحبنا المعلم، من الشيطان الرجيم، ونزل إلى حيث أمه؛ لتناول الإفطار، كما وعدا منذ قليل، وبعد الصلاة والإفطار وشرب الشاي، قصد طريقه إلى مدرسة

المحروسة الثانوية المشتركة، التي انتقل إليها من المدرسة الإعدادية، منذ أسابيع قليلة

دخل صاحبنا المعلم فصل ٣/٢ ونادى على الطالبة حميدة حماد فليفل، فوقفت الفتاة وقالت: نعم يا أستاذي

جعل صاحبنا المعلم، يقلب بصره صامتاً، في هذه الفتاة السمراء التي قضى ليلته كلها، يحلم بها كأميرة على بلاد الأخلاق القيم، ويتعجب مما وقع وكان

أخذت حميدة تقول لأستاذها: نعم يا أستاذي، هل تريد شيئاً مني، لكن صاحبنا المعلم، كان غافلاً عن سماع صوتها، وفي النهاية جلست الفتاة، دون أن يأذن لها أستاذها بالجلوس، بسبب ما لاقته من إحراج، من نظرات زملائها وزميلاتها في الفصل

عاد صاحبنا المعلم إلى رشده، وتمالك نفسه، وخرج من حالة الدهشة، التي كانت تسيطر عليه، وتستحوذ على عقله، وشرح لتلاميذه درس قراءة، بعنوان (من الأدب النبوي)

وقد قدم كاتب هذا الدرس لمقاله، بقوله: (إن الشرائع السماوية، تهدف إلى سعادة الإنسان ورقية، ولن يتأتى ذلك إلا بجهد النفس، ومقاومة رغباتها في حب السيطرة، والفوز بإعجاب الناس بأي ثمن، والثروة دون التروي، من أجل تحقيق الذات، وطلباً للملذات)

ثم ذكر الكاتب، حديث رسول الله ﷺ الذي يوصي فيه، صاحبه عبد الرحمن ابن سمرة بعدم طلب الإمارة، والحديث الذي يحذر فيه الرسول الكريم، من إرضاء المسلم للناس في سخط الله، وإسخط الله في إرضاء الناس

وبعد انتهاء الحصة، وخروج صاحبنا المعلم من الفصل، لحقت به تلميذته حميدة؛ لتستفسر عما بدر منه في بداية الحصة، من نظرات غريبة إليها، لكنها لم تجد عند أستاذها، تفسيراً لما جرى

لم يحك صاحبنا المعلم لحميدة، أية كلمة من حلمه الطويل؛ فهو يجهل ردة فعلها على ما سيقوله، ولم يزد عن الاعتذار اللطيف للفتاة، وتطبيب خاطرها، فانصرفت راضية

مرت الأيام بعد ذلك، كما تعودت أن تمر، لكن شيئاً ما تغير، فقد شعر صاحبنا المعلم بعاطفة بريئة، تجذبه نحو تلميذته حميدة، وامتزجت في عقله صورتها الملائكية التي رآها في أحلامه، بصورتها الحقيقية البسيطة، التي رآها في واقعه

وفي يوم من تلك الأيام، شرح صاحبنا المعلم لتلاميذه، قصيدة الربيع لأبي تمام، وكان الجزء المقرر تدريسه وحفظه، من هذه القصيدة الطويلة، على طلاب الصف الثاني الثانوي، لا يتعدى عشرة أبيات، وجاء الجزء المقرر بداية من قول أبي تمام:

نزلت مقدمة المصيف (حميدة) ويد الشتاء جديدة لا تنكر
لولا الذي غرس الشتاء بكفه لاقى المصيف هسائما لا تثمر
ما كانت الأيام تسلب بهجة لو أن حسن الروض كان يعمر

لاحظ جميع الطلاب والطالبات، ورود كلمة (حميدة) في قصيدة الربيع، وقد أطلق ذلك العنان، لمضايقات وسخافات، الكثير من الطلاب والطالبات، تجاه الطالبة حميدة حماد، فجعلوا يتندرون ويتتمرون على الاسم، خاصة أثناء تسميع القصيدة، حيث يعمد الطالب أو الطالبة، إلى تكرار كلمة حميدة، عن قصد وسوء نية؛ من أجل أن يضحك زملاؤه، ولم تجد محاولات صاحبنا المعلم، في منع هذا الضحك والتنمر

عاشت حميدة عدة أيام صعبة؛ من جراء هذا التنمر على اسمها، وقد ظهر ذلك في غيابها المتكرر، ثم في عجزها عن حفظ هذه القصيدة بالذات، رغم أنها لم تترك شاردة ولا واردة في المنهج، إلا وقد أتقنتها وحفظتها

فكر صاحبنا المعلم، في طريقة يعالج بها هذا الموقف السخيف، ثم قرر أن يحكي الحلم، الذي رأى فيه الأميرة ذات الشيم، على مسامع طلابه؛ ليعرفوا قيمة اسم حميدة

تخير صاحبنا المعلم حصة مناسبة، وأعلن لتلاميذه أنه لن يشرح لهم شيئا من المنهج، في هذه الحصة، بل إنه سيسرد على مسامعهم، قصة الأميرة ذات الشيم، التي تعرف عليها منذ أيام قليلة

أصاخ الطلاب أسماعهم لأستاذهم، وانطلق الأستاذ يحكي، قصة الأميرة ذات الشيم، وحارسها المعلم، من بدايتها إلى نهايتها، وركز لتلاميذه، على اسم الأميرة الحقيقي، وأكد أن ملكات الشرق والغرب، قديما وحديثا، كن يتمنين خدمة الأميرة حميدة ذات الشيم

وما أن انتهى صاحبنا المعلم، من سرد قصة الأميرة ذات الشيم، على مسامع طلابه، حتى نطقت أعينهم جميعا بالحسد، للطالبة حميدة حماد، وتمنت كل البنات أن لو كان اسمها حميدة؛ تشبها باسم الأميرة ذات الشيم أميرة بلاد القيم

سعدت حميدة كثيرا، بما آلت إليه الأمور أخيرا، وتلقت الكثير من التهاني من زميلاتها، على اسمها المميز، وأعربت كل واحدة منهن عن رغبتها، في تحويل اسمها، إلى اسم حميدة أيضا

خجلت الفتاة، مما لاقته من إعجاب وثناء زائد، على جمال اسمها، وعزمت على أن تشكر أستاذها على رفته، وقدرته على معالجة هذا الموقف التربوي المحرج

أسرعت حميدة، خلف أستاذها، لدى خروجه من الفصل، وقدمت له الكثير من عبارات الشكر والامتنان، على ذوقه الرفيع

صارح صاحبنا المعلم، تلميذته حميدة بالحقيقة، وأخبرها أن القصة التي حكاها للطلاب منذ قليل، لم تسجل في أي كتاب من كتب الدنيا؛ لأنها عبارة عن حلم طويل، رآه من عدة ليال مضت

تعجبت الفتاة السمرء مما سمعت، ولم تدر بماذا ترد على أستاذها، الذي أخبرها صراحة، أنه عقد قرانه عليها في حلمه، وسافر بها إلى بلاد القيم زاد صاحبنا المعلم، تلميذته حميدة حرجا فوق حرجها، عندما ذكرها بأن السيدة حميدة خاتون المهدبة، قد تزوجت من الإمام جعفر الصادق، وقد فهمت الفتاة الذكية، أن أستاذها يعرض عليها الزواج منه، فانطلقت هاربة إلى فصلها

تغيرت نظرة حميدة، لأستاذها منذ ذلك الحين، واختلطت في خيالها الرومانسي صورته الواقعية، بصورته التي بدت لها في قصة الأميرة ذات الشيم، التي سمعتها منه، واختلطت الصورتان، بسعادتها بلقب الأميرة ذات الشيم أميرة بلاد القيم، فهي وإن لم يناديها به أحد حتى الآن، إلا أنها على يقين، أن أستاذها يراها في صورة الأميرة ذات الشيم، ويرى نفسه حارسها المخلص

شعرت الفتاة بالحب الجارف يجرفها تجاه أستاذها، وتمنت في أعماق أعماقها، أن لو تحقق ما رآه أستاذها في الواقع؛ ليصبح أستاذها وزوجها، وحارسها وفارسها، في الغرام والرومانسية

توالت الأيام والليالي، وتعمق حب حميدة في قلب أستاذها، وتعمق حبه في قلبها، وغدا يتبادلان نظرات الإعجاب والحب، كلما سنحت الفرص لذلك وكان يا ما كان، أن نمت في قلوبهما من الحب شجيرة، ساقها خضراء من ماء الحياة، تاجها أحمر كالنار التي تصنع قبلة، وتلألأت في القلوب من الحب ثمارا، طعما بحسنها من جوع، وأمنا من خوف، وألغا الاستغلال بها، إيلاف قريش، إيلافهم رحلة الشتاء والصيف

وفي اليوم الأخير، من الفصل الدراسي الأول، حدث بين التلميذة وأستاذها، شيء في منتهى العجب، فكان ذلك اليوم فريداً، في حياة كل منهما، وفريداً أيضاً في حياتهما معا

لم يحضر في هذا اليوم، من طلاب القسم الأدبي، بالصف الثاني الثانوي، سوى خمس طالبات، لا يزال صاحبنا المعلم يذكر أسماءهن حتى الآن، وهن : سمية كمال الدين، وبسمة حباشي، ومروة محمود عفين، وإكرام وطني خليفة، وحميدة حماد فليفل

وكان صاحبنا المعلم، قد قرر أن يشرح لتلاميذه هذا اليوم، الفصل الثامن من قصة وإسلاماه، وهو آخر فصل مقرر، في الفصل الدراسي الأول، من فصول القصة الستة عشر

وصل صاحبنا المعلم، في شرح الفصل الثامن من القصة، إلى الجزء الذي رأى فيه بطل القصة، الأمير قطز محمود ابن الأمير ممدود، النبي ﷺ في رؤياه، يبشره بأنه سيكون ملكاً على مصر، فقد ذكر الكاتب أن الأمير محموداً، رأى في نومه، أنه يجلس على صخرة في صحراء، وأن النبي ﷺ جاءه في كوكبة من الفرسان، فبشره وقال له: قم يا محمود، فاسلك هذا الطريق إلى مصر، فستملكها وستهزم التتار

وبعد أن شرح صاحبنا المعلم، هذا الجزء من القصة، طرح على تلميذاته الخمسة سؤالاً، فقال من منكن قد رأت النبي ﷺ في نومها؟ فأجابت الطالبات كلهن، بأن ذلك لم يحدث معهن أبداً

غير صاحبنا المعلم، صيغة السؤال، فقال: من منكن رأت يوماً غريبة تحكيها لنا ؟

ابتسمت كل الفتيات، وأكدن أنهن لم يرين أي رؤيا غريبة، إلا الطالبة حميدة التي قالت: أنا يا أستاذي، فقال لها: احكِ لنا هذه الرؤيا يا حميدة

ترددت الفتاة في أمرها، وبدا كأنها قد ندمت، على اندفاعها وتلقائيتها البريئة، لكنها أمام إلحاح أستاذها، حكّت رؤيتها، فقالت: لقد رأيت كأننا في يوم الامتحان، وكأنك يا أستاذي، ملاحظ اللجنة التي سأمتحن فيها، وكأنني دخلت لجنة الامتحان، أبحث عن مقعدي، الذي كتب عليه رقم جلوسي، فلما وجدت المقعد، وعليه رقم الجلوس، وجدت طالبا يجلس عليه اسمه إسلام، وكان طالبا غريب الهيئة والزي، وقد حلق رأسه، فلم يترك فيها شعرة واحدة، فنهرته بشدة، وأمرته أنه يقوم من مكاني؛ لأجلس فيه، فقام وهو غاضب جدا، وجلست في مكاني

ثم وجدت داخل الدرج، دفترا خاصا بهذا الطالب إسلام، قد جهزه ليغش منه إجابات الامتحان، فألقيت الدفتر في وجهه وقلت له: عندما تترك مكانا، يجب أن تصطحب كل أشياءك معك، وقد حاول أن يلتقط الدفتر حين ألقيته عاليا في الهواء، فلم ينجح، وسقط الدفتر من شبك الفصل، فألقى الولد بنفسه من الشباك، خلف دفتره، ولم يسأل أحد عنه ولا عن دفتره، وكان العالم قد استراح منه

ثم جئت أنت يا أستاذي، فجلست بجواري على المقعد، وقد نظرتُ عندها في ساعتِي، فوجدتُ أن الامتحان، قد بقي عليه وقت طويل
ثم طلبتُ منك، أن تعيد لي شرح آخر مشهد في الفصل الأول، من قصة وإسلاماه، حيث كان الأمير ممدود، والسلطان جلال الدين ابن خوارزم شاه، يتنزهان في الحديقة التي تفصل بين قصرَيْهما، ويتحدثان عن زوجتيهما، وما تحملان في بطنيهما من أجنة

غير أنك جعلت تصرخ في وجهي، وتقول: الآن بعد كل هذا الزمان، لم يبق إلا خطوات على الامتحان، وتطلبين مني أن أشرح لك ؟

توقفت حميدة لحظة تلتقط أنفاسها، وتستجمع قواها، ثم قالت: أصابني كلامك بالحزن الشديد يا أستاذي، لكنك أشفقت علي، وأرضيت خاطري، ثم وضعت يدك

على كتفي وقلت لي: سأشرح لك ما تريدينه، ولا تخافي ولا تحزني، من شيء بعد اليوم

وقف صاحبنا المعلم من مجلسه، وهو لا يصدق ما سمعت أذناه، وأخذ ينظر إلى حميدة، نظرات غريبة من جديد، ثم طلب منها، أن تقسم أنها رأت تلك الرؤية في نومها، كما حكته منذ دقائق، فأقسمت الفتاة وهي لا تفهم، وقد ظنت، أنها ارتكبت خطأ بحكيها لما رأت

قالت الطالبة سمية: ماذا فهمت من هذه الرؤيا يا أستاذي؟ فنحن لم نفهم شيئا، قال صاحبنا المعلم: إن شاء نلتقي في الفصل الدراسي الثاني، بعد إجازة منتصف العام؛ لنستكمل شرح المنهج

قال صاحبنا، كلماته تلك، وخرج من الفصل، دون أن يكمل شرح الفصل الثامن من القصة، ودون أن يفهم تلميذاته سر انسحابه من الفصل، ودون أن يشرح لهن ماذا فهم من رؤيا زميلته حميدة

لحقت حميدة بأستاذها؛ لتعتذر له، خوفا من أن يكون غاضبا منها، مثلما أخبرتها زميلاتها بذلك

اعتذرت حميدة كثيرا لأستاذها، فأفهمها أنها لم تخطئ، في شيء لتعتذر عنه، فألحت عليه أن يوضح لها، ماذا فهم من الرؤيا، التي حكته له

فصارحها بأن الرؤيا فيها له، أمر من الله أن يتزوجها، وأنه فهم ذلك من جلوسه، بجوارها على مقعد واحد، وذكرها بأن المشهد الذي طلبت شرحه، من الفصل الأول من قصة وإسلامه، يدور فيه حوار بين السلطان جلال الدين، وابن عمه ممدود، وكل واحد منهما يتحدث عن زوجته الحامل، التي قرب موعد وضعها

لكنه لم يخبر تلميذته، عن الدليل الأوضح، الذي استنبط منه أمر الله له بالزواج منها، فلم يحك لها شيئا عن إسلام العربي، التي أوهم في رؤياه يوما أنه يحبها، وأنها تصلح زوجة له، وقد فهم صاحبنا المعلم، أن إسلام العربي ظهرت في رؤيا

حميدة، في صورة ولد أقرع، وأن طرد حميدة لها من مقعدها، وإلقاء متعلقاتها من الشباك، إشارة إلى حلول حميدة مكان إسلام، لتكون حبيبة وزوجة له
عرض صاحبنا المعلم الزواج على تلميذته، وكانت هذه المرة الثانية، التي يعرض فيها صاحبنا المعلم، الزواج على تلميذته، ففي المرة الأولى ألمح لها بحديثه عن حميدة خاتون، زوجة الإمام جعفر الصادق، واليوم أوضح لها، ما لم تفهمه من رؤياها، وقد تكرر منها نفس الفعل، ردا على عرضه، فما إن تسمع عرضه بالزواج منها، حتى تخجل وتجري هاربة من أمامه
عادت حميدة إلى صديقاتها الأربعة، وأعلنت أمامهن، أنها عائدة إلى منزلها، فقررت البنات العودة مثلها إلى منازلهن

فوجئت الفتاة في مساء هذا اليوم، بزيارة أم أستاذها لأهلها في منزلهم، تطلب يدها لابنها، وقد أحسنت والددة حميدة، استقبال أم الأستاذ، ورحبت بها كثيرا، وطلبت منها، انتظار عودة الحاج حماد من المسجد؛ لتخبره بالأمر بنفسها
عاد الحاج حماد من المسجد، فعرضت عليه أم صاحبنا المعلم طلبها، فطلب منها أن تمهله مدة أسبوع، يسأل ويتشاور مع إخوانه، ثم يكون الرد بعد نهاية الأسبوع، إن شاء الله

وجاء الرد بالموافقة، وكان حفل الخطوبة يوم الرابع والعشرين من شهر أغسطس، عام ٢٠١٢م

وقد قدر الله، أن يكون زواجنا الميمون بإذنه تعالى، بعد عام ونصف، من يوم خطوبتنا السعيدة، بعد أن أنهت حميدة، امتحانات الفصل الدراسي الأول، بكلية التربية، قسم اللغة العربية، والدراسات الإسلامية

وقد رزقني الله بعد زواجي من حميدة، بشارتين مختلفتين، الأولى أن زوجتي حميدة، روت لي عن صديقتها المقربة، إكرام وطني خليفة، أنها رأت يوم زفافنا رؤيا صالحة، فذكرت أنها رأت في منامها، النبي الأعظم ﷺ، وزوجته الأحب إلى

قلبه، عائشة بنت خليفته الأول أبي بكر الصديق، قد حضرا لتقديم التهنة لنا
بمناسبة الزفاف

والبشارة الثانية، أني رأيت في نومي كأنني أحمل بين يدي، نبي الله عيسى ابن مريم
عليهما السلام، وهو لا يزال طفلا رضيعا، والسيدة مريم العذراء تقف بجواري،
وخلفنا فرسان من الرومان، وأنا أحاول حماية السيد المسيح، والهروب به من
وجه هؤلاء الفرسان الظالمين

وحين قصصت رؤيائي، على أحد الصالحين، بشرني بأن الله سيرزقني، ببنت وولد،
وأن علي أن أسمى ابنتي مريم، وأسمى ابني عيسى، أو أسميه محمدا، وذكرني بما
أخبر به النبي، أن كل الأنبياء أخوة ذوي علات، إلا محمدا وعيسى
واليوم أعيش مع زوجتي حميدة حماد، وابنتنا مريم، وابننا محمد، في فيض من نعم
الله علينا، فله الحمد والمنة، على كل فضل ونعمة

تمت والحمد لله

الفهرس

رقم الفصل	رقم الصفحة	رقم الفصل	رقم الصفحة
(١)	٥	(٢٠)	١٦٠
(٢)	١٣	(٢١)	١٧٣
(٣)	٢٢	(٢٢)	١٨٠
(٤)	٢٥	(٢٣)	١٩٠
(٥)	٣١	(٢٤)	١٩٦
(٦)	٤٢	(٢٥)	٢٠٣
(٧)	٥٢	(٢٦)	٢١٦
(٨)	٦٢	(٢٧)	٢٢٢
(٩)	٦٧	(٢٨)	٢٣٢
(١٠)	٧٤	(٢٩)	٢٣٨
(١١)	٨٤	(٣٠)	٢٤٧
(١٢)	٩٨	(٣١)	٢٦٠
(١٣)	١٠٨	(٣٢)	٢٧٤
(١٤)	١١٨	(٣٣)	٢٨١
(١٥)	١٢٥	(٣٤)	٢٨٩
(١٦)	١٢٨	(٣٥)	٣٠١
(١٧)	١٤١	(٣٦)	٣١٣
(١٨)	١٤٩	(٣٧)	٣١٥
(١٩)	١٥٣	(٣٨)	٣١٩